الشيخ أحمد محمد اسماعيل

صلح الحسَن (ع)

غدير عز.. ولغز جهاد

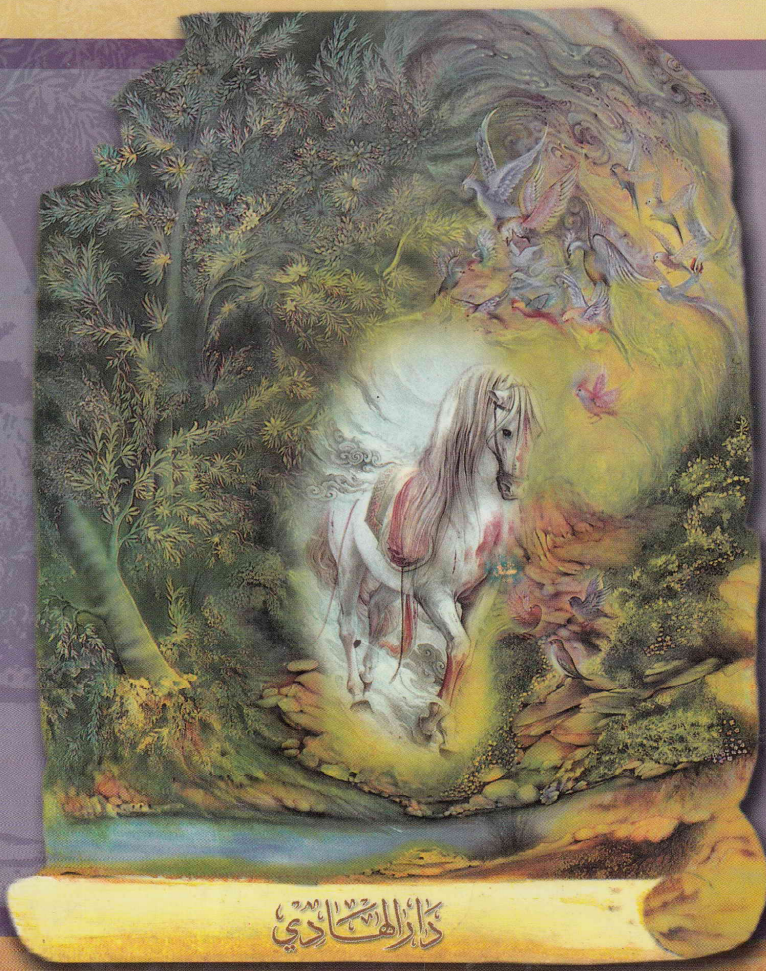

دار الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم

تصويبات هامة: عزيزي القارئ، وقعت سهواً بعض الأخطاء، يُرجى تصحيحها قبل القراءة نظراً لأهميتها وهي على الشكل الآتي:

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١	٦	تجارةَ،	تجارةٌ (آية قرآنية)
٥٧	١٩	بأمير	بأمير المؤمنين
٦٠	١	وسيرته	سيرته
٦٠	١٢	فقاله	فقال
٧٤	٩	الواصف إمام الموصوف	الموصوف إمام الواصف
٧٨	١١	العاملين	العالمين
١٢٣	٧	على الحسن	على الحسين
١٢٣	٧	ويعقد الصلح	ويقرّ الصلح
١٢٥	١	ترك	تركت
١٢٧	١٩	نحو الحسين	نحو الحسن
١٤٨	٨	مشروعة	مشروعه
١٧١	٤	كلّ أمة	لكلّ أمة (آية قرآنية)
١٧١	٩ - ١٠	في أنفسهم	بأنفسهم (آية قرآنية)
١٨٨	١٨	الكوفة	المدينة
١٩٢	١٩	هاذ	هذا

صلح الحسن عليه السلام

غدير عز .. ولغز جهاد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

صلح الحسن عليه السلام
غدير عز .. ولغز جهاد

تأليف
الشيخ أحمد محمد إسماعيل

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إليك يا رمز السخاء.. شلال العطاء.. ضمير الشهداء.. إعصار غضب السماء.. خلاصة سر الأنبياء..

إليك يا خُلُقَ النبي.. وعدل علي.. وحكمة الحسن.. وشهادة الحسين.. وثأر كل مقتول ومسموم

إليك يا بلسم الجرح الموغل في وجع الأمة والأئمة.. يا رحمة محمد.. وغضب محمد.. يا قائم آل محمد..

أهدي كتابي على أمل أن يكون باكورة الانتساب إلى مدرسة العترة الطاهرة وصية جدك المصطفى ﷺ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على من بُعث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين.

عذراً يا ريحانة المصطفى:

أفتتح مقدمتي المتواضعة بالإعتذار من مولاي الحسن المجتبى عليه السلام لخوضي عالم العظمة والعظماء، وتقحّمي عُلا قرة عين المصطفى، وتكبدي عناء المتصعّد لعالم أجهله بالمطلق، وما يشفع لي جرأتي أني محب متيم، عاشق كالفراشة المأخوذة بنور الشمعة، فهي في أوج سرورها وحبورها إذا كانت تحوم حول الضوء والنور، وإن قتلها طواف عشقها، وصرعها هيام سحرها.

عذراً أيها الإمام لهذا السبر لبحرك، ولهذا اليراع المتوهم بأنه سيرفع عنك المظلومية، ولثقافتي الظاهرية. وعلمي الذي هو أشبه بجهل وهو يدخل عالم المكابرة حين يدّعي بأنه يكشف النقاب عن سيرتك ويغوص في أعماق سرّك، وأنت سيدي علمك علم الباطن، ونحن لا شأن لنا بتلكم المعادلة الإلهية، ولا نفقه أبجديتها، عذراً سيدي ومولاي يا مظلوم العترة الطاهرة حيث يشكّل كتابي هذا دفاعاً وبعضاً من أجوبة على شبهات مثارة وهذا بحدّ ذاته مفردة من

مفردات مظلوميتك حين يتصدّى واحد مثلي ليدافع عن واحد مثلك مولاي أيها الحُسن والحسن.

وإنه لفخر لي أن أحظى بشرف الكتابة عنك وأنت أحد الإثنين اللّذين انحصرت ذرية الرسول ﷺ فيهما، ومن مثلي في مقامي هذا وأنا أشرّف قلمي ومداده بالحديث عن بعضٍ من سيرتك العطرة.

أعذرني يا فلذة كبد الزهراء لدخولي رحاب واديك المقدّس وأنا لا زلت لم أخلع نعليّ، حيث تثقلني الرواسب والتقاليد والأعراف الجاهلية والعصبية، إذ ليس المقصود من خلع النعل إلا إزالة كل ما من شأنه أن يعيق الحركة باتجاه معدن العظمة الإلهية.

إقبل مني يا ثمرة قلب المرتضى هذا اللواذ بك وأنا بعدُ لم أتذوقْ طعم مناجاتك مع حبيبك ومعشوقك «حبيب قلوب الصادقين» كما يعبّر أمير المؤمنين عليه السلام والدك وأسوتك في المظلومية، وهو القائل لك «وَجَدتُك بعضي، بل وجدتُك كُلّي، حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأنَّ الموتَ لو أتاك أتاني»[1].

واعذر تطفلي على عالمكم، وأنا على غير وضوء روحي وصفاء قلبي.

أأدخل يا حبيب الله.. أأدخل يا ريحانة الرسول ويا قطعة قلب الأمير، فما يصيبك يصيبه. فأنت بعضه، وكلّه .. بل أن كل الغدر الذي لاقيت، كان يؤذي ليس قلب أبيك أمير المؤمنين فحسب، وإنما أفئدة أهل بيت العصمة، والسلسلة الطاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهّرهم تطهيراً.

---

١ - نهج البلاغة. ص ٣٩١، من وصية له لولده الحسن عليه السلام.

فإذا كان ﴿**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى**﴾[1] كما يقول الرسول الأكرم ﷺ، فكيف هو الحال لدى أمراء المؤمنين وقدوتهم من آل المصطفى ﷺ؟، ألم يكن النبي الكريم ﷺ يمتدحك ويذكرك ويلاطفك دوماً؟ حتى أنه ﷺ لم يترك مناسبة إلاّ وتحدّث بها عنك مولاي - يا أبا محمد- وليس من شأن النبي أن يجامل على حساب الوحي، فأنت الذي حملك قدرك أن تواجه عصراً قاسياً ومسلمين مزاجيين مزايدين منتقدين معترضين لحدٍ تصل فيه لوقت يقال لك حتى من قبل الذين يفشون السلام، فيعبّرون عنك بمُذل المؤمنين ونسوا أنك لهم رمز وعنوان وإنك دليل العدل الإلهي، إلا أنه الجهل والإعراض.

وقاتل الله الجهل الذي كان سبباً في بُعد الجَهَلة عن نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ، والذي حَبَس أمير المؤمنين عليه السلام، خمسة وعشرون عاماً في بيته، والذي كان له وقع على قلب إمامنا أكثر من تلك السهام التي صوّبت إلى جثمانه الشريف يوم استشهاده عليه السلام، قاتل الله الغباء، فهو لسان إبليس الذي لا يعرف الضوابط والمقاييس، فهو يتهم ميزان الحق وشاقول الإستقامة ويُلقي التهم جزافاً، ويحصد الأشراف، وينال منهم، ويرفع الأشرار، ويكرِّم خبثهم، بينما يُجعل الإمام الحسن عليه السلام في دائرة الاتهام، وإلى أمثال هؤلاء أشار أمير المؤمنين عليه السلام «إلى الله

---

١ - ميزان الحكمة ج٩ – ص ٤٥.

أشكو من معشر يعيشون جهّالاً، ويموتون ضلاّلاً، ليس فيهم سلعة أبور[1] من الكتاب إذا تُلي حق تلاوته، ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر»[2].

قاتل الله الحماقة التي يملّ أهلها ويضجر أربابها من المنّ والسلوى فيبحثون في الأرض عن فومها وعدسها وقثائها.

وهكذا هم الذين لبسوا الإسلام على طريقة «ولُبِسَ الإسلامُ لبسَ الفرو مقلوباً»[3]، فلم يُسلِّموا الأمر لله ولرسوله، ولم يسترقوا سمع الأولياء، ولم يدخلوا في خضمّ الدين الذي يخرجهم من الظلمات والدياجير، بل التزموا ببعض قشوره فصاروا كمُحتطبي ليل، لم يستضيئوا بنور ولم يسترشدوا بهدىً، إنما أتوه لمصلحة دنيوية رخيصة، فهم يضعون شروطاً للإنتماء ، وكلما تضررت مصالحهم ولم تلق المصلحة العليا إعجابهم كلما تمرّدوا على الدين وأهله، وانقلبوا على أعقابهم، وكلما قُدّمت لهم الأدلة على باطلهم وانحرافهم عن الجادة سخروا من الحق، وها هو أمير المؤمنين عليه السلام يختصر الكثير من الكلمات وهو يعطي بذلك دستوراً لمعرفة معاني الدين فيقول عليه السلام: « الإسلام هو التسليم»[4].

وعلى أي حال فالمشاكل التي واجهت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته، هي

---

١ – أبور: أفسد، وبار الشيء أي فسد، وبارت السلعة أي كسدت ولم تنفق، والمراد بقول أمير المؤمنين عليه السلام: إن العمل بالقرآن كاسد لا يقبله الناس ولا يتعاطون معه على أنه المرجعية والمصدر.

٢ – نهج البلاغة – خطبة ١٧.

٣– نهج البلاغة من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في الملاحم – شرح د. صبحي الصالح خطبة ١٠٧.

٤ – بحار الأنوار ج٦٨– ص ٣٠٩.

نفسها التي تواجه العظماء الذين يولدون في زمنٍ لا يعرف معاصروهم ولا الذين سيلحقون، ما هم عليه من الفضل والدرجة، فيقيسون التبر بالتراب، والثريا بالثرى، فيُظلَمون وتتوجه إليهم أصابع الإتهام وتستهدفهم حملات شرسة تسعى للنيل من مقاماتهم العالية والرفيعة، وتمرّ السنوات والعقود والقرون وتبقى شخصياتهم مجهولة لدى أهل الأرض، ويتطلب الأمر جهداً وعملاً مميزين، حتى تبقى الصورة على رونقها فلا تطالها يد التحريف، ولا يُسمِّمها التزييف..

فإلى تلك السيرة لإمامنا الحسن عليه السلام، وإلى تلك الحقبة الزمنية التي توجع وتفجع قلب قارئها، فكيف بمن عاشها وعاصرها وتجرّع مرارتها وغصّاتها واحدة تلو أخرى؟.

الفصل الأول:

- من هو الإمام الحسن عليه السلام؟.
- بطاقة تعريف بثاني الأئمة عليهم السلام.
- هو .. آية مباركة.
- الولادة الميمونة.
- عناية السماء ورسولها.
- الإمام الحسن في القرآن الكريم: آية التطهير، آية المباهلة، آية المودة، آيات الأبرار
- المجتبى على لسان المصطفى صلى الله عليه وآله.
- كلمة الله والتاريخ.

من هو الإمام الحسن؟

بطاقة تعريف بثاني الأئمة عليه السلام:

هو الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي أبو محمد الهاشمي[1].

أمه: السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

جدّه: رسول الله محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله.

أخوه: سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

من صفاته عليه السلام: أنه كان أبيض اللون، مشرب بحمرة، أدعج العينين[2]، سهل الخدين، كثّ اللحية[3]، جعد الشعر ذا وفرة[4]، ليس بالطويل ولا بالقصير، ومن أحسن الناس وجهاً.

كان عليه السلام إذا ذكر الموت بكى. وإذا ذكر القبر والبعث والممر على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغشى عليه منها، وإذا ذكر الجنة والنار اضطرب إضطراب السليم.

وُلد الإمام عليه السلام في ليلة النصف من شهر رمضان المبارك، في السنة الثالثة

١- الحافظ ابن عساكر في كتاب تاريخ دمشق ص٥- بيروت.

٢- الأدعج هو شديد سواد العين مع سعتها.

٣- كث اللحية وهو صاحب الشعر الكثير والقصير.

٤- هو الشعر المجتمع على الرأس أو الشعر المتدلي الواصل إلى الأذنين.

للهجرة في المدينة المنورة.

واستشهد في الثامن والعشرين من شهر صفر في السنة الخمسين للهجرة النبوية الشريفة في المدينة المنورة ودفن في البقيع.

هو. . آية مباركة:

لولادة ابن القرآن الناطق في الشهر المبارك. بعض الإشارات والدلالات، وهي باختصار توجز قصة نزول القرآن ﴿**شَهْرُ رَمضانَ الذي أُنْزِلَ فيه القُرآن**﴾[1] وتلقي بضوئها على استشهاد أمير المؤمنين في شهر الله، فتكون المعادلة التالية:

إن القرآن الكريم نزل في شهر رمضان، والقرآن الناطق صعدت روحه إلى بارئها في شهر رمضان.

وما بين القرآن الصامت والناطق علاقة راسخة واندماج وامتزاج وأواصر، لحدٍ لا يستطاع الفصل بينهما، وهذا ما أشار إليه الإمام الخميني(قده) حينما أكد في وصيته الخالدة « إن كل ما ألمّ بأي من الثقلين بعد الوجود المقدس لرسول الله ﷺ. قد أصاب الثقل الآخر، وإن هجر أيّ منهما هجر للآخر، حتى يرد هذان المهجوران الحوض على رسول الله ﷺ[2].

وهذا الكلام مستفاد من أحاديث الرسول الأكرم ﷺ ومن حديث الثقلين الذي نقل بعبارات مختلفة وكما قيل:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

---

١ - البقرة ١٨٥.

٢ - الوصية الخالدة، الإمام الخميني (قده)، ص١٠، الدار الإسلامية.

فقد جاء في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله فيه ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي»[1].

وجاء في صحيح الترمذي عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[2].

وجاء في مسند أحمد بن حنبل عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض «أو ما بين السماء إلى الأرض»، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[3].

والثقل[4] هو كل نفيس خطير ومصون وقد روي أن النبي ﷺ. قال في

---

١ - صحيح مسلم، ج٤، ص١٨٧٣، ح٢٤٠٨، طبعة بيروت.

٢- صحيح الترمذي، ج٥، ص٦٦٢ طبعة بيروت.

٣- أحمد بن حنبل، المسندج٥، ص١٨٢، طبعة بيروت.

٤- قيل سميا بالثقلين لأن العمل بهما ثقيل، وفي تفاسير أخرى الثقل هو الشيء الثمين والأمانة النفيسة.

حديث له: لو كان العقل رجلاً لكان الحسن[1]، وعلى ضوء ذلك فالإمام عليه السلام هو مفردة قرآنية وآية من آيات كتاب الله المجيد، وهو عليه السلام العقل والمنطق ولغة السماء بحق، وهو عليه السلام من أهل الكساء الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً[2]، وهو أشبه الناس برسول الله خلقاً وخُلقاً[3]، وهو من أجود الناس وأكرم بني هاشم بعد أبيه ، وقد طلق الدنيا مراراً وحج خمساً وعشرين حجة[4].

الولادة الميمونة:

لما وُلد إمامنا الحسن عليه السلام ووصل خبر ولادته إلى رسول الله غمرت قلبه الفرحة وظهر عليه الإرتياح فأسرع إلى بيت الطهر، بيت فاطمة ونادى يا أسماء أين ولدي[*]؟ فأسرعت أسماء إلى الوليد وهو ملفوف بخرقة صفراء فأخذه منها وقال: ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء[5]، وأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، فكان أول صوت مرّ على سمع السبط الكريم، وتغلغل

١- فرائد السمطين ، ج٢، ص ٦٨.

٢- نور الأبصار ص ١٢٣ وصحيح مسلم ج٧ ص ١٣٠ وأسد الغابة ج٢ ص ١٢.

٣- تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٤٣١ والبخاري ج١٤ ص ١٣٧ كتاب بدء الخلق.

٤- شذرات الذهب، ج١ ص ٥٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص ٣٧.

* وواضح أن إطلاق تعبير ولدي، وفي رواية أخرى (يا أسماء هاتي ابني) من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله على الإمام الحسن عليه السلام منذ اليوم الأول لولادته الشريفة لها من الدلالات والإشارات ما لا يخفى على عاقل، واللبيب من الإشارة يفهم!

٥- عذراً يا رسول الله لهذه الأمة، حيث نهيت أن يلفّ ولدك الحسن في خرقة صفراء، لا أدري أيها الحبيب المصطفى أي مظلومية عاشها حفيدك وريحانتك؟ فكل حياة الإمام الحسن عليه السلام كانت محطات من المظلومية، أقل قليلها أن يُلف في خرقة صفراء، وهو المحروم من أن يضطجع جثمانه قرب المرقد المطهر لك!.

في أعماق نفسه وقلبه صوت جده العظيم: الله أكبر. لا إله إلا الله، هذه الكلمات النورانية القصيرة في تراكيبها، الكبيرة في معانيها كانت بحق قصيدة الإمام في حياته، بل أنشودته الدائمة ديمومة حياته.

عناية السماء ورسولها:

سأل المصطفى عليٌّ المرتضى.. هل سميت ولدك الميمون؟ فأجابه عليه السلام على الفور: ما كنت لأسبقك يا رسول الله، فيتوقف النبي للحظات وإذ بالوحي يقول لأمينه المؤتمن عليه: سمه حسناً يا رسول الله»[1]، أما سبب تسميته بالحسن. فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: «سُمي الحسن عليه السلام حسناً لأنه بإحسان الله قامت السماوات والأرض، والحسن مشتق من الإحسان، والحسين تصغير الحسن»[2].

وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله شديد الإهتمام به، حتى أنه صلى الله عليه وآله كان يحمله على رقبته، وذات يوم لقيه رجل وهو على تلك الحالة، فقال الرجل: نِعمَ المركب ركبت يا غلام، فأجاب الرسول وهو أعظم مخلوق في الدنيا، وشهادته هي أرقى وأميز شهادة يشهد بها إنسان فقال صلى الله عليه وآله «ونعم الراكب هو»[3].وهو سيد شباب أهل الجنة بإجماع المحدثين والرواة ولا ينكر هذا إلا جاحد أو مكابر.

وطالما حدثنا التاريخ المنصف الذي لم يدونه أمراء البلاط وعلماء السوء،

---

١ - سيرة الأئمة الإثني عشر للسيد هاشم معروف الحسني ج١ ، ص٥١٢.

٢- مائة منقبة- منقبة ٣/ ٣٩٨- وفي البحار ٤٣/ ٢٥٢ح٣، وهناك نصوص أخرى قريبة جداً من تلك المعاني والكلمات والخبر مروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

٣- الصواعق المحرقة، ص ٨٢

أن الحسن كان يصعد على ظهر رسول الله، فيطيل هذا الوجود المقدّس سجوده النوراني، فإذا فرغ النبي من صلاته، يسأله المصلون عن سبب إطالته للسجود، فكان يجيبهم بثقة عالية تنم عن مدى مقام الحسن عند رسول الله ﷺ فيقول: إن إبني ارتحلني فكرهت أن أعجله»[1].

ولقد أجاد السيد إسماعيل الحميري حين نظم قصيدة طويلة نقتطف منها بعضاً من الأبيات، والتي قال فيها:

أتى حسن والحسين النبي ... وقد جلسا حجره يلعبان
ففداهما ثم حيّاهما ... وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه ... فنعم المطية والراكبان
وليدان أمّهما برّة ... حصان مطهّرة للحسان
وشيخهما ابن أبي طالب ... فنعم الوليدان والوالدان
خليلي لا ترجيا واعلما ... بأن الهدى غير ما تزعمان[2]

١- ترجمة ريحانة رسول الله، تاريخ دمشق، للحافظ الكبير إبن عساكر، ص٩١. وفي المصدر نفسه عن أبي عبد الله بن شداد عن أبيه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء أو الظهر أو العصر وهو حامل حسناً أو حسيناً فتقدم النبي ﷺ فوضعه، ثم كبر في الصلاة فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها فقال أبي: فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو وساجد، فرجعت في سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله: إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر وأنه يُوحى إليك، قال: كلّ ذلك لم يكن ولكن إبني ارتحلني فكرهت أن أعجله، في المصدر نفسه عن أبي الزبير عن جابر قال: دخلت على النبي ﷺ وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول: "نعم الجَمل جملكما، ونِعم العدلان أنتما"، ص ٩٣.

٢- ترجمة ريحانة رسول الله ﷺ الإمام الحسن- من تاريخ دمشق لإبن عساكر ص٩٤.

ورسول الله إلى الإنسانية جمعاء محمد بن عبد الله ﷺ بهذا العمل العبادي كان يلفت أنظار كل من يمت بصلة إلى الإسلام ويدّعي الإرتباط برسول الله ﷺ أن الحسن عليه السلام له مقامه العالي عند الله، وما يقوم به النبي ﷺ إنما هو الإسلام يجسده في وجوده وعمله وتقريره وإمضائه، فهو لا ينطق عن الهوى كما يقول عزّ من قائل: ﴿**وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى**﴾[1] ولا يقول ويتقوّل عن الله ما لم يقله الله، قال تعالى: ﴿**ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين**﴾[2].

ورب سائل يقول: ألهذا الحدّ يكون تهديد الله لرسوله الذي يمتدح فيه أخلاقه فيقول تبارك وتعالى: ﴿**وإنك لعلى خلقٍ عظيم**﴾[3] أليس في الأمر الكثير من الأخذ والعذاب وتقطيع نياط القلب؟ ، هذا إذا اختلق عن الله وافترى عنه، رغم أن الله اطّلع على قلوب العباد. فلم يرَ مثل قلب النبي مستودعاً للأسرار وساطعاً بالأنوار، لكن لِما هذا الوعيد؟ والجواب وبإيجاز: إن دين الله لا يقبل التحريف، ولا بدّ من إيصاله للناس كما هو، بعيداً عن الهوى والعصبية والمزاجية، والله تعالى يعرف أن الرسول الأكرم لا يمكن أن يتقوّل عن الوحي ما لم تقله السماء، لكنه سبحانه يريد إخبار العالم كله أن الحبيب المصطفى قد بلّغ

١- النجم: آية ٣.

٢- الحاقة: آية ٤٤- ٤٧.

٣- القلم: آية ٤.

الرسالة كاملة دون أي شائبة، أو علاقة خاصة هي على حساب الدين والمبدأ.

والله اللطيف الخبير، يريد بهذا أن يقول للناس: إن كلمات النبي .. وصاياه .. مدحه وثناءه.. قربه وبُعده.. إنما هي أخبار الوحي ورسالة السماء وقَد مَقَت وكَرِه لعبده المؤمن أن يكون الأب والإبن والأخ والزوجة، أحب إليه من الله ورسوله فقال سبحانه: ﴿**قل إن كان آباؤكُم وأبناؤُكم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتكُم وأموال اقترفتمُوها وتجارةً، تخشون كَسادها ومساكنُ ترضونَها أحبَّ إليكم من اللهِ ورسولهِ وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمرِهِ واللهُ لا يهدي القومَ الفاسقين**﴾[1] فكيف يكون حال الرسول الأكرم ﷺ الذي كان يقول ﷺ «إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرّب ولا نبي مرسل»[2] فإذا كان المؤمن لا يكون كذلك إلا بعد أن يؤثر المصلحة العليا على مصالحه الشخصية، على ماله وولده، على تجارته ومساكنه، على أمه وأبيه، فالحال هكذا مع الرسول ﷺ الذي كان يلحّ بالطلب والرجاء بين يدي ربه «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»، فهل يعقل أن يخرج النبي عن الإطار المقرر، وعن المسلك والمسار الرباني، والمنهج والسلوك المنضبط بالكامل حتى على مستوى حبه وبغضه؟.

هذا كله يؤكد على ضرورة إلقاء الضوء وتسليطه على بعض كلمات الرسول ﷺ بحق ولده الحسن عليه السلام بشكل خاص، وإن كانت الكلمات النبوية كانت دائمة الإحاطة بحق أهل البيت كلهم عليهم السلام.

١- التوبة- آية ٢٤.

٢- الحكومة الإسلامية، الإمام الخميني، ص٥٢ ط المكتبة الإسلامية الكبرى.

الإمام الحسن عليه السلام في القرآن الكريم

مما لا شك فيه أن الإمام المجتبى عليه السلام هو واحد من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهو من تلك الثلة المباركة الطاهرة الذين يشكلّون صفوة البشرية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن الأمناء على تبليغ الرسالة وتجسيدها واقعاً عملياً مترجماً في أفعالهم وأقوالهم.

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي امتدحتهم بالتلميح تارة وبالتصريح أخرى، نذكر بعضاً من تلك الآيات التي توضح وبجلاء مقامهم عند الله سبحانه.

آية التطهير:

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾[1]، لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ووضع عليهم كساءً وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[2] فاختصاص النبي صلى الله عليه وآله آية التطهير بالخمسة الطاهرين وعدم إذنه من دخول غيرهم في هذه الفضيلة والمنقبة، فيه من الدلالة على منزلة أصحاب الكساء ومدى اهتمام الله بهم (سلام الله عليهم)،

١- سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

٢- تفسير جامع البيان للطبري ج٢٢، ص٥.

وقد قال العلامة المجلسي: «ذهب أصحابنا وكثير من الجمهور إلى أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام) لا يشاركهم فيها غيرهم»[1].

وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير: اختلفت الأقوال في أهل البيت، والأولى أن يقال: هم أولاده وأزواجه، والحسن والحسين منهم، وعلي منهم، لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بيت النبي صلى الله عليه وآله وملازمته للنبي[2].

وقال ابن حجر في صواعقه: إن أكثر المفسّرين على أن الآية (آية التطهير) نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام) لتذكير ضمير عنكم»[3].

وقال العلامة التستري في إحقاق الحق: أجمع المفسّرون وروى الجمهور كأحمد بن حنبل وغيره، أن الآية ﴿**إنما يريد الله...**﴾ نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)[4].

وفي ينابيع المودة والبحار عن مسلم في صحيحه، وابن الأثير في جامع الأصول، في حرف الفاء، وصاحب المشكاة في الفصل الأول من باب فضائل أهل البيت عليهم السلام عن عائشة، قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله ذات غداة عليه مرط*

١- بحار الأنوار، ج٣٥- ص٢٢٥.

٢- التفسير الكبيرج٦، ص٦١٥.

٣- الصواعق المحرقة لإبن حجر العسقلاني- ص١٤١- طبع مصر.

٤- الإحقاق ج٢- ص٥٠٢ وفي تعليقة الإحقاق يقول المرجع آية الله النجفي المرعشي (ره): لا يخفى أن شمول الآية الكريمة لعلي وفاطمة والحسين عليهم السلام متفق عليه بين الفريقين، وإنما الخلاف من العامّة فهو في دخول زوجاته صلى الله عليه وآله تمسكاً بروايات ضعيفة الإسناد غير ظاهرة الدلالة.

* المرط: يكون من صوف أو من خز أو من غيره وهو ثوب غير مخيط.

مرجّل* من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله فيه، ثم جاء الحسين فأدخله فيه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها فيه، ثم جاء علي فأدخله فيه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

وفي البحار: لما أجمع الحسن بن علي عليه السلام على صلح معاوية خرج حتى لقيه، فلمّا اجتمعا قام معاوية خطيباً، ثمّ قام الحسن عليه السلام فخطب إلى أن قال: «وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ... ﴾ الآية، فلما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنا وأخي وأمي وأبي فجلّلنا ونفسه في كساءٍ لأُمّ سلمة، خيبري، وذلك في حجرتها وفي يومها، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهلي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أُمّ سلمة (رض) أدخل معهم، يا رسول الله؟ قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله يرحمك الله، أنت على خير وإلى خير، وما أرضاني عنك ولكنها خاصة لي ولهم، ثم مكث رسول الله بعد ذلك بقية عمره حتى قبضه الله إليه، يأتينا في كل يوم عند طلوع الفجر فيقول «الصلاة يرحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2].

آية المباهلة:

قَدِمَ في السنة العاشرة للهجرة النبوية، وفد من بلدة نجران، وكان أهلها

---

* المرجل: هو الذي نقش فيه صور ورسوم الرجال، والمرجل هو برد من برود اليمن.

١- ينابيع المودة، ص٢٢٩، وفي البحار ج٣٥، ص٣٢٦.

٢- البحار: ج١٠، ص١٣٨.

نصارى وفدوا على النبي الأكرم ﷺ بالمدينة، وكانوا ثلاثين وقيل ستين راكباً، وعلى رأسهم أبو حارثة أسقف نجران، قدموا على النبي ﷺ لمجادلته في شأن النبي عيسى عليه السلام، ودخلوا المسجد النبوي وهم يلبسون الحرير، متختّمين بخواتم الذهب، ولما جاء وقت صلاتهم استقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم، فعرض عليهم النبي ﷺ الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، وقالوا: قد كُنا مسلمين قبلك. فقال ﷺ كذبتم يمنعكم من الإسلام ثلاث:

ـ١ـ عبادتكم الصليب.

ـ٢ـ أكلكم الخنزير.

ـ٣ـ وزعمكم أن لله ولد.

فقالوا: ما شأنك تذكر صاحبنا، وتزعم أنّه عبد؟ فقال ﷺ: أجل هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم، فغضبوا وقالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أُنبئت به؟ فسكت ﷺ ثم خرجوا من عنده.

فنزل جبرئيل وقال له: فقل لهم: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ [1].

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [2].

١- سورة المائدة: آية ١٧.

٢- سورة آل عمران: الآيات: ٥٩- ٦١.

فقال رسول الله ﷺ لهم: «إن الله أمرني إن لم تنقادوا للإسلام أن أباهلكم»* فقالوا له: يا أبا القاسم، نرجع فننظر في أمرنا، ثم نأتيك، فلما أتى القوم في الغد. وأقبل الرسول ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي(عليهم السلام) وقال: اللهم هؤلاء أهلي، عند ذلك قال لهم الأسقف: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل لهم جبلاً لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني، فقالوا: لا نباهلك»[1] وقد ذهب جلّ أهل القبلة على أن النبي ﷺ لم يدع للمباهلة من النساء سوى فاطمة الزهراء(عليها السلام) ومن الأبناء سوى سبطيه الحسن والحسين (عليهما السلام) ومن الأنفس إلاّ أخاه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام فهؤلاء أصحاب هذه الآية، وقد أجمع المفسرون على ذلك، وقد قال الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين: أجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم على أن النبي ﷺ لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء، ومن الأبناء سوى سبطيه وريحانتيه من الدنيا الحسن والحسين. ومن الأنفس إلا أخاه، فهؤلاء أصحاب الآية التي لا يمكن جحودها، لم يشاركهم فيها أحد من العالمين، كما هو بديهي لكل من ألمّ بتاريخ المسلمين وبهم خاصة نزلت لا بسواهم[2].

وقال الشعبي: قال جابر: «وأنفسنا وأنفسكم» رسول الله ﷺ وعلي،

---

* المباهلة: هي الدعوة والإجتهاد في الدعاء باللعنة على الكاذبين.

١- الفصول المهمة في حياة أبي الأئمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ج٢، ص٨٧، تأليف السيد علي أصغر ناظم زادة القمي- تراجع السيرة الحلبية بهامشه، السيرة النبوية ج٣، ص٤١١ وبهامشه ج٤- ص٤.

٢- الفصول المهمة، ص١٩٧.

«ونساءنا ونساءكم» فاطمة، «وأبناءنا وأبناءكم» الحسن والحسين عليهم السلام[1].

وروى مسلم بن الحجّاج النيسابوري في صحيحه بسنده عن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً[2]. فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب.

فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن اسبه لئن تكون لي واحدة أحبّ إليّ من حمر*النعم- إلى أن قال- ولما نزلت هذه الآية ﴿**قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم**﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: **اللهم هؤلاء أهلي**»[3].

١- فرائد السمطين ج٢، ص٢٣، حديث ٣٦٥.

٢- ربما في النص بعض الكلمات الناقصة كأن يقال "أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً بسب أبي تراب".

* حمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال النعم وأقواها وأجلدها، فجعلت كناية عن خير الدنيا والآخرة، كما في مجمع البحرين.

٣- صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري، ج٧، ص١٢٠- نقلاً عن الإحقاق ج٣، ص٤٦، وفي رواية مسلم والترمذي وغيرهما، عن سعد، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قل تعالوا﴾، الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: «اللهم هؤلاء أهلي» سنن الترمذي ج٥، ص٢١٠- ح٢٩٩٩.

من أعجب العجب أن يدّعي محمد عبده أن مصادر هذه الروايات الشيعة، حتى استطاعوا ترويجها عند أهل السنة، ولا نعلم على الإطلاق عن هذه القدرة العجيبة للشيعة، وهم على مرّ التاريخ لم ينصفهم التاريخ، وهل استطاع الشيعة أن يتدخلوا في صحيحي مسلم والترمذي وهل استطاعوا إقحام رواياتهم في كتب الطبري وأبي الفداء وابن كثير والسيوطي! فلو صح هذا فهل ستبقى السُّنة عند أهل السنة على حالها؟ من أراد الإطلاع على كتب السنة حول آية المباهلة فليراجع إحقاق الحق ج٣، ص٤٦

آية المودة:

لما نزل قول الله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]. قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال ﷺ: «علي وفاطمة وإبناهما، وإنّ الله تعالى جعل أجري عليكم المودّة في أهل بيتي وإني سائلكم غداً عنهم»[2]. وقد نزلت الآية الكريمة بعد أن استقر الوضع الإسلامي في المدينة المنورة، وقد جاء جمع من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله لقد آويناكم ونصرناكم ونحن نضع أموالنا بين أيديكم، فهم كانوا في صدد أن يعوّضوا الرسول ﷺ ما تحمله من متاعب ومشاق في سبيل الله، لذا نزلت الآية التي توضح إن أجر النبي الوحيد هو المودّة في القربى، وروى الجمهور في الصحيحين وأحمد بن حنبل في مسنده، والثعلبي في تفسيره، عن إبن عباس، قال: لمّا نزلت (قل لا اسألكم) الآية، قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما» ووجوب المودّة يستلزم وجوب الطاعة [3].

ونقل عن الإمام الشافعي في وجوب إطاعتهم (عليهم السلام) شعراً وهو قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله

١- سورة الشورى: الآية ٢٣.

٢- ينابيع المودة، ص١٩٤.

٣- الإحقاق، ج٣، ص٢.

كفـــاكم مـــن عظـــيم القـــدر أنّكـــم من لـم يصـلِّ علـيكم لا صـلاة لـه[1]

آيات الأبرار:

ذكر الطبرسي(ره) في تفسير مجمع البيان: قـال: روى الخـاصّ والعـام، أن الآيات من هذه السورة ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (١٠) فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً (١٧) عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[2] نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وجارية لهم تسـمّى

١- مسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص ٣٢٣..

٢- سورة الدهر، ٥- ٢٢.

فضّة، وهو المرويّ عن ابن عباس ومجاهد[1]، وقال الشيخ الطوسي في تفسيره: وقد روت الخاصة والعامّة أن هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فإنهم آثروا المسكين واليتيم والأسير ثلاث ليال على إفطارهم، وطوَوْا (عليهم السلام) ولم يفطروا على شيء من الطعام، فأثنى الله عليهم هذا الثناء والحسن، وأنزل فيهم هذه السورة، وكفاك بذلك فضيلة جزيلة تُتلى إلى يوم القيامة[2].

وعلى أي حال فالقصة طويلة نحيل القارئ الكريم إلى قرائتها في كتب التفسير، ونوجز الكلام هنا إن الذين رووا الحديث من العامّة بلغوا أكثر من ثلاثين من علمائهم، وذكر علماء الإمامية أن سورة الدهر نزلت في علي وفاطمة والحسنين(عليهم السلام) [3].

نقول هذا ونحن نتلّمس ما في كتاب الله العزيز الحكيم، ونتعرف على سبب نزول الآيات الكريمة بحق أهل البيت عليهم السلام وبحق إمامنا الحسن الزكي عليه السلام، وكلنا أمل ورجاء بأن الباحث والقارئ سيدرك قرار السماء الذي أنزله الله على قلب رسوله صلى الله عليه وآله وبلّغه محمد المصطفى صلى الله عليه وآله- فماذا قال النبي بحق سبطه المجتبى عليه السلام؟.

١- تفسير مجمع البيان، ج١٠، ص٤٠٤.

٢- تفسير التبيان: ج١٠، ص٢١١.

٣- من أراد المزيد من المعرفة والإطلاع على ما في كتب أهل العامّة فليراجع الإحقاق ج٢، ص١٥٧، إلى ١٧٠- والغدير ج٣، ص١٠٧، إلى ١١١..

المجتبى على لسان المصطفى:

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال: من أحبني وهذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة[1].

وقد حدّثت عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله كان يأخذ الحسن فيضمه إليه فيقول: «اللهم إن هذا ابني وأنا أُحبّه فأحبّه وأحب من يحبه»[2]، وقال صلى الله عليه وآله: «من سرّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن»[3].

وروى أسامة بن زيد قال: «طرقت النبي صلى الله عليه وآله ذات ليلة في بعض الحاجة فخرج النبي صلى الله عليه وآله وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو؟ فلما فرغت من حاجتي، قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ قال فكشف فإذا هو حسن وحسين على وركيه، فقال: (هذان إبناي، وإبنا إبنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما»[4].

١- ترجمة ريحانة رسول الله الامام الحسن عليه السلام ص ٥٢.

٢- كنز العمال ٧/ ١٠٤، وروى أبو نعيم في حليته عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «اللهم؛ إني أحبه، فأحبه وأحب من يحبّه» يقولها ثلاث مرات.

٣- فضائل الأصحاب، ص ١٦٥، البداية والنهاية، ٨/ ٣٥.

٤- صحيح الترمذي، ٢/ ٢٤٠. كنز العمال، ٧/ ١١٠، وذكر إبن حجر في صواعقه آخر الحديث ص١١٤.

وقال ﷺ: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[1].

وروى زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام): «أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم»[2].

وروى جابر، قال رسول الله ﷺ ذات يوم بعرفات «ادنو مني يا علي، خُلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصنٍ منها أدخله الله الجنة»[3].

ومما اشتهر بين المسلمين قوله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»[4].

وقد قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله إنك لتصنع مع الحسن ما لاتصنعه مع غيره، فقال: الحسن ريحانتي من الدنيا[5]، وعنه ﷺ أنه قال بحق الحسنين عليهما السلام أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فله جودي وشجاعتي[6].

وطالما روى عن نبينا الأكرم ﷺ العديد من الرواة، الذين أجمعوا على أن الرسول الله ﷺ كرّر مراراً عبارته المشهورة عن الإمامين الحسنين عليهما السلام بقوله: «الحسن والحسين إبناي من أحبهما أحبني، ومن أحبني أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغض الله، ومن أبغضه الله

١- الصواعق المحرقة: ص١١٤، كنز العمال، ٦/ ٢٢١.

٢- سنن إبن ماجة، ص١٤- وابن كثير في البداية والنهاية، كنزل العمال، ٧/ ١٠٢.

٣- مسند أحمد ، ١/ ٧٧.

٤- البحار ، ج١٠، ص٧٨، وجاء ذلك في نزهة المجالس، ج٢، ص١٨٤.

٥- الإستيعاب ج٢، ص٣٦٩ .

٦ - سيرة الأئمة الإثني عشر للسيد هاشم معروف الحسني، ج١، ص ٥١٤.

أدخله النار»[1]، وفي حديث عنه ﷺ يقول فيه عن الإمام الحسن عليه السلام «هو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فإنه ليس مني»[2]، وفي نص آخر عن أنس بن مالك قال دخل الحسن على النبي ﷺ فأردت أن أميطه عنه (أي أبعده) فقال ﷺ : ويحك يا أنس، دع ابني، وثمرة فؤادي، فإن من آذى هذا آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله[3].

وقد كان ابن عباس لما له من الفضل والتقدير، كان إذا ركب الحسنان أخذ في ركابهما لأنه يعرف جيداً مقامهما عند رسول الله ﷺ، وكان يعدّ ذلك من نعم الله عليه ومن توفيقاته له. وكان الحسنان إذا طافا في بيت الله الحرام يكاد الناس أن يحطمونهما من كثرة الإزدحام عليهما والإهتمام بهما، وصعد صلى الله عليه وآله ذات يوم على المنبر ليخطب، فجاء الحسن فصعد المنبر، فوضعه الرسول على رقبته حتى كان يرى بريق خلخاليه من أقصى المسجد، وهما يلمعان على صدر الرسول، ولم يزل على هذه الحالة حتى فرغ صلى الله عليه وآله من خطبته[4].

وقد روى البيهقي آن معاوية ذات يوم قال في محضر أشراف الناس من قريش وغيرهم: أخبروني بخير الناس أباً وأماً وعماً وعمة، خالاً وخالة وجداً وجدة، فقام مالك بن العجلان، فأومأ إلى الحسن فقال: ها هو ذا أبوه علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعمه جعفر الطيار في الجنان،

---

١ - مستدرك الحاكم ج٣، ص١٦٦، وهناك بعض النصوص الأخرى والتي وردت بتغيير طفيف.

٢- فرائد السمطين ، ج٢ ص ٣٥. وأمالي الصدوق، ص ١٠١.

٣- سنن إبن ماجة ج١، ص ٥١.

٤- البحار ج٦، ص٥٨.

وعمته أم هانيء بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن رسول الله، وخالته بنت رسول الله زينب، وجده رسول الله، وجدته خديجة بنت خويلد، فسكت القوم»[1].

يقول العالم الكبير المرحوم محمد حسين آل كاشف الغطاء بعد استعراضه لحب النبي للإمامين الحسنين عليهما السلام وشغفه بهما «إن هذا الشغف والحب اللامتناهي ليس لكونهما إبني بنته فحسب، فإن هذه النسبة لا تستوجب كل هذا العطف الخارق لسياج العرف والعادة، ولكن لا شك أن هناك أسراراً وأسباباً هي أدق وأعمق، أسرار روحية هي فوق هذه الوشايج الجسمية، فهل ترى معي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعله ارتفع عن أفق الزمان، وأشرق بروحيته المقدسة من نافذة الدهر، وأطل على صحيفة التكوين من ألفه إلى يائه، فنظر إلى الماضي والحاضر والآتي نظرة واحدة، رأى الحوادث الآتية ممثلة بعينها في صحيفة الوجود لا بصورها على شاشة التمثيل، رأى ما كابد ولداه من الدفاع عن دينه، رأى تجرع الحسن السم من معاوية مراراً حتى قضى بالمرة الأخيرة التي تقيأ بها كبده قطعة وقطعة، ثم ضرب الحسين المثل الأعلى في التضحية.. إن الحسن والحسين نور واحد لا يفضل أحدهما على الآخر قدر عرض شعرة، كل واحد منهما قد قام بواجبه»[2].

إذاً فالحسن والحسين عليهما السلام هما وصية نبينا الأكرم، وهو الذي قال عنهما «هما ولداي وريحانتاي» فما أعظم مقامهما عليهما السلام وما أرفع شأنهما عند الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله الذي يعكس قرار السماء.

١- البيهقي ج١- ص٦٢.

٢ - من كتاب سيرة الإمام الحسن، للسيد شريف القرشي ج٢، ص٢٢- ٢٣ .

كلمة لله والتاريخ:

إن قارئ التاريخ إذا ما دقّق في النصوص النبوية حول مقام الحسنين عليهما السلام وفي الأثناء يشاهد فصول الأحداث التي عصفت بهما، يشعر بالتناقض بين ما سمعته الأمة من نبيّها وما مارسته من أفعال، وكأنّ النبي الأكرم عنى بكل مدحه وثنائه شخصَيْن آخرَيْن، وأمّاً هي غير الزهراء، وأباً هو غير علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا يقودني إلى سؤال كبير.. تُرى هل هما الحسنان نفسهما (الحسن والحسين) الذينَ تآمرت عليهما أمة جدهما النبي صلى الله عليه وآله فجعلت ريحانة النبي الأولى تصل إلى مظلومية متعددة الأوجه والأشكال* بحيث لا يمكن لمفردات وتعابير اللغة العربية الغنية بمعانيها التوصل إلى وصفها وشرحها بدقة، يختصر ذلك الكبد المقطّع المسموم لإمامنا الحسن عليه السلام وجنازته الممزقة بالسهام. والممنوعية من دفنه قرب جده المصطفى التي تشكل إشارات ورموز وعناوين تدلّل على عمق الفجوة والهوة والغربة عن تعاليم ووصايا الحبيب محمد صلى الله عليه وآله لدى الأمة التي تفخر بنبيها رسمياً، وتمارس الذات والأنا والرِدّة عملياً..

أما ريحانة النبي الثانية فعنوانها كربلاء، ومسيرتها الكرب والبلاء.. ومفرداتها الغربة الحسينية.. أما القاتل والظالم فيها، فهو دائم التجدد وكثير التعاقد مع وساوس الشيطان حتى ليُتقرب فيه المجرم إلى الله بسفك دماء الأولياء، في

---

* إن مفردة واحدة من تلك المفردات والمصاديق هو ما ذكره الدكتور طه حسين، وهو من أعجب العجب حينما يصف الإمام الحسن عليه السلام بأنه كان من المؤيدين لعثمان في محاولة هادفة إلى إيجاد شرخ بين موقف الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام من سياسة عثمان وكأن الإمام المجتبى عليه السلام لا يشعر بالإنتماء إلى البيت العلوي والنسب الأشرف حتى يذهب بعيداً مع عثمان مشرّقاً ومغرّباً.

عملية غسل الأدمغة والعقول، وإزالة الطهر كله لتبقى الساحة للرّجس كلّه.

فلكُما أيها الحسنان: أسوةٌ بأمكما وأبيكما. إن ذنبكم وجرمكم يا أهل بيت النبوة أنكم رياحين الطهر وأزاهير الجنة، وأنكم الفردوس الإلهي وشتلاته المضيئة.

إن ذنبكم أنكم الزنابق الإلهية والأنوار من الكوكب الدُرّي، فهو ﴿**يوقد من شجرة مباركة**﴾ [1].

فقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام لِمَ سُميت فاطمة الزهراء زهراء؟ فقال: «لأن الله عز وجلّ خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة، وخرّ الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا.. ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، وأسكنته في سمائي، خلقته من عظمتي، أُخرجه من صلب نبي من أنبيائي أفضّله على جميع الأنبياء، وأُخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري.. يهدون إلى حقي وأجعلهم خلفاء في أرضي بعد انقضاء وحيي»[2].

إن أمكما – يا ريحانتَي النبي- رأت بأم عين بصيرتها مشهدَيكما حينما كانت تبث همومها وأحزانها على قبر جدكما.. رأت مظلوميتكما ببكائها المقنّن، وبشكواها على قبره وهي تشكو الأمة: «أبتاه: صرنا بعدك من المستضعفين، وأصبحت الناس عنّا معرضين».

وأنت أيها الإمام الحسن المجتبى.. أيها النور الذي يشك الظلام بنورانيتك

---

١ – النور ٣٥.

٢ – الطبرسي- نوادر المعجزات ص ٨٢.

ويحاول الجاهلون بمقامك أن يرفعوا عنك التشكيك، ولا أدري لماذا أقحموك في أمر لا يشبه أخلاقك ولا عليه جرت سيرتك الجهادية، وما ذنبك سيدي إن اقتضت منك المصلحة الإلهية وقادتك إلى تكليف هو من الصعوبة بمكان، في زمنٍ جاهلي مع جاهليين جهلاء لا يستأنسون إلا بالظلام ولا يستوحشون إلا من الحق. وقد قيل «وما ذنب عين الشمس إذا كانت عين الخفاش لا تبصر؟».

فسلام عليك سيدي يا شمس الحقيقة الساطعة.

الفصل الثاني:

- من هو معاوية؟.
- مجدّد الجاهلية.
- ابن أبيه وسرّه.
- نفاق باسم الدين.
- أساليبه وطرقه.
- محيي البدع.
- من سجلّات ابن هند.
- القلم... أداة جرائمه.
- القتل... سلاحه الفتاك.
- معاوية في ميزان محمد ﷺ.

من هو معاوية؟

هو ابن أبي سفيان الذي يعدّ من أئمة الكفر، والذي لم يؤمن يوماً بالإسلام، وأمه هند آكلة كبد سيد الشهداء حمزة.

وهو من الذين شكلّوا عقبة بوجه تقدّم مسيرة الإسلام، وقد قال فيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفي أمثاله مخاطباً له: «وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً»[1].

لم يكن الرجل من الخلفاء وإنما كان من ملوك بني أمية الذين توسلوا الوسائل الخبيثة للوصول إلى المآرب الدنيئة[2]، وهو صاحب شعار «الغاية تبرر الوسيلة». وهو المستعد لقتل الآلاف من المسلمين ليبقى له السلطان، وقد قام بقتل العديد من الشخصيات الإسلامية والرموز الإيمانية، فقد قتل حجر بن عدي أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام مع سبعة من أصحابه، وقتل محمد بن أبي بكر بعد أن أحرقه ومثّل به، ومالك الأشتر بواسطة السم الذي دُس له على يد عمرو

١- نهج البلاغة كتاب ٦٤، من كتاب للإمام علي عليه السلام إلى معاوية.

٢- لما آل الأمر إلى عثمان وقرّب بني أمية، علا نجم أبي سفيان، حيث وقف يوماً قبال قبر سيد الشهداء حمزة عليه السلام وقال مخاطباً صاحب القبر: يا أبا عمارة!... إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا يلعبون به...» ثم ركل القبر الشريف برجله، هذا وعثمان بن عفان يراه ويسمعه دون أن ينهاه عن فعله كما في كتاب حياة الإمام الحسن، باقر شريف القرشي، ج٢- ص١٤٢- دار البلاغة.

بن العاص[1]، وهو الذي أمر أهل الشام والكوفة بسب علي بن أبي طالب عليه السلام في قنوت الصلاة[2] وفي خطب الجمعة، رغم صريح قول النبي صلى الله عليه وآله (من سب علياً فقد سبّني)[3].

وقد حارب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الخليفة الشرعي بإتفاق المسلمين، وخرج عليه في حرب صفين، ولم يكتف بذلك، بل كذب على أمير المؤمنين عليه السلام حينما اخبر أهل الشام أن علياً هو الذي قتل عثمان بن عفان[4]، وخرج على إمام زمانه، وكان مجلسه لا يخلو من الغناء والطرب والرقص، وقد كان يتغنّى بذلك ويقول: (إن الكريم طروب) [5] وكان ينفق على المغنيين والراقصات في سهرات المجون والطرب الأموال الطائلة التي لا تعدّ ولا تحصى.

وهو الذي قتل الإمام الحسن عليه السلام حينما دس له السم من خلال زوجته جعدة بنت الأشعث، والقائمة لا تنتهي، فهي باقية حتى بعد موت معاوية لأنه سنّ البدع السيئة وأسّس أساس الظلم الذي لا يزال إلى الآن يستقي من خططه ودسائسه. ولا تزال شعرة معاوية هي المصطلح السياسي الذي يستعمله أهل المكر والغدر والنفاق، وقد اختصر الحسن البصري شخصية معاوية بقوله «أربع

١- الطبري ج٦، ص ١٤٣، وص٥١، والكامل ج٣ ص ٣٢٦ بيروت، وتاريخ ابي الفداء ج١ ص ١٨٦.

٢- المصدر نفسه.

٣- تاريخ الخلفاء للسيوطي ترجمة الإمام علي والمناقب ص٨٢ ونور الأبصار ص٨٩، وفي كتاب الإحتجاج للطبرسي، ج١، ص٢٨٢، «من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أدخله الله نار جهنم خالداً فيها مخلداً وله عذاب مقيم».

٤- الكامل ، ج٣ ص١٦١، بيروت.

٥- تاريخ ابن الوردي ج١، ص ١٦٢، وتاريخ أبي الفداء ، ج١، ص ١٨٩.

خصال كُنّ في معاوية لو لم تكن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه[1] على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده إبنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير، وادّعاؤه زياداً وقد قال رسول الله الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجر وأصحابه »[2] وقد قال فيه عامله سمرة يوم عزله عن ولاية البصرة (لعن الله معاوية، والله لو أطعت الله كما أطعته لما عذبني أبداً)[3].

ودخل عليه صديقه المغيرة بن شعبة وهويقول لإبنه (إني جئت من أخبث الناس)[4].

وسأل معاوية صعصعة بن صوحان العبدي قائلاً: أي الخلفاء رأيتموني؟ فقال صعصعة: أنّى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً. أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير، فمن أجلب على رسول الله ﷺ، وإنما أنت طليق وابن طليق أطلقكما رسول الله ﷺ فأنّى تصلح الخلافة لطليق[5].

مجدد الجاهلية:

لا يخفى على عاقل أن معاوية ابن أبي سفيان، هو ابن الطلقاء ممن عفا

---

١ الانتزاء: المسارعة إلى الشر كما في المنجد.

٢- الكامل ج٣، ص ٢٤٢.

٣- ابن الأثير فيما يرويه عنه في النصائح ص٩.

٤- مروج الذهب، ج٢، ص٣٤٢.

٥- المسعودي، هامش ابن الأثير، ج٦، ص٧.

عنهم النبي الأكرم ﷺ بعد أن دخل المسلمون إلى مكة فاتحين، ومقالة الرسول ﷺ «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[1] في ظل الفتح والظفر الذي حققه الإسلام في مكة، هي من الشهرة بمكان، وهي ملازمة للحديث عن فتح مكة حيث أظهر نبي الرحمة رحمة الإسلام وعفوه حتى على الذين كانت لهم مواقف غير مشرّفة وهم أعداء للإسلام بكل ما تعني العداوة من مضمون سيء، لكن رحابة الإسلام هي التي جعلت أبا سفيان أسيراً لأخلاق الرسول الأكرم ﷺ وآمناً في بيته بعد أن أمّنه النبي ﷺ، وكان لعفو الإسلام بعد قدرته وبسط يده، الأثر النفسي والسلبي الكبيرين على بني أمية قاطبة، وكانت مكة والجزيرة العربية في العصر الجاهلي معقودة اللواء لهم، حيث لم تكن تلك العائلة لتستجيب لنداء الإسلام مذعنة مستسلمة، وإنما كانت تتربص به الدوائر وتعذب معتنقيه، فأظهرت وخصوصاً بعد فتح مكة التسليم لقيادة رسول الله ﷺ والقبول بأحكام الدين قبولاً شكلياً ليتسنى لها فرصة الإنقضاض عليه، ولو استطاعت أن لا تبقي أثراً له لما قصّرت، لأن ظهور الإسلام بدّل المقامات فرفع من كان وضيعاً، ووضع من كان رفيعاً، وقد كان بنو أمية من أولئك الذين وضعهم الإسلام، لأن القيم التي يحملون إنما هي مبادئ وقيم وأد البنات وقتل الأبرياء وعبادة الأصنام وتقديم الأضاحي لها، التي كانت بدورها مورداً اقتصادياً كبيراً لآل أبي سفيان، ولما جاء الإسلام بالقيم السماوية، لا الأرضية الجاهلية ألغى الكثير من العادات والعبادات الجاهلية، والعديد من تقليد الآباء والأجداد الأعمى.

١- السيرة النبوية، ج٢، ص٤٠٠؛ سيرة سيد المرسلين، الشيخ جعفر السبحاني، ج٢، ص ٤٧٧.

ابن أبيه وسرّه:

إستطاع معاوية الذي شكل سراً لأبيه الذي أطلقه الرسول وأعطاه الأمان في مكة، أن يجمع بين يديه المال والسلطة، وأن يهيمن على العديد من المدن والدول مثل دمشق وحمص وفلسطين والأردن.

وكانت له طرقه المتنوعة في إخضاع الناس لإرادته حتى أقنع الغالبية من المسلمين أنه هو من يُمثل الإسلام، وأنّه لا يخطئ حتى لو حارب آل بيت النبي صلى الله عليه وآله، ولقد روى بعض المؤرخين ان معاوية بن أبي سفيان لما أخبر المصلّين في المسجد الأموي بخبر استشهاد علي بن أبي طالب عليه السلام في مسجد الكوفة، ما جعل أحد المصلين يسأل مصلياً آخر: ولماذا كان علي في المسجد؟ وهل كان ممّن يؤدون الصلاة حتى ذهب إلى المسجد؟

ومن الوثائق التاريخية التي تؤكد ذوبان أهل الشام بقرارات معاوية وعدم وجود آراء لهم قبال إرادته وأوامره ونواهيه، ما ذكره ابن قتيبة لمعاوية «..وإني لأخبرك يا معاوية إنك تقوى على علي بدون ما يقوى به عليك. لأنّ من معك لا يقولون إذا قلت ولا يسألون إذا أمرت، ولأنّ من مع علي يقولون إذا قال ويسألون إذا أمر»[1]. بهذا تبين لنا أن أهل الشام ليس لهم إلا إرادة الطاعة العمياء لمعاوية، بينما كانت حرية الرأي والمناقشة سائدة في عصر أئمة الهدى(عليهم السلام).

وعلى أي حال، فمعاوية الذي ما آمن يوماً بالله ولله، وإنما كان في وسط المسلمين وداخلهم ليتمكّن من توجيه ضرباته للإسلام ورموزه، وكانت الأحقاد

١- تاريخ الخلفاء، لإبن قتيبة، ج١، ص٨٢، طبعة بيروت.

الدفينة والبواعث القبلية هي التي أعطته المزيد من الدفع والحركة والنشاط في محاربة الدين الذي كشف عنه وآباءَه المستور فجعلهم مكشوفين في العراء ومفضوحين لدى كل من تذوق حلاوة الإسلام وعبودية الله عز وجلّ، فهم ألفُوا الفساد واعتادوه ديناً ومذهباً، وهم اعتنقوا شرّدين وبؤس عبادة، وقد أراد الله لكل الناس أن يكونوا في خدمة خير دين، الدين الذي مهّد له مائة وأربع وعشرون ألف نبي، فهل يُعقل أن يُترك هذا الدين الذي ضحّى من أجله الأنبياء والأوصياء والصلحاء، عرضة لأهواء المتضرِّرين من وجوده؟ وهل يمكن أن يقبل الله لدينه أن يلعب به السفهاء؟ وهو الذي يخرج الناس من الظلمات ويدخلهم في نور الهداية، وهل مثل معاوية الذي كان يفخر بطريقة قتله للناس فيطعمهم العسل المسموم. فيأكل ضحيته العسل ملتذاً ويغادر الدنيا كارهاً، وهو يردد كلمته المأثورة والمعروفة «إن لله جنوداً من عسل»[1]، فهل يُعطى صلاحية التصرف والتحكّم في كل تُراث السماء؟ وهل يُترك له الحبل ليعيث في الأرض فساداً ويُخضع أمر الدين لمزاجية جاهلية هوجاء؟ وهو الذي قال عنه العالم الجليل محمد الحسين آل كاشف الغطاء «دخل أبو سفيان ومعاوية في الإسلام، ليفتكوا في الإسلام ويكيدوا له، والعدو الداخل أقدر على الكيد والفتك من العدو الخارج، وهذه العداوة ذاتية متأصلة، والذاتي لا يزول وليست هي من تنافس على مال، أو تزاحم على منصب أو جاه، بل هي عداوة المبادئ، عداوة التضاد الطبيعي، والتنافر الفطري، عداوة الظلام للنور ولذا بقي بنو أمية على كفرهم الداخلي ومكرهم الباطني مع تمتعهم بنعم الإسلام وبركاته، لكن لم

---

١ - عيون الأخبار ج١ ص ٢٠١. وفي نص آخر في عيون الأخبار يقول: «إن لله جنوداً منها العسل».

يمس الإسلام شعرة من شعورهم ولا بلّ ريشة من أجنحتهم، كالبط يعيش طول عمره في الماء ولا يبلّ الماء ريشة منه.. حتى إذا أولى من كانت له السلطة بالخلافة إلى أول خليفة منهم طاروا فرحاً، وأعلنوا ببعض ما كانت تكنّه صدورهم، فجمعهم أبو سفيان وقال: «تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة[1]، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار ثم أخذوا زمام الخليفة الأموي بأيديهم وصاروا يقودنه كالجمل الذلول حيث شاؤوا»[2].. فالإنتماء إلى هذا البيت وإلى أصالة الشرّ فيه وحده يجعل من معاوية رجلاً عدوانياً، فكيف إذا كان معاوية الشرّير بنفسه والذي هو بمثابة الثمرة للشجرة الخبيثة، هو بحد ذاته المتنكر لقوانين السماء؟

نفاق بإسم الدين:

كان الرجل يحكم باسم القرآن والدين، لم يكن يتجرأ على الارتكاب العلني للمنكر، وإنما كان يستغل السُذّج من المسلمين ويخدعهم بشعاراته الخدّاعة ليتسنى له بقاء الحكم والسلطان، وهو الذي استفاد كثيراً من مقتل عثمان واعتبر ذلك فرصته التاريخية، حتى تحوّل قميص عثمان بالنسبة له إلى ما يشبه الرّاية، ومعاوية في دهائه ومكره كان بشخصه حجر عثرة كبير بوجه دين محمد

---

١ – إنه المنطق الجاهلي، يقال بثقة جاهلية جهلاء، وكأن الخلافة التي هي خلافة الله قبل أي شيء، تحوّلت إلى ما يشبه كرة القدم، فهي تركل حسب أهواء القوم، فهم لذلك يتلقفون الخلافة، لأن أبا سفيان تبين له أن لا جنة ولا نار. وهي كالجمل المطيع المذعن الذلول يُوجّه حيث يشاء قوّاده!.

٢ – مقدمة كتاب حياة الإمام الحسن للسيد باقر شريف القرشي، ج٢، ص ١١.

بن عبد الله ﷺ حتى يمكن القول أن بقاء أو هلاك معاوية يترتب على أيّ منها نتائج مختلفة، وخير دليل إلى ما ذهبنا إليه. هو ذلك الجواب الحسيني الذي أجابه الإمام الحسين عليه السلام لعلي ابن محمد بن بشير الهمداني حينما ذكر الأخير امتناع الإمام الحسن عليه السلام من إجابة من دعاه إلى الثورة بعد الصلح لعدم استعداد المجتمع الإسلامي لذلك فقال عليه السلام: «صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الإنسان حياً»[1].

وهذه الإشارة وغيرها من الإشارات لسيد الشهداء تبين الخصوصية لشخصية معاوية ومدى تأثيرها في الواقع الإجتماعي للناس الذين لم ينضجوا النضوج الإسلامي المطلوب فكانت الغالبية والأكثرية المجتمعية بمثابة الصدى لنفاقه، وقد كان الرجل كما وصفه المغيرة بن شعبة بأنه أخبث الناس[2]، وكان له الباع الطويل في الخبث والدهاء والمكر والنفاق، واللسان الأطول في قلب الحقائق وتغييرها، حتى يخال العديد من الكتّاب الشعور بأن الإمام الحسين عليه السلام لو ثار بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام على معاوية لاستطاع معاوية أن يُظهر سبط النبي بمظهر المرتجل للأمور والمتسرِّع والمتمرد غير الشرعي، وما تقدم من كلام الإمام الحسين عليه السلام، هو الجواب الكافي والشافي الذي يُظهر حقيقة معاوية العدوانية المغطاة بعناوين منمّقة تخدع الرأي العام.

---

١ - الأخبار الطوال، ٢٢١. تكرّر حديث الإمام الحسين عليه السلام هذا أكثر من مرّة في مطاوي الكتاب نظراً لأهميته ودلالته!.

٢ - أبن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة ج٢، ٣٥٧.

أساليبه وطرقه:

كانت لمعاوية العديد من الأساليب والطرق الملتوية التي لا تصب إلاّ في مصلحته الشخصية ولا يهمه بعدها حياة الناس وسعادتهم، فتارة كان يتعاطى سياسة القتل والتجويع والإرهاب، وطالما كان يهدِّد كل من يروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رواية، وقد كتب خطاباً واحداً وجَّهه إلى عمّاله «أن برئت الذمة ممَّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً»[1]، وأخرى كان يتعاطى سياسة التشريد والتهجير، فقد أنزل من الكوفيين وأُسرِهم – وكانوا من أعظم الثوار تشيعاً- خمسين ألفاً في خراسان[2]، وثالثة: كان يتعاطى سياسة بذل الأموال وشراء الذمم إلى حدٍ وُصفت فيه أعماله بالحلم والكرم، وكان يركز على الطبقات الغنية والرموز الإجتماعية التي لها نفوذها في القبائل والعشائر في الوقت الذي كانت الطبقات الفقيرة تتجرّع كؤوس الفقر والإفقار بشكل لا يوصف من كثرة الجوع والمسغبة، وهو في الأثناء يُغدق على الموالين وأهل الشام وزعماء القبائل لتخرس عند عطائه، الذي كان بدوره يسحق شخصياتهم حيث يمنّ عليهم بالعطاء ويذلّهم بالأموال، والحديث عن طرق وأساليب معاوية يقودنا بدوره إلى إحيائه النزعات القبلية والعداوات الجاهلية والأحقاد القديمة، حتى يمكننا القول بأن الرجل مجدِّد للجاهلية بكل معنى الكلمة، وباعث الروح في كل العصبيات الشيطانية والقوميات التي لا تمت إلى الإسلام والقرآن بأي صلة.

---

١ – ثورة الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين ص ٧٠.

٢ – برو كلمان- تاريخ الشعوب الاسلامية ١-١٢٨.

وعلى أي حال، فإن معاوية وأسلوبه وصل إلى مستويات الحضيض بحيث لا يقدر كاتب أو باحث أن يغيّر في هذه الحقيقة شيئاً، أو أن يبدّلها، لحد لا يستطيع مثل معاوية بمكره، ولا شبيهه بدهائه أن يغيّر التاريخ ويحذف عنواناً عريضاً للإجرام يلبس لبوس الدين، اسمه معاوية ابن أبي سفيان الذي نوّع في أساليبه وعدّد في طرقه، لكنه وحّد وجهة نظره بالإسلام وخطة مساره في الدنيا والآخرة.

محيي البِدَع:

أحدث معاوية في الإسلام الآذان والإقامة في صلاة العيد، رغم صريح قول النبي الأكرم ﷺ: «ليس في العيدين أذان ولا إقامة»[1].

وقد تطيب في الإحرام، مع أن وصايا النبي الصريحة أنّ على المحرم أن يترك الطيب ما دام محرماً، فإذا حلّ من إحرامه جاز له استعماله، لكن معاوية تنكّب سيرة الحبيب المصطفى ﷺ، وقد لبس الحرير وهو يعلم أن الإسلام حرّمه على الرجال إلا في حال الحرب. لكنه لا يهمه الإسلام ولا تحريمه ونهيه عن شيء[2].

وعلى أي حال فإن مخالفات معاوية لصريح أقوال النبي هي أوضح وأشهر من أن تذكر، يكفي أن نذكر واحدة منها كحالة رمزية ومؤشر يدل على أنه ذهب بعيداً عن أحكام الدين، وهي موضوع إلحاق زياد إبن أبيه أو إبن سمية به، مع أن المعروف لدى كل عاقل أن سمية كانت من أصحاب الرايات

---

١ - كشف الغمة للشعراني ، ج١، ص١٢٣.

٢ -النصائح ١٠٠- ١٠١.

بالطائف، وهي بغيّة وكانت تنزل بالموضع الذي تنزل فيه البغايا في محل «حارة البغايا»[1] وهي أولدت زياداً ، لكن معاوية لم يمانع من إلحاق زياد به، وهو أيضاً لم يقف عند وصايا رسول الله ﷺ والتي كان من ضمنها الوصية بوصيّة سيد الوصّيين علي بن أبي طالب عليه السلام، بل أنه تحدّى الوحي والسّماء، وعادى من نصره الله، ونصر من عاداه الله، وهو من أسّس أساس سب علي ولعنه، وقد قال ابن الأثير (إن معاوية كان إذا قنت سب علياً وابن عباس والحسن والحسين والأشتر)[2].

ونقل أبو عثمان الجاحظ في كتاب الرد على الإمامية: «إن معاوية كان يقول في آخر خطبته: اللهم إن أبا تراب ـ يعني علياً ـ ألحدَ في دينك، وصدّ عن سبيلك. فالعنه لعناً وبيلاً وعذبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يُشاد بها على المنابر»[3].

ولو شئنا تعداد مخالفات الرجل للإسلام وللرسول الأكرم ﷺ لما كفانا البحث، لكن الأخطر في المخالفات هو أن يقف معاوية قبال الإسلام ويشكّل نقيضاً للقرآن وعدواً للنبي وأهل بيته عليهم السلام دون أي خجل، ويكفي تصدّيه الكامل لممثلي الشريعة من رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام إلى الإمام الحسن عليه السلام وتاريخ القتل والتقتيل والتشريد والمجازر والحروب وعسله القاتل وإجرامه المفضوح.

---

١ - مروج الذهب ٢\ ٣١٠.

٢- النصائح الكافية لإبن عقيل، ص١٩-٢٠.

٣- المصدر السابق .

فلقد كانت سيرة الرجل أخطر من أن يُبدع آذاناً وإقامة في يوم العيد، ومن أن يحلل الطيب للمحرم، فهو الذي أحلّ قتل الطهر والبيت الطاهر من الذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرّهم تطهيراً.

ومن لا يعي حقيقة هذا الطاغية، ولا يدرس في بدعه التي تعاطى معها على أنّها سُنّة وربما فريضة، هو حتماً لا يفقه عن الإجرام والرذيلة شيئاً على الإطلاق.

فمعاوية هذا ضرب بأحاديث النبي ﷺ بحق سبطه بعرض الجدار.

وهو الذي أُدخل زوراً المواقع الإسلامية وانتزى بالقوة مراكزها المهمة إلى أن وصل المسلمون إلى وقت بات يقال فيه: الحسن ومعاوية كما قيل في عصر أمير المؤمنين: علي ومعاوية، وهذا بحد ذاته مظلومية تضاف إلى العترة الطاهرة، وعلى أي حال فإن ابن هند، دقّق جيداً في أحاديث النبي ﷺ وتعاطى معها على أنها تمتدح الطيبين فقتلهم أو حاول، وأنها تذم الخبيثين فكرّمهم وأحسن وفادتهم، لقد شكلّت له أحاديث الرسول ﷺ ذريعة لتصفية أخصامه، لأنه خاصم الحق والحقيقة، لكن الأسف واللوعة والحزن والكمد على أولئك الذين لم يتعرّفوا على حقيقة معاوية، ولا على جرائمه، فقاتله الله ما أقبح إجرامه وأفظع عدوانه!

من سجلات ابن هند:

دأب الأمويون وعلى رأسهم رمزهم المتصدّي المتردّي معاوية على تأكيد زعاماتهم وأنهم أسياد، وهم الحَكَم لكل متنازع، وهم أصحاب مُلك وثراء، وبوابة الدنيا لمن أرادها. والآخرة لمن لا يملك بصيرة ورؤية، فاستعمل معاوية

العديد من الكتّاب والعلماء لتدوين التاريخ كما يرغب وتزوير الحقائق لمصلحته. وقد جزّر الرجل عندما اقتحم بقرّائه وكُتّابه كتُب التاريخ وتلاعب بالقضايا المفصلية أشدّ ما يكون التلاعب.

وقد شوّه هو وزبانيته الكثير من الأحداث فحقّر العظماء وعَظّم الحقيرين، وبدأت أقلام جنوده من العلماء – وعّاظ السلاطين- تفعل فعلها الشنيع في تغيير الحقائق وتشويه صورة المحقين.

ولا يخفى على ذوي الألباب أن أقلاماً مسمومة من هذا القبيل، هي أخطر وأشنع جريمة من سيوف مشهورة مسلّطة على أصحاب الحق. فمعاوية لم يقصّر في خدمة الأموية في القلم والسيف معاً، في الكلمة والقتل معاً.

القلم.. أداة جرائمه:

ما من شيء أضر على الإسلام من التحريف، والتحريف هو حرف الشيء عن مسيره واتجاهه الأساسي الموجود، وهو التغيير والتبديل قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾[1].

وهناك العديد من أنواع التحريف وأهمها: التحريف اللفظي والتحريف المعنوي.

التحريف اللفظي: هو كمن يأتي بموضوع أو يختلق حديثاً ويقول ما لم يقله الله ورسوله، فقد يقدّم متأخراً أو ويؤخر متقدماً بشكل يؤدي إلى تغيير

١- سورة المائدة، الآية ١٣.

المعنى وتبديل المراد، كأن يقول قائل ومختلق عن رسول الله ما لم ينطق به ﷺ فيقول المحرِّف أن النبي ﷺ قال: «من أكل من بصل عكّا كأنه زارني وزار مكة»[1].

أما التحريف المعنوي: فلا يستطيع المحرّف أن يضيف للنص شيئاً لأنه محفوظ ومعروف بنصّه، لكنه يصول ويجول في المعنى ويتوسع في تحميل اللفظ ما لا يتحمّله بتاتاً، تماماً كما فعل معاوية وتعامل مع حديث النبي محمد ﷺ القائل لعمّار بن ياسر «يا عمّار! تقتلك الفئة الباغية»[2]. وقد برّر معاوية لنفسه أن يقفز عن المعنى المراد بحديث النبي ﷺ لأن جيشه هو الذي قتل عمّاراً دون جيش أمير المؤمنين، فيكون جيش معاوية هو الفئة الباغية.

أمام هذا الحديث النبوي المحفوظ عند المسلمين والمشهور الذي لا يمكن لأحدٍ أن يشكك فيه، رأى معاوية بحيله وخدعه، وباقتراح من عمرو بن العاص أن يغيّر المعنى حيث لا يستطيع أن يحرّف في اللفظ، فاعتبر أن المسؤول عن قتل عمار ليس هو، بل من أرسله إلى القتال وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن هذا القبيل استخدام الكثير من المسلمين لبعض الآيات حينما يلجأون إلى تفسيرها تفسيراً خاطئاً وتحميلها معانٍ متناقضة بالكامل لمقاصد القرآن الكريم.

ونستطيع القول أن معاوية هو بطل في التحريف المعنوي واللفظي معاً،

١- هذا حديث أبي هريرة، الذي جعل نفسه مادة إعلامية يسوّق بضاعة وقد حمّله إلى رسول الرحمة ﷺ وهو منه براء.

٢- مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص١٩٩.

وبطل في طمس معالم التاريخ، وقد قال المدائني عن عصره: «وظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القرّاء المراؤون، والمستضعفون الذين يُظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقرّبوا مجلسهم، ويصبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها»[1].

وقال ابن أبي الحديد: «ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً[2] يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»[3].

وقد جمع العلامة الأميني النجفي الوضّاعين الكذّابين، فوصل إلى ذكر ستمائة وعشرين كذاباً[4] ممن استُخدموا لمصالح خبيثة وأغراض حقيرة، وكان من جملة القضايا التي طالتها يد التحريف والتزييف هي قضية الإمام الحسن عليه السلام وصلحه وزواجه.

مع أن كل من قام بعملية القرصنة هذه، كان يعلم جيداً مدى ما

١- ابن أبي الحديد، ج٣، ص١٦.

٢- وهي من الجعل ما يجعل كعطاء مقابل ما يُقدم من خدمات.

٣- ابن أبي الحديد، ج١، ص٣٥٨.

٤- كتاب الغدير، ج٥، ص١٨٥ إلى ص٣٢٩.

للحسن عليه السلام من مكانة في قلب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومن صلته عليه السلام بالله تبارك وتعالى، إلاّ أنها الدنيا التي تتراءى لأبنائها المذبذبين فيسقطون في أفخاخها ويصطادهم من هم على شاكلة معاوية يشتري عقولهم وأقلامهم ويصادر فكرهم وحريتهم، وما عملية الشراء هذه للذمم ومصادرة القيم والمثل إلا الدليل الصارخ على حقارة الدنيا ونذالة أهلها، وصدق من قال: «أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها»[1].

القتل.. سلاحه الفتّاك:

يحرص أئمة الكفر على إقامة عروشهم وبناء هياكل زعاماتهم حتى لو كلفتهم إراقة الدماء، فالمهم بالنسبة لهم هو السلطان والزعامة، وليس مهماً بعد ذلك الثمن الذي يُدفع، وكأن كراسي المجد الدنيوي تبنى فقط وفقط على جماجم الأبرياء كما يوهمهم الشيطان.

فالذين انتقم منهم معاوية وقتلهم هم من الكثرة بحيث لا تُحصى أعدادهم، ويكفي قتله للإمام الحسن عليه السلام وصية الرسول في الأمة، وتنصيبه ولده يزيد حيث كان من جملة وصاياه له أن يرغم الحسين على بيعته وإلا فلا لغة بينهما إلا لغة السيف والقتل... فتاريخ معاوية الدموي هو من الشهرة بمكان، ومن ينفي ذلك هو المطالب بالدليل، ولا بد من قراءة بعضٍ من تلك السيرة الحافلة بالقتل، فمن كتاب للإمام الحسين عليه السلام وجّهه إلى معاوية «ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة[2] وأصحابه المصلين العابدين، الذين كانوا ينكرون الظلم،

١- الحديث لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، خطبة ١٠٩.

٢- كندة هي من بني كهلان، وبلادهم في اليمن، وكان لكندة مجدها في الإسلام.

ويستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم؟ ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما أعطيتهم الإيمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة ألا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، جرأة على الله واستخفافاً بعهده.

أو لست قاتل ابن الحمق صاحب رسول الله ﷺ وآله العبد الصالح، فقتلته بعدما آمنته... ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والإيمان، والعهود والمواثيق، ولم تفعل ذلك إلاّ لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنّا، وليس الله بناسٍ لأخذكَ بالظنة، وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة»[1].

ولا بد هنا من تسليط الضوء على قائمة المقتولين من قبل معاوية ولنبدأ مع حجر(ره).

أ- حجر بن عدي الكندي:

وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن رجالات الكوفة المعروفين، وقد وصفه الحاكم في المستدرك بأنه: راهب أصحاب محمد ﷺ، كان الزاهد العابد، بل كان يُعرف بأنه مُجاب الدعوة[2]. قتله معاوية مع ستة من أصحابه في منطقة تعرف بـ (مرج عذراء) بغوطة دمشق.

أما عن سبب قتله، مع أن أمثال معاوية لا يحتاجون إلى سبب للقتل، فهو

١- الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٨٩- ١٩٠، وأعيان الشيعة ج٤، قسم أول ١٤٣- ١٤٦.

٢- أصابته جنابة عندما كان أسيراً ، فدعا الله فانسكبت له سحابة ماء، فأخذ منها الذي احتاج إليه، فقال له أصحابه: ادعُ الله أن يخلصنا، فقال: اللهم خر لنا، جاء ذلك في الإصابة ج١، ص٣٢٩.

لسان حجر الذي كان كالسيف المسلّط على الظالمين، فذات يوم كان يردّ على المغيرة بن شعبة وزياد بن سميّة أو ابن أبيه حين شتما أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «أنا اشهد أن من تذمّون أحق بالفضل، ومن تزكّون أولى بالذم، وكان إذا جهر بكلمته هذه، وافقه أكثر من ثلثي الناس، وقالوا: «صدق والله حجر وبرّ»[1] لما اعتقل حجر، أودِع في سجن الكوفة عشرة أيام ليجمعوا معه أصحابه، ثم أُمِر بهم أن يُساقوا إلى الشام، حيث كان وضع الكوفة في حالة غليان شديد بما يمثل حجر في الكوفة من حضور معنوي، فأمر زياد بن أبيه بإخراجهم ليلاً ليحلوا لخفافيش الليل أن يتستروا على فعلتهم الشنيعة، فساروا بهم إلى مرج عذراء فحُبسوا هناك ليأتي قرار معاوية النهائي في أمرهم، بعد أن طال البريد ما بين معاوية وزياد، إلى أن جاء الأمر بقتلهم مع رسل معاوية وكانوا يحملون الأكفان وعلى رأسهم أعور معاوية فقال لحجر «إن أمير المؤمنين[2] أمرني بقتلك يا رأس الضلال! ومعدن الكفر والطغيان.. والمتولي لأبي تراب، وقتل أصحابك إلا إن تراجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم وتتبرأوا منه» فقال حجر وأصحابه «إن الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا، فما تدعوننا إليه ثم القدوم على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه أحب إلينا من دخول النار» وحفرت القبور وقام حجر وأصحابه يصلون ويتعبدون، وكان آخر صلاة لحجر لم يطل فيها الركوع والسجود وقال لهم: والله ما صليت صلاة أخف منها، ولولا أن تظنوا فيّ جزعاً

١- صلح الحسن عليه السلام للشيخ راضي آل ياسين ص٣٣٠.

٢- كانت تسمية معاوية بأمير واحدة من تلك التدليسات التي كانت سائدة في ذلك العصر الجاهلي، مع أن الرجل هو أمير المجرمين السفاكين للدم.

من الموت لاستكثرت منها» ثم قال: «اللهم إنا نستدعيك على أمتنا، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإنّ أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني، فإني لأول فارس من المسلمين هلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها»[1] وهو يوم فتحها[2].ولما ارتعد حجر قالوا له: زعمت أنك لا تجزع من الموت، فابرأ من صاحبك وندعك! فقال: «مالي لا أجزع وأرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعت من القتل، لا أقول ما يسخط الرب» وقال حجر في آخر كلماته «لا تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً، فإني لاق معاوية غداً على الجادّة وإني مخاصم»[3] وقد حدّث التاريخ أن معاوية في لحظاته الأخيرة له في حياته تذكر كلمات حجر فجعل يغرغر بالصوت وهو يقول: «يومي منك يا حجر يوم طويل» وقال ابن عساكر: «إن عائشة بعد أن أنكرت على معاوية قتله حجراً وأصحابه، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء»[4].

ولقي معاوية بعد مقتل هذه الثلة المباركة، الحسين بن علي عليه السلام في مكة، فقال له: «هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال عليه السلام: وما صنعت بهم؟ فقال معاوية: «قتلناهم وكفّناهم وصلينا عليهم ودفناهم! فضحك الحسين عليه السلام ثم قال: «خصمك القوم يا معاوية، لكنا لو قتلنا شيعتك، ما

١- إبن الأثير ج٣ ص١٩٢.

٢- يا لسخرية الأقدار كيف يكافئ حجر على جهاده، الذي فتح مرج عذراء، فيفتح قبره ظلماً وعدواناً؟ فهي قواميس مقررات معاوية ودساتيره الخرقاء!

٣- المصدر السابق.

٤- صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين ص٣٣٩.

كفنّاهم، ولا صلينا عليهم، ولا قبرناهم»[1]، لأن من يقتل بأيدي الأئمة الأطهار يخرج من دائرة المسلمين حكماً.

أما أصحاب حجر الذين استشهدوا معه في مرج عذراء فهم:

شريك بن شداد أو ثداء الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وعبد الرحمن بن حسان العنزي، وقبيصة بن ربيعة العبسي، وكدام بن حيان العنزي، ومحرز بن شهاب بن بحير بن سفيان بن خالد بن منقر التميمي[2].

ب- عمرو بن الحمق الخزاعي:

وهو الصحابي الذي حظي بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يمتعه بشبابه. حيث مرّت عليه ثمانون سنة ولم ير شعرة بيضاء في لحيته، وقد شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفين والنهروان، وقد دعا له الأمير عليه السلام بقوله: «اللهم نوّر قلبه بالتقى، واهده إلى صراطك المستقيم» وقال له: «يا عمر انك لمقتول بعدي، وإن رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتله»[3]، عمرو هذا المجاهد التقي، أمر معاوية بأن يُطعن تسع طعنات كما فُعل بعثمان فطُعن ومات بالطعنة الأولى أو الثانية رحمه الله.

ج- عبد الله بن يحيى الحضرمي وأصحابه:

الذي كان من أصحاب ورجال أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عبد الله من أبعد

١- البحار وغيره، وروى مثلها الطبري وابن الأثير.

٢- من أراد المزيد من المعلومات عن حجر وأصحابه فليراجع الدينوري وابن الأثير والطبري وابن أبي الحديد والاستيعاب والنصائح الكافية.

٣- سفينة البحار، ج٢، ص٣٦٠.

الناس عن الدنيا، وكانت وسيرته مملوءة بالزهد وأقرب إلى حياة الرهبنة، لم يكن يتعاطى الشأن السياسي، إن ذنبه الوحيد الذي كلّفه حياته هو حزنه على استشهاد الإمام علي عليه السلام هو وأصحابه، فما كان من جماعة معاوية إلاّ الهجوم على صومعة عبادتهم وقتل مَن فيها، لأن قلوبهم كانت تخفق بحب علي عليه السلام وتحزن لفراقه عليه السلام وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام في كتاب وجهه إلى معاوية إلى هؤلاء الثلّة بقوله: «أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم إبن سمية أنهم على دين علي صلوات الله عليه، فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علي فقتلهم، ومثّل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وآله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي أنت فيه»[1].

د- رُشيد الهجري:

وهو تلميذ أمير المؤمنين عليه السلام والعالم بعلم البلايا والمنايا، جيء به إلى زياد بن أبيه فقاله له: ما قال لك خليلك- يعني أمير المؤمنين عليه السلام- إنا فاعلون بك؟، قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني، فقال زياد بن سمية: أما والله لأكذّبن حديثه، خلوا سبيله، فلما أراد أن يخرج قال: ردّوه، لا نجد لك شيئاً أصلح مما قال صاحبك، إنك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت، إقطعوا يديه ورجليه، فقطعوها وهو يتكلم! فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه، فقال رُشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلما اخرجوا لسانه قال: نفّسوا عني حتى أتكلم كلمة واحدة، فنفّسوا عنه فقال: «هذا والله تصديق

١- الإمامة والسياسة، ج١، ص١٨٩- ١٩٠.

خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني[1]، وأُخرج مقطعاً، واستُشهد من ليلته رحمه الله.

ومن أولئك المستشهدين والمقتولين على يد معاوية جويرية بن مسهر العبدي الذي أخبره بأمر شهادته سيد الوصيين عليه السلام، وأوفى بن حصن الذي كان لبقاً في معارضته وحكيماً في وعظه، وهذا لم يخلصه من براثن ظلم معاوية حين أمر زياد بقتله سلام الله عليه.

ولا نستطيع في عجالتنا هذه إحصاء قائمة المقتولين والمروّعين والمسجونين بسبب قرارات وأوامر معاوية، الذي خفي عليه أن القتل في سبيل الله، والإرهاب الذي يستعمله الطواغيت لن تكون نتائجه إلا لمصلحة الحق والمحقين، ومن يشك بهذه المعادلة فليدرس في النتائج والمحصلة ليدرك من خلالها استمرارية الحق وأهله وتمجيد الناس لهم وإعلاء قبابهم ومآذنهم بينما يجد في الطرف الآخر قبوراً دُرِسَت حيث لا يتشرف مسلم حتى بزيارتها إن عرفها، هذا فضلاً عن إقامة المراسيم لها ﴿**قل اللهم مالِكَ المُلك تُؤتي الملك من تشاء، وتنزعُ الملك ممّن تشاء، وتُعزّ من تَشاء، وتُذلّ من تشاء، بيدك الخيرُ إنّك على كل شيء قدير**﴾[2].

معاوية في ميزان محمد صلى الله عليه وآله:

معاوية ابن أبي سفيان هو من تلك السلالة التي أضمرت الشرّ للإسلام، والتي لم تترك فرصة سانحة للنيل من عظمة الدين وعظمائه إلا وتلقّفتها

١- سفينة البحار، ج١، ص ٥٢٢.

٢- سورة آل عمران، الآية ٢٦.

واستغلتها أيما إستغلال، لكن معاوية هذا الذي كان يشكّل للبيت الأموي عيناً ورمزاً برز للناس بجلباب الحريص على الدين، وقد خُدع الكثير من المسلمين به، ثم ظهرت لهم الحقائق بعد فوات الأوان، فهو وإن غلّف نفسه وستر ذاته بلباس الإسلام في عصره، لكنه لدى الباحث عن الحق يظهر على حقيقته وتَبينَ للرجل عيوبه ويبقى بلا ستر حتى من ورقة التين، ولئلا ندخل رحاب البحث عنه بخلفية الإتهام، رغم أنه غاص في أعماق الرذيلة والإجرام وتجاوز كل الحدود والمسلمات والضوابط، تعالوا نقرأ معاً ما ورد عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حوله فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: يطلع من هذا الفج رجل يحشر على غير ملتي» فطلع معاوية[1]، ورأى الرسول الأكرم ذات يوم أبا سفيان مقبلاً على حمار، ومعاوية يقود به، ويزيد إبنه يسوق به، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إلعن القائد والسائق والراكب [2].

ولا يخفى على عاقل أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما كُشف له من بصيرة وبما أخبره الله بالمستقبل كان يعلم أن معاوية سيتولّى شؤون الحكم وهو لا يملك الحد الأدنى من الأهلية والجدارة، فحذّر منه المسلمين حتى أنه أمر بقتله، لكن لا حياة لمن تنادي!، وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بقتل من عاداه معاوية ونصب له العداوة.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه» وفي الرواية أن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كان إذا حدّث بحديث الرسول هذا، كان

---

١ - تاريخ الطبري ١١/ ٣٥٧.

٢ - تاريخ الطبري ج١١ ، وفي نص آخر لعن الله القائد والراكب والسائق، المصدر السابق.

يظهر التأثر عليه ويقول: «فما فعلوا ولا أفلحوا»[1]. ولا بد من الإشارة هنا إلى نص نُسب إلى رسول الله ﷺ جاء بصيغ متقاربة وعبارات مختلفة أُعجب به معاوية أيما إعجاب، يقول: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين». وقد رواه البخاري في كتاب الصلح من صحيحه، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده، وابن حجر في الإصابة. لكن مصدر الحديث هو أبو بكرة شقيق زياد من أمه سمية، ولعل المصدر الوحيد الذي روى عن النبي الأكرم هذا الحديث هو أبو بكرة[2]، وقد اعتبر بعض المؤلفين والكتّاب أن هذا الحديث فيه من الفضل للإمام الحسن عليه السلام الشيء الكثير، لكن خفي على هؤلاء الذين نجلّهم ولا نشك في خلفياتهم ونواياهم ومنهم سماحة الشيخ راضي آل ياسين في كتابه (صلح الحسن عليه السلام) وقد خفي عليهم أن هذا الحديث يعطي شرعية الإسلام لمعاوية، وقد أجاد سماحة السيد هاشم معروف الحسني حينما قال: (وقرّت بهذه الرواية عين واضعها معاوية بن أبي سفيان لأنها اعتبرته إحدى الفئتين المسلمتين العظمتين، في حين أن القرآن الكريم يراه من البغاة الذين يجب على المسلمين قتالهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، كما أعتبره النبي ﷺ باغياً كما يستفاد ذلك من قوله ﷺ لعمار (يا عمار تقتلك الفئة الباغية)[3].

وقد تقدم حديث الإمام الحسين عليه السلام الذي أجاب به معاوية فقال: (... لكنا

---

١ - وقعة صفين

٢- أبو بكرة هو نفيع بن الحارث بن كلدة، سمي بأبي بكرة لأنه تدلّى من حصن الطائف يوم حاصرها النبي ﷺ .

٣- سيرة الأئمة الإثني عشر، ج١، ص٥٨٧، وذكر في الحديث النبوي مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص ١٩٩.

لو قتلنا شيعتك، ما كفنّاهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم)[1]. وهذا دليل واضح أن الإمام عليه السلام يعتبر معاوية وأنصاره وشيعته ليسوا من المسلمين وإنما من البغاة، والذي يُقرّب فكرة أن القول هو من موضوعات معاوية واختراعات أقلامه المسمومة، هو أن معاوية كان دائماً يكرّره ويردّده ليكون محفوظاً عند المسلمين، تماماً كتلك المحفوظة التي أشارت إلى حديث الرسول صلى الله عليه وآله الصحيح والذي وصف قاتل عمار بن ياسر بالفئة الباغية، وعلى أي حال فمعاوية لم يكن يخفي بغضه للنبي صلى الله عليه وآله في مجالسه الخاصة، وقد أزعجه أن يسمع في كل يوم باسمه خمس مرات في الآذان، وقد بلغ في بُغضه أنه مكث في أيام خلافته أربعين جمعة لم يكن يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وآله ولما سُئل عن ذلك فقال، لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها»[2]، فيا سبحان الله من يحسد مَن؟ ومن يتطاول على من؟ لكنّها الدنيا الخادعة وهو على شاكلتها.

١- تقدم الحديث تحت عنوان (من سجلات معاوية) وذكرها البحار والطبري وابن الأثير.

٢ - ابن أبي الحديد ج٢، ص ٣٥٧.

الفصل الثالث

برنامج الإمام الحسن عليه السلام

- ماذا يريد المجتبى عليه السلام؟

- مصداق الإرادة الإلهية.

- قراءة الماضي بعين الحاضر.

_ إمامة الحسن والدور المنتظر.

- مستلزمات البيعة.

- دعوة الإمام- ومراوغة المدعو.

برنامج الإمام الحسن عليه السلام

ماذا يريد المجتبى؟:

قيل لأحد العرفاء: ماذا تريد؟ فأجاب: أريد أن لا أريد.. وإذا توجه السؤال إلى الإمام الحسن عليه السلام فإن جوابه الحتمي وإرادته عليه السلام هي إرادة الله سبحانه، حيث لا يمكنه التصرّف إلا بحدود الإرادة الإلهية، الذي يجسّد مظهرها عليه السلام، وأن تكون الدنيا كلها مطيعة مذعنة مستسلمة لخالقها وصانعها.

يقول سبحانه: ﴿**وما خلقتُ الجنّ والإنسَ إلا ليعبدون**﴾[1]. والإمام يريد للأمة أن تعبد الله ولا تشرك بعبادة ربها أحداً، وأن تلتزم طاعته عز وجلّ دون تردد أو حرج كما يقول عزّ من قائل: ﴿**فلا وربِّك لا يُؤمِنونَ حتى يُحكّموكَ فيما شَجَر بينهُم ثمّ لا يَجدوا في أنفسِهم حرَجاً مّما قضيت ويُسَلّموا تسليماً**﴾[2]. وبهذا أخبر الله سبحانه نبيه الأكرم أن من يدّعون الإلتزام والإيمان، فهم وربّك يا رسول الله لا يؤمنون إلا بعد احتكامهم ورجوعهم إليك، في كل ما يختلفون فيه ويتشاجرون حوله، ثم لا يكون في أنفسهم أي نوع من الحرج أمام حكم الله وقضائك بينهم، فيسلّموا لك الأمر والنهي دون تردّد، حتى لو كان الحكم لغير مصلحتهم، ومن هذا المنطلق أراد حفيد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أن

١- الذرايات ٥٦.

٢ - النساء ٦٥.

تكون الأمة مذعنة في أمورها مستسلمة في إرادتها إلى مولاها الحق تبارك وتعالى، بأفرادها الذين امتحن الله سبحانه فلا يزيلون ولا يتزحزحون عن درب الحق مهما كلّف ذلك من تضحيات، أراد الإمام الحسن عليه السلام في كل سيرته وحياته ومسيرة جهاده أن يكون الحكم لله، لأن حكم غيره هو حكم الجاهلية، فهو عز وجلّ الأدرى بصالح عباده، يقول تبارك وتعالى: ﴿**أفَحُكم الجاهلية يبغونَ ومَن أحسنُ من اللهِ حُكماً لقومٍ يوقنون**﴾ [1] وأي حكم آخر ليس له صلة بالله ولا بالتكاليف الشرعية، إنما هو حكم موصل إلى حكم الجاهلية الذي يختاره أهل الذنوب والمعاصي ويكون على حساب حكم الله، لذا أتى الخطاب الإلهي في ذيل وآخر الآية الكريمة ﴿**ومَن أحسنُ من الله حُكماً...**﴾ فالله تعالى هو الخبير بشؤون العباد، وهو البصير بأوضاعهم، والعالم بوساوس أنفسهم، ومكامن صدورهم وما تخفي، ونزغات الشيطان وما يغوي. وحتى لا تكون مرجعية الإنسان نفسه. ومقياس المرء رغباته وشهواته، أخبرهم رب العباد بأنهم غير لائقين للرجوع إلى أنفسهم لأنها شديدة الإمرة بالسوء، وأرشدهم إلى الأنبياء والأوصياء الذين اندمجوا بالرسالات الإلهية حتى خامرت أرواحهم صلتهم بالحبيب الأوحد، وتعلّقت قلوبهم بكمال الإنقطاع إليه عز وجلّ، فلم تعد نفوسهم تعبِّر إلا عن الوحي والرسالة، ولم تعد أفئدتهم تُجاور وتسامر إلاّ غاية آمال العارفين، فهم يعبّرون عن السماء وينطقون عن الوحي، إذ لا خصوصية لأشخاصهم ولا ذاتية لأنفسهم، لذلك كانت فلسفة العصمة الملاصقة لهم، والمفترضة الوجود لأفرادٍ هم أسمى آيات الوجود .

---

١ - المائدة ٥٠.

مصداق الإرادة الإلهية:

إن الأئمة الأطهار الذين يجسدون الطهر والقداسة، إذا أرادوا، فيكون الله هو الذي أراد، لأنهم غير منفصلين إطلاقاً عن الوحي والرسالة، فَهُم من ذلك النور الإلهي، الذي أخرجه الله من صلب نبي من أنبيائه المفضّلين على جميع الأنبياء «أُخرِج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري، يهدون إلى حقي، وأجعلهم خلفاء في أرضي بعد انقضاء وحيي»[1] كما في الحديث القدسي.

ومَن يكن من تلك المعادلة ومن ذاك المعدن، فهو ينطق عن الله، يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه عز وجلّ، يقول تبارك وتعالى **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**[2] **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾**[3] **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾**[4].

أمام هذه الآيات البينات، هل يمكن للباحث أن يكون مضطّراً للسيل من الأدلة التي تدل على أن إمامنا الحسن عليه السلام لم تكن له إلا إرادة السماء؟ ولم يكن يملك إلا تلك الإرادة؟ وهل يكون الصلح الذي اختاره الإمام عليه السلام هو لحفظ حياته، أم لحفظ الإسلام؟

وهل يمكن للشك أن يكون مجافياً للحقيقة إلى الحدّ الذي يسعى

---

١ - الطبري- نوادر المعجزات ص ٨٢- تقدم الحديث عن الأئمة عليهم السلام في فصل من هو الإمام الحسن عليه السلام.

٢ - المائدة ٤٤.

٣ - المائدة ٤٥.

٤ - المائدة ٤٧.

الباحث فيه إلى رفع الشكوك ودفع الإتهامات التي تنال ليس من رجل من أهل الجنة فحسب، وإنما تنال وتطال سيداً من سادة وشباب أهل الجنة؟ وهل يمكن لرجل إلهي عظيم أن يدخل في صلح ليس فيه مصلحة للإسلام حتى يحفظ نفسه وحياته؟.

مع أن وجوده لا ينفك التحامه بالسماء، فهو لا يعيش لنفسه ولا لحياته الشخصية، إنما هو المظهر الحقيقي للإرادة الإلهية التي هي الميزان.

ولو صحّ أن الإمام الحسن عليه السلام يريد النجاة والحياة لنفسه، فكيف نتعامل مع كلمات النبي صلى الله عليه وآله وحبّه له وشغفه به؟ [1].

وهل يُعقل أن يزكي النبي ويمدح رجلاً يسالم من أجل حياته؟.

ولو طال التشكيك حتى لأحاديث النبي واتّهمناه في مدحه وحبه، وقلنا مقالة الفلاسفة (فرض المحال ليس بمحال) فلا أدري ماذا سيبقى لنا من مقدّسات وحرمات؟

معاذ الله أن يقول الرسول صلى الله عليه وآله أمراً من عنده، فهو ينطق عن الله ﴿**وما ينطقُ عن الهَوى، إنْ هو إلاّ وحيٌ يوحى**﴾[2]، فإذا قال النبي قولاً فهو قول الله، وإذا مدح الرسول إنساناً فهو مدح الله، بل إذا أحب النبي شخصاً فهو حبُّ الله، وإذا كره أمراً فهو كُره الله، ولا أدري كيف يمكن للمرء منا أن يحبَّ النبي

---

١ - أشير هنا إلى جزء من حديث الرسول الأكرم وقد تقدّم معنا تحت عنوان المجتبى على لسان المصطفى، قال فيه صلى الله عليه وآله: «أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فإنه ليس مني»، فوائد السمطين، ج٢، ص ٣٥. فما على القارئ إلاّ الوقوف عند هذا الحديث واستقراء كل الأحاديث النبوية التي وصفت منزلة الإمام الحسن عليه السلام ليسهل عليه الفهم والتبصّر.

٢ - النجم ٣- ٤.

ويموت في حبه، ولا يحب علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً.

لا أدري - والله- كيف يمكن لنا أن نتذوق حلاوة حب المصطفى، دون أن نتذوق محبة المجتبى عليه السلام! وعلى أي حال أحيل القارئ العزيز وقبل أن يتعجّل في الحكم على برنامج الإمام الحسن عليه السلام أن يدرس الظروف المحيطة والأسباب الضاغطة لا من منطلق حاضره، بل من منطلق ماضي الإمام وتلك الحقبة الزمنية الصعبة والأليمة.

قراءة الماضي بعين الحاضر:

إن نظرة متأنية للظروف التي واجهها الإمام الحسن عليه السلام، مهما كانت دقيقة وموضوعية، تجعل الباحث التاريخي لا يغض الطرف عن كل الأحداث بتفاصيلها وجزئياتها، فحتى لو توغّلنا في المعلومات وسبرنا أغوار الأحداث المفصلية والأساسية تبقى المعطيات اسيرة النصوص وحبيسة القراطيس بين دفّتي أي كتاب أرّخ الماضي وسجّل أحداثه، فما يردنا من معلومات مهما كَثُرت وتعدّد ناقلها واختلفت مصادرها، فإنها قابلة للقبول والرفض، وهنا تكمن خطورة التعاطي مع أي حدث يُذكر بخلفية، ويُقبل بخلفية دون الرجوع إلى معايير سليمة تحدّد الصحيح من الخطأ، والسليم من السقيم[1].

١- نذكر على سبيل المثال قصة تعدد الزوجات للإمام الحسن عليه السلام والتي ذهب المؤرخون فيها إلى مذاهب شتى، وهناك من قَبِلَ بتلك الشائعات ظناً منهم أنها لا تنال من مقام إمامنا عليه السلام واعتبر أنها إن دلّت على شيء فإنها تدل على رجولة إمامنا عليه السلام وقد غاب عن هؤلاء أنهم قد وقعوا في فخ الدعايات المغرضة والموجهة، فإذا كان التنافس في الدنيا على الجاه الأكثر والزوجات المتعددة، فليس معنى ذلك أن نحمّل معاييرنا الجاهلية إلى أئمة الهدى عليهم السلام.

فحتى المعلومات الصحيحة والموثقة والمتينة سنداً ومضموناً، فهي غير كافية لتسلّط الضوء على عمق الأحداث، والشاهد على ذلك أن أحداثاً نعيشها في زماننا الحاضر، وتنقلها محطات التلفزة الفضائية وكافة وسائل الإعلام، إلا أنها تصل مُسيّسة وضمن خلفيات متعدّدة، فلا يمكننا علىضوئها تقييم أو تقويم[1] الأمور واستخراج النتائج بدقة، بحكم عدم توافر المعلومات الكافية والمعطيات الصحيحة، فيحلل كلّ على مزاجه ومن منطلقات متنوعة كلّ حسب ثقافته، هذا إذا كانت الأحداث معاصرة وتُنقل للمستمع والمشاهد بثاً حياً مباشراً، وهنا مهما نُقلت الأحداث والمجريات، فإن المراسلين سيسلطون الأضواء على جوانب معينة قد لا تكون مهمة على مستوى الحدث، بينما تترك في المقابل جوانب مهمة وأساسية ومفصلية، كل هذا إذا كنا نعاصر تلك الأحداث، فكيف بنا إذا تصدّينا لمعرفة الظروف التي واجهها إمامنا العظيم الحسن بن علي عليهما السلام، فالمعرفة القليلة المتواضعة التي هي بمثابة قراءة صفحة في مجلّد ضخم جداً، لا يمكن أن توصل الأمور كما هي، وإن أوصلت الحقائق، فإنها بلا شعور وإحساس، وإن عشنا مشاعرها فإننا نعيشها بمشاعرنا الآنية والمحدودة، فقد تلفت انتباهنا أحداثاً غير مهمة في الوقت ا لذي نمرّ على الأحداث الجسام مرور الكرام، فسيرة الإمام الحسن عليه السلام المملوءة بالكثير من الأحداث المفصلية، الله وحده العالم بما كان عليه هذا الرجل الإلهي، وهو العالم كيف عاشها وتجرّع غُصصها وكيف تحمّل مرارة المزايدة، فقد نعيش بعضاً منها فنستخدم نصاً نشعر من خلاله بأنه وافي وكافي في إبراز حقيقة الأحداث، ونتخيل أننا استطعنا أن نعيش أحداثها بمشاعرنا الجياشة.

١- يقال كلمة تقييم خطأ شائع، والأصح استعمال كلمة تقويم والله العالم.

وعلى أي حال فإن الذي يفصلنا عن تلك الأحداث أكثر من ألف وثلاثمائة وسبعين عاماً، وهو رقم غير عادي وزمن طويل جداً، فالأجيال قد اختلفت، والعادات أخذت ألف لون ولون، والتقاليد تباينت، وكل ما في الدنيا تغيّر وتبدّل، بما فيها البشر والمسلمون، فهل باستطاعتنا أن نمخر عباب بحر القرون المتطاولة لنفهم المعطيات كما حصلت، دون أن يكون لنا نظرة مسبقة، حتى لا نكون كذاك الناظر من خلال نظّارته الحمراء فيرى اللفت شمندراً، وقد يقسم الإيمان المغلظة أن الذي يراه لا يمت بصلة إلى اللفت، لكنه إذا تخلّى عن نظّارته فهو يرى الأمور كما هي، وهذا هو حال الإنسان حينما ينظر إلى التاريخ بمنظار غير دقيق وضمن خلفيات معروفة وأفكار موجّهة، فقد يقع ضحية الأحداث والمتغيرات وهو يظن أنه غاية في الدقة والموضوعية، وقد يرتطم في الكثير من المحرمات ويتجاوز المقدسات، إذا لم يتقن دراسة التاريخ بتمعّن، ويبقى قول الله تعالى هو الحاكم في كل الأمور فيقول عزّ من قائل: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً* ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً**﴾[1].

وعلى ضوء الآيات الكريمة يتبين لنا أنه ليس كل من يظن بنفسه وبعمله خيراً، أنه كذلك، فهناك من يعتقد بأنه يحسن صنعاً وعملاً، لكنه بالمنظار

١- سورة الكهف، الآيات ١٠٣- ١٠٦.

القرآني من الأخسرين أعمالاً، وهؤلاء سيجازيهم الله بما كفروا به وبآياته ورسله هزواً، وهم في الأثناء يظنون بأنفسهم ظن الخير.

إنها الآخرة غاية المنى، فهي تستأهل البحث والتفكر.. لا تغادر ـ أخا الإسلام ـ الدنيا دون أن تملك أجوبة عن حق الرسول وأهل بيته عليهم السلام.

فإن أجحف التاريخ بحق العظماء، لا ينبغي أن نكون كالوادي يردّد أصداء الماضي وكلمات الظالمين دون أن يكون لنا دور الفعل والنصرة والدفاع عن روّاد الحق والعدل!.

فتعال بنا أخي نبحر في الأحداث المؤلمة ونتعرف على الدور الريادي للإمام أبي محمد الحسن عليه السلام.

إمامة الحسن والدور المنتظَر:

بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وبعد أن انتهى الإمام من مراسم دفن ثاني أعظم مخلوق في الدنيا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد أن نفَّذ الإمام الحسن وصية أبيه أمير المؤمنين عليه السلام بحق قاتله، اجتمع المسلمون لمبايعة الإمام المجتبى عليه السلام، الإمام الذي نصّ على إمامته أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الذي نصبه النبي قبل ذلك مع أخيه الحسين عليه السلام بقوله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»[1]، اجتمع المسلمون في مسجد الكوفة في صبيحة إحدى وعشرين من شهر رمضان المبارك في سنة الأربعين للهجرة النبوية الشريفة، ووقف الإمام الحسن معتلياً منصة الخطابة وبدأ بخطبته الشهيرة بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وبعد

---

١ - نزهة المجالس، ج٢، ص١٨٤..

تعداده لخصال الأمير عليه السلام، قال عليه السلام: «لقد قُبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم عليه السلام وقبض فيها يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله»[1] وهل يصدق هذا الوصف إلا على أمير المؤمنين عليه السلام؟ وهل يمكن أن يتحلّى بالأوصاف الفريدة والخصائص المميّزة غير علي عليه السلام؟ إن الواصف إمام الموصوف، والخطيب مصقع يؤبّن أخطب العرب، فما أروع من الوصف إلا الموصوف، والمدح إلا الممدوح، فلن يتكرّر مثل هذا المشهد على مرّ التاريخ، فهو فريد في كل مستوياته وتفاعلاته، فهو وحده يسيل الدموع ويسكبها بمجرد استعادة الذكرى والذكريات، وفي الأثناء تتمثل للإمام صور أبيه المشرقة فيبكي وتخنقه العبرة ويبكي من حضر من المسلمين. ثم يكمل خطابه معرفاً عن نفسه فيقول عليه السلام: «أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن ابن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبرائيل ينزل إلينا، ويصعد من عندنا...»[2].

حرص الإمام الحسن عليه السلام أن يتضمن خطابه التاريخي تعريف الناس

---

١ - أعلام ا لورى بأعلام الهدى – النصوص الدالة على إمامة الحسن عليه السلام ص ٢٠٦ .

٢ - المصدر نفسه ، أعلام الورى ص ٣٣.

بجهاد أبيه، وعظمة الليلة التي استُشهد فيها، وانه عليه السلام رحل عن الدنيا ولم يترك من حطامها شيئاً، فعسى أن تخشع القلوب وتتغير النفوس وتشحذ الهمم، ثم دعا عليه السلام الناس إلى مبايعته، وهي دعوة إلى الإسلام وليست دعوة شخصية، ومن هذا المنطلق عرّف عن نفسه ليقطع ذرائع الموتورين، فهو عليه السلام حفيد النبي، وإبن الوصي، وهو من أهل بيت النبوة الذين فرض الله مودتهم على كل مسلم ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى**﴾[1].

وما التعريف عن نفسه وحسبه ونسبه إلاّ للحاضر والمستقبل، فهو عليه السلام ليس مقطوعاً من شجرة[2]، وإنما هو من تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وأعداؤه من الشجرة الخبيثة والملعونة في القرآن، فلا يتصور من يقرأ التاريخ أن الإمام الحسن عليه السلام يفتخر على الناس بقرابته وصلته الطاهرة، لكنه عليه السلام كان يقدّم الأدلة الإحترازية لأنه كان يقرأ المستقبل جيداً وقد اخبره به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأوضح تفاصيله وأحداثه.

مستلزمات البيعة:

لما أنهى الإمام خطابه، قام عبيد الله بن العباس يشجع الناس حتى يبايعوه عليه السلام فاستجاب الحضور لذلك، وأعلنوا الرضا والإنقياد وقالوا: ما أحبه إلينا وأحب حقه علينا ومن أحق بالخلافة والبيعة منه، وأقبل الناس يتسابقون على بيعته وتمت البيعة له عليه السلام في الكوفة والبصرة والحجاز واليمن وفارس وسائر المناطق التي كانت تدين لأبيه بالولاء والبيعة، ولما بلغ خبر البيعة إلى

---

١ – الشورى ٢٣.

٢ – هذا مثل عربي يُضرب حين يتجاهل الناس كرامهم ونجبائهم.

معاوية غضب غضباً شديداً، وأخذ يعمل من أجل إفساد الأمر على الإمام عليه السلام وكان يرسل الرجال إلى الكوفة والبصرة وغيرهما لإثارة المشاكل والإضطراب لئلا يستتب الأمر للإمام الحسن عليه السلام، ما اضطر الإمام إلى إرسال كتاب إلى معاوية يقول فيه: «أما بعد فإنك دسست إليّ الرجال كأنك تحب اللقاء لا اشك في ذلك فتوقعه إن شاء الله، وقد بلغني أنّك شمتَّ بما لم يشمت به ذو حجى...» [1] وكان وجود معاوية في الشام الذي عيّنه عمر بن الخطاب واستقلاله بها وتكريس نفسه على أنه كسرى العرب هو العقبة الكؤود التي كانت تعترض طريق الإمام الحسن عليه السلام، خصوصاً أن الرجل رفض أن يدخل في بيعة الإمام، مع أن الأخير عليه السلام حاول جاهداً ثنيه عن محاولات التمرّد لعلّه يرتدع عن ظلم العباد وتنتهي المشاكل ليسود عدل الإسلام بعيداً عن الفتن والحروب، وقد أرسل الإمام له رسالة جاء فيها: «فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أني أحق بهذا الأمر منك، عند الله، وعند كل أوّاب حفيظ، ومن له قلب منيب، واتق الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيّك، سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكُمَ الله بيننا، وهو خير الحاكمين» [2].

دعوة الإمام ومراوغة المدعو:

كان الإمام الحسن عليه السلام على يقين بأن معاوية لن يستجيب لطلبه، لأنه خَبُر الرجل وطريقة تعاطيه ووقاحته مع أبيه، وعلم أنه سيكون أسوء وأشد عناداً

---

١ - شرح النهج ومقاتل الطالبين.

٢ - إبن أبي الحديد ، ج٤ ص ١٢.

معه(عليه السلام)، ولقد أجاب على رسالته بأجوبة ماكرة وخطاب ينمّ عمّا يضمر ويخفي، حيث جاء في رسالته «فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت به محمداً رسول الله من الفضل وهو أحق ألأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه صغيره وكبيره، وقد والله بلّغ وأدّى ونصر وهدى حتى أنقذ الله به من الهلكة وأنار به من العمى.. إنّ هذه الأمة لما اختلفت بينها لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم ولا قرابتكم من نبيكم ولا مكانتكم من الإسلام، فرأت الأمة أن تخرج هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها... فلو علمتُ أنك أضبط مني للرعية وأحوط على هذه الأمة وأحسن سياسة وأقوى على جمع الأموال وأكيد للعدو لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ورأيتك لذلك أهلاً، ولكني قد علمت أني أطول منك ولاية وأقدم منك بهذه الأمة تجربة، وأكبر منك سناً فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني فادخل في طاعتي ولك الأمر من بعدي»[1]. ولا يخفى أن خطاب معاوية للإمام يحمل الإستخفاف به (عليه السلام)، حيث اعتبر أنه(عليه السلام) لا خبرة له كافية، وأنه صغير السن يفتقر إلى التجارب، كانت هذه الأساليب من أكبر حجج معاوية حيث لا يستند عمله لا إلى قرآن ولا إلى سُنة. لذلك برّر لنفسه الإلتجاء إلى أسلوب شيطاني خبيث، وهو لا يعرف منطقاً آخر يمكن أن يحتج به أو يركن إليه، إلا اللامنطق المحتج بأنه أكبر سناً. وهذا الخطاب لم يخاطب بمثله الإمام علي×، وراح يتباهى على الإمام الحسن(عليه السلام)، فهو الأكثر خبرة كما يدّعي، وهو الأقوى على جمع الأموال والأكيد للعدو والأحسن في السياسة وإلى أخر الترهات والإدّعاءات الفارغة التي تدلل على أنه ذهب بعيداً وبعيداً جداً، وأنه يتعاطى مع

---

١ - شرح ابن أبي الحديد، ج٢ ص ٩.

الإمام من واقع انه سيد الموقف والساحة، والأقدر على قلب الموازين رأساً على عقب. وهو في إحدى رسائله يستعمل أسلوبين مشينين مع الإمام أبي محمد حين يحاول إغراءه بالمال والخلافة من بعده تارة، ويحذره أن تكون منيته على أيدي رعاع من المسلمين تارة أخرى وهذا تهديد بذاته، فمن سيحمل الرعاع من الناس على قتل الإمام غير معاوية الخبير جداً بأساليب القتل والغدر والخيانة؟ ومن سيجعل من أولئك الجهلة السذج الذين كانوا جنوداً حقيقيين لمشاريعه يقدمون على تنفيذ مخططاته الإجرامية، والذين كان يهزأ بحبهم، فكان يستعملهم ويستخدمهم ويتعمّد تجهيلهم ليسهل استخدامهم؟ وطالما هدّد بجنود لا يميزون بين الناقة والجمل(*) كأولئك الذين كان يراهن عليهم معاوية. وهل سيميزون بين ابن علي بين أبي طالب عليه السلام وبين ابن أبي سفيان؟ هل سيفرّقون بين إبن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام وبين ابن هند آكلة الأكباد؟. وهل يمكن للسواد الأعظم من الناس ممن يركعون أمام الرغيف ويخضعون أمام السيف المخيف، أن يغيّروا من قواعد مكر معاوية ويقلبوا معادلة شراء الذمم بوقفة تغيّر مجرى التاريخ؟ لكن أنّى يكون ذلك من أشخاص لم يتذوقوا حلاوة الإيمان ولم يحرصوا على أداء واجباتهم الدينية، هذا فضلاً عن أنهم لم يعيروا جماجمهم لله، بل أعاروا أنفسهم لشياطين الأنس والجن، أعاذنا المولى من أمثالهم وجنّبنا ذواتهم الخبيثة.

---

* هؤلاء الناس، دعاهم معاوية ذات يوم إلى إقامة صلاة الجمعة وذلك يوم الأربعاء. وأمر بإعلان ذلك، وقد صلّى من حضر دون أي اعتراض، وقد كان رسول أمير المؤمنين عليه السلام يومها في الشام، فطلب معاوية ممثل علي عليه السلام سراً وقال له: «إذهب إليه وقل له إني آتيك بمئة ألف ضارب سيف لا يميزون بين يوم الجمعة ويوم الأربعاء». جاء ذلك في سيرة الأئمة الأطهار للشيخ مرتضى مطهري، دار الهادي (طبعة: بيروت، ص٤٧).

الفصل الرابع:

- خطة الحرب وعدّتها.
- خيار الحرب.
- الحرب.. وهو ابن بجدتها.
- إعلان النفير.
- خطة الحرب.. وقادتها.
- لماذا عبيد الله بالذات؟.
- ماذا عن قيس بن سعيد؟.
- جنود الإمام.. كم وكيف .
- المدائن.. مقر القيادة.
- مسيرة قوافل الجند.
- القائد العام. قائداً للخيانة.
- وتكسّر سبحة الخيانة.
- تسارع الأحداث.
- هل يترك الإمام الساحة؟.
- لِمَ احتفظ الحسن بحياته؟.
- ماذا عن خيارات أخرى؟.

خطة الحرب وعدّتها

خيار الحرب

لم يكن الإمام الحسن(عليه السلام) يرغب بالصلح مع شخص مثل معاوية، لأنه كان يدرك بأن الأمة الإسلامية لن ترتاح إلا بزواله، ولم يكن يخطر في بال الإمام ولو للحظة أن يدخل في صلحٍ مع المخادع الماكر الذي سيتغنى بالإنتصار على الإمام، وهو الذي طالما ذاق مرارة الحروب مع أبيه، ولا تزال ذكريات الحرب مع أمير المؤمنين حاضرة في ذهنه ومحفورة في قلبه، الأمر الذي يُؤرِّق مضجع معاوية الذي لم يكن ينسى صولات وبطولات صاحب ذي الفقار، ولم يكن في ذهن الإمام إلا لغة السيف ومنطق قتال البغي كله والنفاق كله، ولم يكن الإمام ليسمح لمعاوية أن يأخذ فرصته ليتمكن أكثر من خداع الناس وتضليلهم في معمعة أساليبه الماكرة ، بل أنه(عليه السلام) كان يحمل شوقاً وحباً كبيرين لمواجهة واجتثاث فساد معاوية واقتلاعه من جذوره، لكن الإمام(عليه السلام) المحكوم بضوابط المصلحة الإلهية العليا كغيره من أئمة أهل البيت(عليهم السلام) الذين يتحرّكون وفق التكليف الشرعي، فلا يُستدرَجون إلى إظهار بطولاتهم ، بل الهمّ الأساسي الذي يحكمهم ويكون بمثابة قطب الرحى هو موضوع طاعة الله، وهم(عليهم السلام) الذين يشخّصون التكليف ويمثّلونه أيما تمثيل، وإمامنا الحسن المجتبى لا يمكن أن ينقاد إلا لتكاليفه ، وقد كان بودّه(عليه السلام) أن لا يبقي معاوية على وجه الأرض لترتاح الأرض منه ، وكان يملك رغبة قوية لإزالة شأفة ظلمه من الأرض،

فهو(عليه السلام) المحكوم بضوابط المصلحة العليا، ولا يقوده حبّه لقتال معاوية أن يخوض حرباً إلاّ إذا كانت المصلحة فيها، وهو ابن القائل «لأُسَلِّمَنَّ ما سلِمَت أمور المسلمين ولم يكن فيها جَوْر إلا عليّ خاصّة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافَسْتُموه من زخرُفِه وَزبْرِجِه»[1].

وهو لا يحسن الطواف إلا حول رضا الله .. وهو من أهل بيت عملهم هو القرآن المجيد ، فلا تحيد آياتهم عن المضمون الإلهي، بل هي بذاتها المضمون الرباني والآيات المحكمة غير المتشابهة، والناسخة غير المنسوخة، فالإمام الحسن(عليه السلام) هو الدستور الإسلامي القويم ، وهو المصداق الحقيقي لمقاصد القرآن الكريم، وهو مع ذلك العالم بدقة الموقف وخطورة ما ينبئ به الحاضر، فما هي خياراته؟

الحرب .. وهو ابن بجْدَتها[2]:

لم يكن الإمام الحسن، بعيداً عن أجواء القتال والحرب وهو ابن بجدتها، ولم تكن تنقصه شجاعة وتفتقده بطولة، وقد أكدت العديد من المرويات أنه مع أخيه الحسين قد اشتركا في كثير من الفتوحات الإسلامية، وكان لهما دور بارز في تلك المعارك وربما يناقش في أمر مشاركتهما(عليهما السلام) في الفتوحات، حيث أحدثت بعضها أثراً غير إيجابي على الإسلام والمسلمين، ولا نريد أن نخوض هنا في نقاشات ومخاضات عسيرة. فسواء ثبتت مشاركتهما(عليهما السلام) أم لم تثبت. فهذا لا يخدش في خوضهما المعارك الأساسية التي خاضها المسلمون، وعلى

---

١ - نهج البلاغة خطبة ٨٤

٢ - بُجدة الأمر العلم به، ويقال ابن بجدتها للعالم بالشيء والعارف به.

أي حال فإن للفتوحات الإسلامية آثارها الإيجابية ولا يحسن الطعن بها إذا كانت بعض جزئياتها غير منضبطة الأداء ودقيقة المسلك، وهذا ليس بجديد ولا غريب على بيت الإمام المرتضى وولدَيه عليهم السلام وقد اشترك الإمام عليه السلام في جميع الحروب التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام، في البصرة والنهروان وصفين وكان له دوره الحاسم في كل تلك المعارك، وكانت له مواقفه الجريئة حيث لم يُهن أو يضعف في موقف أو معركة، وغير خافٍ أن الإمام علي عليه السلام كلّف السبطين بمهمة الدفاع عن عثمان[1] ضد الثوار، وقد تحدّث الأمير عن ذلك بقوله عليه السلام: «لقد دافعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً»[2].. وقد جاء في رواية ابن كثير أن الحسن بن علي عليه السلام قد أصيب ببعض الجروح وهو يدافع عن عثمان، وعلى أي حال فالإمام الحسن عليه السلام لم يكن في لحظة من اللحظات إلا الشهم المدافع عن قيم الإسلام وحرمات المسلمين، لأنه المنقاد إلى واجبه دون أن يفرض رغبة في الحرب أو في الصلح، أو يلغي واجباً يحتم واحداً من الأمرين فهو عليه السلام وبعد إلقائه الحجج الدامغة على معاوية وإصرار الأخير على القتال والغي، يستعدّ للقاء ومواجهة معاوية عسكرياً حيث كان عليه السلام ينتظر تلك الفرصة وعلى أحرٍّ من الجمر.

١- ملّ المسلمون من سياسة عثمان وعماله وفشلت كل محاولاتهم بإصلاح ما أفسده أو بتخليه عن السلطة، لكنها كانت محاولات فاشلة أمام إصرار عثمان على انتهاج سياساته المالية والاقتصادية والاجتماعية.

٢- نهج البلاغة، خطبة ٢٤.

إعلان النفير:

بعد استفزازات معاوية المستمرة، وبعد تبادل الكتب والرسائل بين الإمام ومعاوية ، والتي لم تسفر إلا عن نتائج سلبية، وحيث لم يذعن معاوية للإمام المعين من قبل الله ورسوله ووصي رسوله، والمعيّن رسمياً من قبل الناس الذين بايعوه وأعلنوه خليفة للمسلمين، لم يكن بين يدي الإمام إلا خيار الحسم العسكري والجهاد في سبيل الله، فنادى منادي الإمام في الكوفة، يدعو الناس إلى الاجتماع في المسجد، ولما امتلأ المسجد بأهله صعد الإمام المنبر، وقالعليه السلام فيما قال: « .. فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: (اصبروا إن اللهَ مع الصابرين) فلستم أيها الناس نائلين ما تحبونه، إلا بالصبر على ما تكرهون، بلغني أن معاوية بلغه أنّا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك نحونا بجنده فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظرَ وتنظرون...» [1].

نشير هنا إلى برودة رد فعل الناس الذين استمعوا إلى خطاب الإمام الهامّ، حيث لم يصدر منهم أي كلمة، الأمر الذي جعل من عدي بن حاتم الطائي يثور ويتحرّك ويؤنب من حضر قائلاً لهم «ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم؟ أين خطباء مصر الذين ألسنتهم كالمخاريق[2] في الدعة ، فإذا جد الجد فمراوغون كالثعالب[3]». ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي

١- شرح ابن أبي الحديد ، ج٤ ، ص ١٣.

٢- أي أن أصواتكم كأصوات المغنين في الدعة.

٣ - شرح ابن أبي الحديد، ج٤، ص ١٣.

وزياد بن صعصعة التيمي وأنّبوا الناس بدورهم وحرّضوهم على الخروج إلى الجهاد فشهد لهم الإمام الحسن عليه السلام بصدق النية، وبدأ بالتحضيرات اللاّزمة وإعلان أشبه ما يكون بالتعبئة العامة وأجرى بعض المقررات لحفظ النظام والدولة، والتي كان من جملتها أن استخلف على الكوفة ابن عمه المغيرة بن نوفل ابن الحرث بن عبد المطلب الذي أمره أن يحرّك الناس ويحثهم على الجهاد. وخرج الإمام عليه السلام لرد اعتداءات معاوية الآثمة متوجهاً إلى النخيلة[1] بجحافل جيشه كما هو المفترض. حتى وصل إلى معسكرها، حيث تتواجد العساكر والجيوش وهناك نظم جيشه الموجود، منتظراً لحاق العساكر الجرّارة من كافة المناطق التي كانت تغطيها خلافة الإمام والتي شملت فارس، وخراسان، واليمن والحجاز والكوفة والعراق، ولم يلتحق به خلال عشرة أيام في النخيلة إلا أربعة آلاف فرجع عليه السلام إلى الكوفة[2] يستحث الناس ويطلب منهم الالتحاق والإنتظام في عسكره عليه السلام وقد خطب خطبته التي قال فيها فيما روي (وقد غررتموني كما غررتم من كان قبلي)[3] ومن هناك توجه الإمام بجيشه إلى منطقة نزل (دير عبد الرحمن) فأقام بها ثلاثة أيام ليلتحق به من أراد وهي مفترق الطريق بين المدائن ومسكن حيث جيوشه عليه السلام.

١- النخيلة: تصغير نخلة، وهي موضع يقع بالقرب من الكوفة.

٢- بعض المؤرخين ذكروا إن الإمام توجه من النخيلة إلى دير عبد الرحمن، ولم يتعرضوا إلى ذهابه إلى الكوفة بعد النخيلة، فلعل البعض أهمل رواية ذهابه لأنه لا يملك الدليل. ويُضاف إلى ذلك أن الإمام استخلف عليها من يستحث الناس على الإلتحاق به عليه السلام.

٣- الخرايج والجرايح ص٢٨٨، طبعة إيران.

خطة الحرب .. وقادتها!

أرسل الإمام فصيلة من جنوده، وكان عددهم إثني عشر ألفاً لإستطلاع حركة معاوية وإيقافها في مكانها، واختار قائداً لها وهو ابن عمه عبيد الله بن عبّاس بن عبد المطلب، المعروف بصلابة أيمانه وإخلاصه للإمام، وبكرهه لمعاوية، لأنه كان سبباً بقتل ولديه بيد الطاغية بُسر بن أرطأة[1] المخلص جداً لمعاوية، وأرسل الإمام معه قائدَين من خيرة المسلمين، وهما قيس بن سعد بن عبادة وسعيد بن قيس الهمداني، وأمره أن لا يقطع أمراً دونهما، وأن يستشيرهما في جميع الأمور، وزوّد الإمامُ القائدَ العام بوصية قيّمة جاء فيها «يا بن العم! إني باعث معك أثنى عشر ألفاً من فرسان العرب وقُرّاء المصر، الرجل منهم يزيد الكتيبة، فسر بهم، وألِن لهم جانبك، وأبسط لهم وجهك، وأفرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنهم بقية ثقاة أمير المؤمنين، وسر بهم على شط الفرات، ثم أمضي حتى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته فاحتبسه حتى آتيك، فإني على أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كل يوم، وشاور هذين – قيس بن سعد، وسعيد بن قيس- وإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك فإن فعل فقاتله ، وإن أُصبتَ، فقيس بن سعد على الناس، فإن أصيب، فسعيد بن قيس على الناس»[2] والواضح من هذه الوصية أن الإمام يدخل في الجزئيات والتفاصيل ويقدم التوجيهات القيادية الحازمة والحيوية في آن، ويوصي بثقات أمير

١- لقد مات بُسر بن أرطأة شرّ ميتة، حيث جعله الله عبرة لكل الظالمين، انظر في مروج الذهب، ج٣، ص ١٦٢، ط دار الأندلس بيروت.

٢ - كتاب الأصبهاني، ص٢٣.

المؤمنين، ويدخل في حيثيات المواجهة، فإن أصيب القائد يستلم القيادة قيس، وإن أصيب قيس فيتعين سعيد، – وقبل الدخول في تفاصيل حركة الفصيلة نشير إلى أن الإمام إختار من يراهم الأفضل ومن لهم سابقة جهادية وتاريخ ولائي ومعتقد سليم، ولا ادري إذا كان أفضل الجيش وأرقى الفصيلة قد فعل ما فعل، لا أدري كيف كان حال المسلمين والسواد الأعظم من الناس؟.

لماذا عبيد الله بالذات:؟

قد يتساءل من يقرأ السيرة المباركة لإمامنا الحسن عليه السلام عن سر اختياره لعبيد الله لقيادة الجيش، رغم وجود أمثال قيس بن سعد وسعيد بن قيس وغيرهما. وخلاصة الأمر هو التالي: إن عبيد الله له من الكفاءة والقدرة والتاريخ الجهادي ما يؤهله لتحمل هذا المنصب الخطير، خصوصاً أن للرجل من السوابق في ساحات الوغى ما لا يمكن غض النظر عنها، فهو قد تربى في مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام، ونهل من معين أخلاقه وبطولاته، وقد واكب السيرة العطرة لأبي تراب عليه السلام، وكان يُعرف بعزوفه عن الدنيا، وكان أميراً للحج لسنة أو سنتين، وكان من السبّاقين إلى بيعة الإمام الحسن عليه السلام وكان يبدي إخلاصاً مميزاً لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله. من منطلقات دينية وخلفية القرابة وكونه ممن يعرفون جيداً وبشكل دقيق منزلة أهل البيت عليهم السلام، ومقابل ذلك فإن له أسبابه الثأرية حتى يُبقي العداء مع معاوية قائماً، لكنها الدنيا التي تصطاد رجالها وتهلك طلابها وترديهم في أودية سحيقة حينما يختارونها فتروق لهم وتنسيهم المواقف البطولية فينسحقون أمامها وينقادون لرغباتهم في أداءٍ فيه من الذل ما لا يُوصف ومن المهانة ما لا يُتصور، وإمامنا الحسن عليه السلام كبقية الأئمة الأطهار عليهم السلام تكمن وظيفته

الشرعية بالأمور الظاهرية بعيداً عن المعرفة الغيبية في تفاصيل كل ما يحدث، وإلا فإن الرسول الأكرم ﷺ أخبره بأصل موضوع الصلح، فالدنيا كلها امتحان كبير، ومسألة الصلح هي من إحدى محطاتها ومفردة من مصاديق الإختبار الإلهي للبشر، فهل سيصمد المؤمنون أمام إغراءاتها أم أنهم ينهزمون؟ والإمام الحسن عليه السلام هو من جملة مظاهر الرحمة والغضب الإلهيَين، ووجوده في الدنيا إختبار إلهي لبني البشر ﴿**لِيَهلكَ منْ هلكَ عن بيّنةٍ ويَحيى من حيَّ عن بيّنَةٍ وإنّ اللهَ لسميعٌ عليم**﴾[1]. ولسنا هنا في صدد الدفاع عن الإمام بقدر ما نحن بصدد تبيان الحقائق التاريخية، التي يسعى كتّاب السلاطين فيها إلى تزوير الحقيقة وإظهارها على غير صورتها، وعلى أي حال فالإمام المجتبى لم يجعل القيادة العامة بيد عبيد الله وحده، بل جعلها ثلاثية بينه وبين قيس بن سعد وسعيد بن قيس الهمداني- رئيس اليمانية في الكوفة- ، ما يجعل الأمور غير متروكة لأحدٍ وحده، حتى إذا ما خان عبيد الله العهد والأمانة فإن الجيش سيتحول حكماً إلى الثاني، فإن ضعف، فإلى الثالث، وغير خافٍ على من يدرس الظروف المحيطة في ذلك العصر، يدرك جيداً أن الناس كانت تنتظر من الإمام أن يعيِّن قائداً هاشمياً، فعدم اختيار هاشمي على رأس قائد الجيش سيؤدّي بدوره إلى القال والقيل، وكان من المتوقع لو أن الإمام اختار آخر غير هاشمي مكان عبيد الله لكثر اللغط ولاعتُبر الاختيار هو المسؤول عن كل خلل في تركيبة الجيش، وستخرج الناس بقناعة مفادها: لو أن الإمام اختار قائداً من أهله لكان أجدر من غيره على تحمل المكاره ومواجهة الضغوط.

١- الأنفال ، ٤٢.

ماذا عن قيس بن سعيد؟

عُرف قيس بن سعيد بن عبادة الأنصاري بإيمانه الراسخ والثابت، وصلابته الحديدية في مواجهة الأحداث، وعُرف بالتزامه ورعايته لأوامر الإمام الحسن عليه السلام في كل صغيرة وكبيرة، وقد اختُلف فيما يتعلق بمخالفته للإمام بعد توقيعه لعقد الصلح مع معاوية، ففي الأعيان عن أبي الفرج أن قيساً قاتل بعد عقد الصلح، وقد ذكر ابن الأثير أن قيساً لم يتحمّل الموقف فخيّر أصحابه بين الدخول في طاعة إمام الضلالة، أو القتال من غير إمام فقال بعضهم: «بل نختار الدخول في طاعة إمام الضلالة، فبايعوا معاوية وانصرف قيس فيمن تبعه»[1].

وعلى أي حال فإن ابن الأثير لم يتحدّث عن وقوع قتال بين قيس وجيش الشام، ومهما يكن من أمر فإن إيمان قيس كان مميّزاً، فقد ذكر المسعودي «كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل إلى علي بالموضع العظيم، وبلغ من خوفه الله وطاعته إياه، أنه كان يصلي فلما أهوى للسجود فإذا في موضع سجوده ثعبان عظيم مطوق، فمال عن الثعبان برأسه وسجد إلى جانبه، فتطوق الثعبان برقبته، فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيئاً حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به»[2].

فتدين الرجل وإيمانه يدعم فرضية عدم خروجه عن طاعة الإمام بعد عقد الصلح. خصوصاً أن قيساً ممن تشهد له ساحات الجهاد، وقد تولّى قيادة جيش أمير المؤمنين في فترة زمنية معينة، وكان من المعروفين بولائهم وثباتهم

١- الكامل لإبن الأثير، ج٣- ص٢٠٤.

٢- صلح الإمام الحسن للشيخ راضي آل ياسين ص١٤٣.

لخط آل الرسول ﷺ، كل هذا لا يجعلنا نغض الطرف عن الفرضية الأخرى، فقد تكون تلك الأحداث لا تتحمل عادة حتى لمن تحمّل غيرها من مواقف أقل حساسية وتعقيداً، وحتى لو صحّت الفرضية هذه، فلعلّ شعور قيس بمدى الهوة الكبيرة ما بين الإمام ومجتمعه هو الذي أفقده السيطرة على نفسه، ولعلّه كان يملك شعوراً يجعله مرتاحاً لإتخاذ موقف من هذا القبيل، وقد صدق فيه المثل القائل: «من شهوة التمر يعضّ النوى» وقد يكون داخله إحساس بأن عليه أن يتصرّف وهو الذي صُدِم أمام خيانة عبيد الله وحيال نبأ الصلح الذي شكّل بدوره فاجعة هزّت كيانه وجعلته يتحرك للقتال وينطلق بالجماعة التي اختارت القتال بغير إمام إلى جموع أهل الشام، الأمر الذي أزعج معاوية فراسله يمنّيه ويتوعده، فردّ عليه قيس بقوله: لا والله لا تلقاني إلا وبيني وبينك السيف والرمح، وجرت بينهما مكاتبات أغلظ كل منهما فيها للآخر[1].

نقول هذا ولا نخفي أن اجتهاداً من هذا القبيل ليس صحيحاً ولا يعبّر عن ظاهرة سليمة ولا تبرّره الصدمة مهما كانت كبيرة، وعلى أي حال فالتمرّد إن صح، هو أقل خطراً من الخيانة ومن افتتاح سلسلة الخيانات التي تنطّح لها عبيد الله بن عباس.

هذا إن قلنا بأن قيساً خاض المعركة دون إمام، مع أن الأمر مستبعد، لأن مسلكية قيس الإيمانية وسيرته الجهادية ومواكبته لخط الولاية المتمثل بالأئمة بعد رسول الله ﷺ، كل هذه الخصوصيات والمميزات تشهد على انضوائه تحت راية الحق، فهو يعلم جيداً أنه حتى لو قاتل الباطل وأهله فإن عليه أخذ الإجازة

١- أعيان الشيعة ج٤، ص٢٣.

من أهل الحق خصوصاً إذا كان الوضع دقيقاً وحسّاساً ولا يقبل الإجتهادات الشخصية في ظل وجود النّص أو من نُصَّ على تعيينه وكان ممن يتصل بالسماء. فوجود قيس الدائم في صلب الأحداث ومعايشته للوقائع التاريخية ودقة المرحلة التي عايشها مع الإمام الحسن عليه السلام في كل تفصيل، والتي لا تتحمل على الإطلاق أي مخالفة للمقرّر والمخطط، وهل يمكن لقيس أن يقدم على أمرٍ من هذا القبيل؟ وهو ومن اعتاد على فهم ظروف الأئمة عليهم السلام.

ولنترك الحديث عن التمرّد والخيانة للإنتقال إلى جنود الإمام ومصيبته فيهم، وسير الأحداث التي قادت إمامنا إلى الصلح وجعلته أمراً حتمياً.

جنود الإمام .. كم وكيف:

اختلف المؤرخون في الرقم الذي وصله جيش الإمام الحسن عليه السلام. فبعضهم قال: إن العدد مائة ألف مقاتل، واستدلّ على ذلك برواية ابن قتيبة عن سليمان بن صرد الذي سأل الإمام عن سبب الصلح ومعه مائة ألف مقاتل من أهل العراق. وبعضهم أصرّ على أن يكون أربعين ألفاً كما كان جيش أبيه عليه السلام.

فالمعطيات هي نفسها والجنود هم أنفسهم، فلماذا لا يكون العدد كما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام؟.

ونزيد على هؤلاء أن العدد بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام سيزيد حتماً، بسبب تفاعل الناس مع شهادته المباركة التي أحدثت صدمة كبيرة وزلزالاً قوياً حرّكت القلوب وصدعتها، الأمر الذي جعل الجماهير تنجذب أكثر إلى أئمة الهدى. وتتعاطى على أساسٍ من التكفير عن الخطأ الذي ارتُكب مع سيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام، والتكفير عن ذنب عدم الإنضواء الكامل تحت

قيادته، فليعوّض كل أنواع الاعتراف بالخطيئة عبر خليفته ووصيّه الإمام الحسن(عليه السلام)، ولا يخفى غضب الجماهير وسخطها على الجريمة التي أدّت إلى مقتل أمير المؤمنين(عليه السلام)، وتفاعلها مع ولده(عليه السلام) واستجابتها إلى بيعته حيث كانت صدمتهم بالإستشهاد هي المحرّك الذي أزال الخَدر والكسل عنهم، فراحت الناس تأتي إلى الإمام الخليفة ومن كل حدب وصوب فلعلّهم يعوّضون عن التقصير مع أبيه(عليه السلام)، وقد وصف ابن أبي الحديد جيش الإمام بالعسكر العظيم، ومعلوم أن عدد مقدمة الجيش إثنا عشر ألفاً عسكروا في مسكن، وعدد المتطوعين في الكوفة أربعة آلاف، وليس معلوماً أن متطوعي الكوفة لم يلتحق بعضهم في مقدمة الجيش، وهناك عدد آخر من المتطوعين ربما أتى بعضهم من اليمن أو الحجاز أو فارس وهي مناطق كانت تخضع لها خلافة الإمام(عليه السلام) كما تقدم معنا في عنوان إعلان النفير.

وأقوى الاحتمالات أن يكون العدد حوالي عشرين ألفاً أو يزيدون قليلاً، هذا على مستوى العدد، أما على مستوى النوع والكيف فلقد انطلقت الناس والجماهير الغاضبة والعناصر المنضوية مع الإمام لا على أساس مُنظّم كما هو حال الجيوش المنتظمة ، ولم يكن الدافع الأساسي للجميع من الإستنفار والإلتحاق هو رضا الله وطاعته، فمن هؤلاء أصحاب الطمع والعصبيات التي لا ترجع إلى دين في قول أو فعل، ومنهم من التحق بالإمام لا ليضع حداً للفتنة، بل ليعمّقها في الناس والجيوش، وليسوا من أهل الآخرة ولا من أصحابها.

كالخوارج[1] الذين انطلقوا مع الإمام ليس حباً به ولا اعترافاً بولايته أو فضله عند الله أو منزلته عند رسول الله ﷺ، فهؤلاء استغلوا فرصة الحرب بين عدوّين لهما كبيرَيْن كما يقول الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد، فما من شيء أسوأ من مقاتل يلتحق بسبطٍ لرسول الله ﷺ ولا يكون لحاقه وجهاده في سبيل الله، بل لأهدافٍ رخيصة غير نبيلة، وما أتعس الإلتحاق إذا كان للفتنة، وما أتعس من جنودٍ يخرجون لاستئصال الظلم وهم اشد ما يكون عليه الظلم، ينطلقون كمجاهدين في سبيل الله ويرجعون أعداءً حقيقيين للإسلام وأهله، فقد يطمع المرء في حطام دنيوي زائل وهو أمر معهود لأبناء الدنيا وأصحاب المطامع، لكن أن يصل مستوى الطامع والطمّاع إلى اتخاذ الجهاد المقدّس وسيلة يقتنص منها حاجاته الحقيرة، فهذا من التعاسة بمكان ومن الحقارة بمنزلة مكينة.

وربما يتساءل المرء عن السر الذي جعل من الإمام يقبل هكذا مستوى من جنودٍ لا ينشدون إلاّ الدنيا – ونقصد بهؤلاء، المذبذبين والنفعيّين والخوارج وأصحاب الفتن والمرجفين- وهل ضاعت خيارات الإمام ليقبل نوعية من هذا القبيل؟ والجواب وبكل أسف ولوعة أن الخيارات أصبحت ضيقة، وأن على الإمام أن يقوم بأداء واجباته، فلا يستطيع أن يرفض المتطوع للجندية معه طالما أنه لا يزال يتشهد الشهادتين ويدّعي الإسلام والغيرة عليه، ولم يكن الإمام الحسن عليه السلام وحده هو من ابتلي بأشباه الجنود والرجال، فجده الرسول الأكرم ﷺ، ووالده أمير المؤمنين أصيبا بمثل ما أصيب به عليه السلام، وما يدل على

١- يصف المغيرة بن شعبة الخوارج بقوله: «أنهم لم يقيموا ببلدٍ يومين إلا أفسدوا كل من خالطهم» كما في الطبري ج٦، ص ١٠٩. والخوارج هم أعداء الإمام علي كما هو أعداء معاوية.

خيبة أمل الإمام في جيشه وجنوده وهو العارف بأحوالهم، هو خطابه لهم في المدائن فيقول عليه السلام:

(وكنتم في مسيركم إلى صفين، ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، وأنتم بين قتيلين، قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر)[1] وقصد الإمام بالباكي الثائر أصحابه وخاصته الذين التحقوا به لمعرفتهم بحقه عليهم، وبالطالب للثأر الخوارج المحسوبين على جنوده وليسوا كذلك، وقصد بالخاذل أصحاب الفتن وذوي المطامع وعبدة الأهواء والأنانيات، كل هذا كان يعلمه الإمام عليه السلام وقد ازدادت بصيرته أكثر حين قرعت طبول الحرب وصارت على قاب قوسين أو أدنى.

المدائن مقر القيادة:

اتخذ الإمام عليه السلام من المدائن[2] مركزاً ومقراً لقيادته العليا، بما تملك من مكانة لها موقعها الإستراتيجي الهام وثقلها الجغرافي الكبير، فهي متاخمة لبلاد فارس وهي النقطة التي تصل كل من الكوفة والبصرة وفارس بالأخرى، ويسمح لها موقعها استقبال الجنود من تلك المناطق وغيرها، وكانت المدائن منذ وليها سلمان المحمدي (الفارسي) تتشيع لآل محمد صلى الله عليه وآله وكانت لا تزال في القرن السابع الهجري بلدة لا يسكنها إلا الموالون لآل الرسول صلى الله عليه وآله وعلى ضوء ذلك

١- الملاحم والفتن ص١٤٢، طبعة النجف.

٢- المدائن عبارة عن سبع مدائن متقاربة، كانت العاصمة الساسانية التي عمرّت ألف سنة، وهي تقع قبال ضفاف دجلة، تبعد عن بغداد عشرة فراسخ.

يكون تحرّك الإمام(عليه السلام)على الشكل التالي: الإنطلاق من الكوفة متوجهاً إلى النخيلة التي بقي فيها عشرة أيام ولما لم يجد إلا أربعة آلاف من الذين التحقوا به، رجع إلى الكوفة يستنفر الناس كما روى الحارث الهمداني كشاهد عيان، ثم توجه إلى دير عبد الرحمن حيث بقي ثلاثة أيام ينتظر من يلحق به، ومن هناك انطلق(عليه السلام) إلى المدائن حيث مركز القرار وإدارة المعركة، وهي في الأثناء وكما تقدم معنا يطلب من قائد جيشه أن يعسكر في منطقة مسكن وهي في أقصى الحدود الشمالية للعراق، وما بين المدائن ومسكن خمسة عشر فرسخاً، وبهذا كانت خطة الإمام العسكرية من أهم ما يمكن التوصل إليه، وقد كشفت عن قائد عسكري لا يترك ثغرة إلاّ وعمل على سدّها، ولا شاردة أو واردة إلا وقد أخذ بها، لقد اهتم(عليه السلام) في كل تفصيل يمكن له أن يُسهم في نجاح خطته المحكمة ويمكن له أن يساهم في تحقيق الانتصار، لقد عمل(عليه السلام) لاستغلال عامل الوقت المناسب والظرف المؤاتي ليضرب رأس الظلم وأساس الأموية المتمردة على الحق، لقد أُعجب كلّ من قرأ سير الأحداث وتنظيم القوافل بشخصية الإمام(عليه السلام) حيث كشفت خطته وإدارته عن قائد عسكري ملهم يحسن فنون القتال ويهيئ له عُدّته وعديده، لكنه (سلام الله عليه) لن يستطيع أن يغيّر النفوس المريضة والنفسيات الدنيئة للبشر الذين عاصرهم، والجنود الذين خذلوه، والذين لم يكونوا على مستوى طموحاته، بل كانت آلافهم المؤلّفة على مستوى دريهمات معاوية.

وعلى أي حال فإن الذي يهمنا هنا أن الإمام(عليه السلام) قد وضع خطته بإحكام شديد وهندسها هندسة متقنة، لكن واقع الناس كان واقعاً مريراً على شاكلة

محرّك رغباتهم معاوية، فهلمّ بنا نتعرف على سير تلك الأحداث الأليمة.

مسيرة القوافل:

سار عبيد الله بن عباس بالجند حتى بلغ به إلى الفلوجة ومنها إلى مسكن[*]، حيث كان معاوية قد وصلها قبلهم، فنزل الجنود بإزاء معاوية، وفي اليوم الثاني أجرى معاوية فيما نسميه اليوم (بالوناً اختبارياً) لمعرفة تصميم الإمام على الحرب حيث وجّه بِخَيْل أغارت على جيش عبيد الله، فوقفوا لها وردوها على أعقابها، فعرف معاوية أن المعركة جدية والتصميم على الحرب قائم ولا تراجع عنه، فأطلق خياله وقواه الواهمة المتخيلة فتفتّقت عبقريّة مكره إلى استعمال أسلوب الدهاء لئلا يدخل في حرب ضروس مع ابن علي الكرار، الذي لم ينس سيفه وجولاته وبطولاته، إذاً فليكن المكر هو سيّد الموقف عنده، وهو القائل: «والله لاستميلن بالدنيا ثقاة علي ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياي آخرته»[1] وقد قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يحذِّر أحد ثقاة معاوية زياد بن سمية (وإن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذر ثم احذر)[2] وهذه الصفات هي من صفات إبليس، فمن سمات الشيطان أنه يأتي ابن آدم من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله فلعلّه يحظى بالإستجابة، وهو مع ذلك لا يملّ ولا يقطع أمله في غواية أكبر عدد ممكن من الناس.

---

* مسكن: وهي موضع على نهر دجيل قرب بادان، وهي القرية التي تكثر فيها البساتين والأشجار.

١- سيرة الأئمة الإثني عشر هاشم معروف الحسني ج١، ص٥٧٠.

٢- ابن الأثير ج٥، ص١٧٦.

وهو بدون شك له تاريخ حافل باستمالة جنود أمير المؤمنين(عليه السلام) وتشهد له قضية رفع المصاحف أنه صاحب الدواهي العظمى والشبهات التي تُؤثِّر في ضعاف النفوس، والتي جعلت أهل العراق ينساقون لها، رغم معرفتهم أن علياً(عليه السلام) هو الذي يجسد الحق، أما معاوية فهو الذي راهن على جهل الناس، فلماذا يترك جنوده بين جنود الإمام الحسن(عليه السلام) يقتلونهم ويستأصلونهم؟ أليست الفتنة عند معاوية وإذاعة الشبهات وإثارة الشائعات هي أمضى سلاح؟ ولماذا لا يلجأ إلى حيله المعتادة فيلوي ذراع الأبطال بشبهات قاتلة خادعة ماكرة؟ ولماذا يحارب ويعيد بها أمجاد ذي الفقار يجدّدها إبن الكرّار؟ وأي مصلحة لمعاوية إذا أخرج الإمام الحسن(عليه السلام) السيف من غمده وصار بريقه يُعمي جنود إبن أبي سفيان؟ حيث لا طاقة له على استحضار صور البطولات العلوية، فماذا تراه يفعل؟.

القائد العام.. قائداً للخيانة:

بعد أن أدرك معاوية أن الحرب جدية لجأ لحرب ماكرة يملك فيها خبرة طويلة فأرسل إلى عبيد الله كتاباً جاء فيه: «إن الحسن قد أرسلني في الصلح وسلم الأمر لي فإن دخلت في طاعتي الآن تكن متبوعاً خير لك من أن تكون تابعاً بعد غد، ولك أن أجبتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم أعجل لك في هذا الوقت نصفها وعندما أدخل الكوفة أدفع لك النصف الثاني»[1]. فكّر عبيد الله بالأمر مطولاً وخاف على سمعته العسكرية التي ستنهار أمام جحافل جنود معاوية، فثار لسمعته وللأسف، وندم على قبول القيادة مستسلماً لأنانيته ورغباته ولعاجلة معاوية على حساب آخرته هو، فما كان من المؤمن الصلب في إيمانه كما هو المفترض

---

١ - المصدر السابق، ص ٥٧٠.

وبعد صراع مرير مع نفسه الأمارة إلا الإنسحاق أمام دنانير معاوية ودراهمه، وهو إذ يطمع بأن يكون متبوعاً، بدل أن يكون تابعاً، ولم يلتفت الرجل إلى أنه سيتحول إلى لعنة تاريخية، سيُذكر اسمه كلما ذكر أسماء الخائنين، لقد كان بحق المصداق الحقيقي لعبيد الدنيا الذين يجعلون الدين لعقاً على ألسنتهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون كما يصفهم سيد الشهداء عليه السلام.

وسقط القائد العام أمام إغراءات معاوية الذي كان يراهن على السفالة التي يألفها ويستأنس بها، وقد ذكر أحد الكتّاب ثقة معاوية بضعف نفوس البشر فقال: «وكان إيمان معاوية بالسفالة البشرية، إيماناً لا حدّ له. وهو إيمان يقوم على الاعتقاد بأن أقوم الناس خلقاً، وأشدّهم عزماً وأنقاهم فضيلة، قد تستغويه الأطماع ويذله الحرص، في ساعة من ساعات الضعف الذي يطرأ على النفوس، وفترة من فترات الشك الذي لا ينفك عن مطاردة الناس، ولا يسلم من غوائله أفاضل الناس وأعالي البشريّة»[1].

وانسل من قاعدته ومن بين الآلاف المؤلفة ودخل مع بضعة آلاف في عسكر معاوية، وانتظر جنود الإسلام إمام جماعتهم وقائد معسكرهم عبيد الله ليؤم صلاة الجماعة، فإذ بهم يُفاجئون أن عبيد الله قد أمّ الآلاف لجماعة الخيانة، فيصلي بهم قيس ابن سعد ويأمرهم بالصبر والتبات ويقف بالجنود خطيباً ويقول لهم: «لا يهولنكم ولا يعظمنّ عليكم، ما صنع هذا الرجل المولّه، وإن هذا ولّاه علي على اليمن، فهرب من بسر بن أرطأة، وترك ولُده حتى قتلوا، وصنع الآن هذا الذي صنع» فنادى الناس (الحمد لله الذي أخرجه من بيننا)[2]. وترك حديثه أثراً كبيراً في نفوس الجنود الذين عاهدوه على المضي في الحرب حتى آخر رمق من حياتهم، فيعرض عليهم

١- علي أدهم- مجلة العالم العربي سنة ١١ العدد٢- ص ٣٠.

٢- مقاتل الطالبين ص ٣٥.

الحرب مهما كان الأمر، فيتردد البعض فيما يستعد آخرون للإستبسال ذوداً عن حياض الدين، فيمض بهم لقتال معاوية[1]. وكان قد كتب قيس كتاباً إلى الإمام الحسن عليه السلام يخبره بها بفعلة عبيد الله، ولما وصل الخبر إلى الإمام اتّضحت لديه جيداً معالم ما ستكون عليه الأحداث، واستعدّ عليه السلام لسماع المزيد من الأخبار السيئة لما للخيانة من ترددات ونتائج.

... وتكرّ سبحة الخيانة:

كانت خيانة القائد العام عاملاً مهماً في تفكك جيش الإمام، حيث بدأ التسابق على الخيانة، وبدأ عقد الولاء لأهل البيت عليهم السلام بالإنفراط وصار التسلل الجماعي يفتك بجيش الإمام الحسن عليه السلام، وكانت خيانة عبيد الله هي الباب الذي فتحه على مصراعيه لأكبر عدد ممكن من الجنود الذين وجدوا في ابن عم الإمام ذريعة كبرى للخيانة، على أساس أن الأولى بالوقفة مع الإمام هم أقرباؤه، فلماذا لا يتركون الحسن عليه السلام كما تركه ابن عمه؟ ولماذا لا يلتحقون بمعاوية الذي يملك مالاً وفيراً ودنيا غرّارة، وسيفاً بتّاراً..؟ وكرّت سبحة الخيانة التي بدأت بالآلاف حتى لم يبق مع إمامنا ولو واحدة من تلك الألوف، أو مائة أو... ولم يبق معه عليه السلام إلا نفر قليل وعدد محدود لا يملك أياً من مقومات النصر، فهل سيكمل الإمام خطة حربه أم ستتغير عنده قواعد القتال بتغير المعطيات؟ وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة فلنأخذ بعضاً من العينات والأحداث التي واجهها الإمام عليه السلام والتي شكلّت بدورها نقاط قوة بيد معاوية.

١- يقول المؤرخون: اشتبك الفريقان في معركة ضارية كانت نتائجها لصالح المؤمنين وتراجع بسر بن أرطأة بِمَن معه إلى معسكراتهم مخذولين مقهورين.

تسارع الأحداث:

أهم الأحداث وأخطرها على الإطلاق هي تلك الخيانة من قِبل عبيد الله بن العباس، والتي أعقبها خيانة ثمانية آلاف من الجيش الذين لم يتركوا الإمام فحسب، وإنما تحوّلوا إلى معسكر معاوية، وهذا بدوره قد أضعف مقدمة الجيش الإسلامي وضاعف من أعداد جيش معاوية، بل أحدث الاضطراب في معسكر الإمام الحسن عليه السلام في مسكن وفي المدائن أيضاً، رغم وجود الإمام الحسن بين جنوده، بل إن الأمر تطور إلى أبعد من ذلك حين صارت مشاهدة الإمام عليه السلام بحدّ ذاتها تشكل خطراً على حياته، فقد وصل الحال ببعض جنود الإمام في المدائن أنهم حاولوا إيذاءه، وأصبحوا لا يطيقون النظر إليه عليه السلام حتى اضطر الإمام إلى الانكفاء إلى مقصورة عامله على المدائن سعد بن مسعود ليبتعد عن المحيط والمناخ الذي فرضه معاوية، لقد كان الأحرى بهم هم أن يخجلوا من النظر إلى الإمام جرّاء تفاعلهم مع دنانير وإشاعات معاوية، لا أن يبتعد هو عليه السلام، وهو أحد اثنين هما سيدا أهل الجنة، فقد تسارعت الأحداث وتغيرت مجرياتها بعد خيانة ثمانية آلاف مقاتل وعلى رأسهم قائد جيشهم، ما جعل معاوية يقدم على المزيد من الأفعال غير الشرعية ويستعمل أدواته المحرمة، فقد أثار أجواءً ضبابية من الشائعات، التي كانت تقلب الموازين عند الناس من قبيل تلك الإشاعة التي أذاعها جماعته والتي تقول (إن الحسن يكاتب معاوية على الصلح، فلم تقتلون أنفسكم)[1].

فتارة كان يُذاع في المدائن أن قيس بن سعد أحد قادة جيش الإمام قد

١- شرح النهج، ج٤، ص١٥.

صالح معاوية والتحق به [*]، وأخرى كان يشاع في مسكن أنّ الإمام صالح معاوية[1]، وإلى ما هنالك من إشاعاتٍ كانت تقضي على بقيةٍ من معنويات الجيش وللأسف، ولم تكن الإشاعات أسلحة معاوية الوحيدة، لأنه استعمل أساليب أخرى مخزية له ولمن قِبَلها وهي تقديم الرشاوي حتى لأشخاص معروفين ولهم مكانتهم والتي كان من تأثيرها، أن الإمام الحسن عليه السلام لما وجّه قائداً من كندة على رأس أربعة آلاف وأمره أن يعسكر بالأنبار[2] وأن لا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره، ولما عرف معاوية كتب له كتاباً يعرض عليه فيه بعض كور الشام والجزيرة، وأرسل له خمسمائة ألف درهم، فقبض الكندي المال والتحق بمعاوية مع مائتي رجل، ولما بلغ الخبر الإمام الحسن عليه السلام تأثّر وقام خطيباً وقال عليه السلام - وقلبه يحترق من المجتمع الدنيوي - «هذا الكندي توجه إلى معاوية، وغدَر بي وبكم وقد أخبرتكم مرة بعد مرّة أنه لا وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا، وأنا موجّه رجلاً آخر مكانه وإني أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبكم، ولا يراقب الله فيّ ولا فيكم»[3].

ثم بعث عليه السلام رجلاً آخر من مراد في أربعة آلاف، وأخبره بأنه سيغدر كما غدر الكندي فحلف له بالإيمان الموثقة. فلم يطمئن الإمام لكل أيمانِه وقال: «إنه سيغدر» ولما وصل المرادي إلى الأنبار، عرض عليه معاوية ما عرضه على

---

* لاقت هذه الإشاعة رواجاً كبيراً خصوصاً في نفوس الجيش.

١- اليعقوبي، ج٢، ص١٩١.

٢- الأنبار: مدينة كانت على الفرات (غربي بغداد)، تبعد عنها عشرة فراسخ، وقد سميت بالأنبار لأنها كانت تجمع بها أنابير الحنطة والشعير أيام الفرس.

٣- البحار، ج١٠، ص١١٠.

الكندي فانقلب على الإمام والتحق بمعاوية. ولرب سائل يسأل: إذا كان الإمام قد عرف أن الكندي والمرادي وغيرهما سيلتحقون بمعاوية فلماذا أصرّ على إرسالهم؟ والجواب باختصار: أن الإمام عليه السلام يمارس مهامه القيادية بمعزل عن معرفته بالأمور الغيبية، وليس معنى ذلك أنه لم يكن يحشد كل إمكانياته وطاقاته، وهو الذي لم يكن يترك فرصة يمكن لها أن تشكل عامل تقدّم في معركته إلا واستغلها أيما استغلال، إلا أنه المجتمع المريض الذي يُضعف القائد مهما كانت قوته جبارة، وهذا يذكرنا بخطاب نبي الله لوط عليه السلام حينما قال لقومه: ﴿**قال لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد**﴾[1]. وهكذا إمامنا الحسن عليه السلام الذي سُلب القوة والعدد والعديد، حتى باتت خياراته تضعف تدريجياً، فالناس هم الناس من أبناء الدنيا، والجيش هو من أولئك الناس، وللدلالة على عمق الأحداث وفداحتها وأثرها على الإمام، يكفي معرفة نفسية الجنود الذين هم حسب الفرضية من الجنود المدافعين عنه عليه السلام، لكنهم كانوا بالواقع أصحاب نفسيات منحطة، فهم أباحوا لأنفسهم سرقة أمتعة الإمام من بساط كان يجلس عليه ورداء يلبسه[2]، وسمحوا لأنفسهم توجيه الإتهامات الباطلة للإمام العظيم، حتى انبرى قائلهم وهو الجراح بن سنان - وهو خارجي- قائلاً له عليه السلام: «أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل»[3]، والجراح هذا طعنه في فخذه عليه السلام.. وقد تعرّض إمامنا عليه السلام ثلاث مرات لمحاولات اغتيال في ظل هكذا مجتمع وجنود. وقد أخذ جماعة ممن يدّعون الإسلام مصلاه من تحته، وحمل آخرون ثوبه فنزعوه، ثم حمل الإمام جريحاً إلى المدائن لمعالجة

---

١ - سورة هود الآية/ ٨٠.

٢ - البحار، أعيان الشيعة، تاريخ اليعقوبي. وحياة الإمام الحسن للقرشي، ج٢، ص١٠٢.

٣ - الإرشاد، ص١٠٧.

جرحه*.

هل يترك الإمام الساحة؟

أمام كل الإنهيارات والفتن التي تجعل الحليم حيراناً، هل يستسلم الإمام لجبروت معاوية دون أن يقلب الطاولة على رأسه ليخرج من الأمر بأقل الخسائر؟ نجيب على ذلك بما يلي: لا بد أمام مكر معاوية من خطة تفضح نفاقه وتكشف زيفه، رغم أن الرجل قد أحكم خطته، بحيث يضطر الإمام ليبين للناس مدى خطورة آثار ونتائج الاستسلام له فقال عليه السلام: «ويلكم، والله : إن معاوية لا يفي لأحدٍ منكم بما ضمنه من قتلي، وإني أظن أني إن وضعت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين بدين جدي، وإني أقدر أن أعبد الله عز وجلّ وحدي، ولكن كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويطعمونهم بما جعل الله لهم فلا يَسقون ولا يُطعمون، فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» [1] وبهذا بيّن الإمام للنّاس أن معاوية لا يفي بالعهود، وأن مستقبل أبنائهم سيكون مظلماً وسيتحولون إلى متسولين على أعتاب أبناء معاوية وأضرابه، ولن يقدّروا وقفتهم مع آبائهم، وكان الإمام يدرك حقيقة الناس والمستقبل الذي كان ينتظرهم في ظل زعامة معاوية، لكن ماذا عليه أن يفعل حيال جهل الناس وفهمهم المغلوط؟ فهل يترك الساحة لحكّام الجور أم أنه يجمّدها ريثما تتغير الظروف، حتى إذا ما نضجت فكرة الثورة عند الناس فلا بد من الجهاد والقيام، والمعاناة نفسها التي عانها إمامنا الحسن عليه السلام هي معاناة أبيه أمير

---

* تم أيضاً طعن الإمام عليه السلام بخنجر أثناء تأديته للصلاة ، كما ورد في ينابيع المودة، ص٢٩٢.

١ - حياة الإمام الحسن ج٢ ، باقر شريف القرشي،ص ١٠٥

المؤمنين عليه السلام الذي كان يتحسّر على وضع المجتمع الإسلامي الذي لا يمكن الحديث عن بصيرته وبطولاته بضرس قاطع، وطالما كانت آهاته التي تصف المجتمع السيء تعبّر عن ألمه ووجعه الحقيقي، وقد كان يخاطب الناس بقوله عليه السلام: «المغرور والله من غررتُموه، ومن فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيب،... أصبحت والله لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أُوعِد العدوَّ بكم، ما بالكم! ما دواؤُكم ما طِبكُم القوم رجال أمثالُكم» [1] فإذا كان العاقل لا يجني من الصفصاف ثمراً، فكيف يُعقل أن يجني من ضعاف النفوس والذين يُشتَرَوْن بالمال وممّن اختاروا لأنفسهم أن يتفيئوا بظلال الشجرة الملعونة، فكيف يعقل أن يجني من أولئك ثماراً؟ وأن يتوقع منهم آثاراً غير تلك الآثار السيئة التي تلطّخ وجوههم وتقبّح ذواتهم؟ وعلى أي حال فهو عليه السلام لن يترك الساحة لأهل الباطل ولن يضن بحياته من أجل دنيا زائلة، وسيتصدى لتكليفه مهما كانت نتائجه صعبة وأليمة.

لِمَ احتفظ الحسن بحياته؟

لا يشك أحد بأن روح الحماسة في قلب الإمام الحسن عليه السلام هي أجلى وأوضح من الشمس في رابعة النهار، وليس الإمام في موضع الإختبار ليُظهر للناس حبه للإستشهاد، فنخوة البطولة العلوية تهدر في صدره، وشجاعة أبيه القائل عليه السلام «والله لو تظاهرت العَرَبُ على قتالي لما ولّيتُ عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعتُ إليها» [2] هي أشهر من أن تُعرَّف، والإمام الحسن هو بعض أبيه، لم تكن تنقصه شجاعة التقدم نحو الموت، وهو ابن مدرسة

---

١ – نهج البلاغة، خطبة ٣٠ ، إصدار المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في إيران.

٢ – نهج البلاغة. من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف ٤٥.

الإستشهاد، وابن الذي آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، لكن الموت ليس مقصوداً بذاته لدى الأئمةﷺ. فالإستشهاد مبني على مشروع وبرنامج وأفق، وهو بدونها لا يستكمل عوامل النجاح، فلو تقدّم الإمام إلى الموت وعانقه مع تلك الثلة القليلة، فهل سيكون هناك ثمار لهذا الإستشهاد ونتائج، وهل يأخذ عمله البطولي الملحمي طابعاً مقدّساً أم أنه سيأخذ طابع الخروج عمّا درجت عليه الأمة والمجتمع الإسلامي؟

فموت الإمام سيحقق حلم معاوية الطامع بأن يسود العالم الإسلامي، إنّ قتل الإمام وأصحابه في معركة غير متكافئة على الإطلاق سيُمكّن معاوية من القضاء على تاريخ الإسلام المجيد، وسيعمل حتى على طمس معالم التوحيد، ولن يبقى بعد ذلك من ذكر محمد أو ذكريات محمد شيء، ويكون لسان حاله ما كشفه لسان مقال ولده يزيد:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[1]

وسيبدأ التاريخ تاريخاً أموياً، وبهذا لن تؤدي الشهادة دورها عند الإمامعليه السلام الذي لا يهمه إلا رضا الله، وليس من طبع الأولياء حب البقاء في دنيا الظلم والظلمات، خصوصاً لدى ريحانة النبي، فهل يمكن للإمام أن يستطيب الدنيا ويستعذب البقاء فيها، وهي التي تنكرّت له بأهلها ورجالها وتظاهرت عليه وغدرت به أقبح الغدر؟ يقول الإمام الخميني (قده) وهو يتحدّث عن أولياء الله «ولولا المصالح الإلهية العليا لما ثبتت نفوسهم لحظة واحدة في سجن الطبيعة

---

١ - نثر اللآلئ على نظم الدراري للألوسي.

المظلمة» [1] فهم – الأولياء- لا يستأنسون بالدنيا، ولا يملكهم الحرص عليها لأنها بنظرهم كما يقول الإمام الحسن عليه السلام عنها «فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجيعتها ولا تتوقى في مساويها، غرور حائل» [2]، فحياة الإمام الحسن عليه السلام ليست حياة فرد عادي من هذه الأمة، بل هي حياة روح الأمة ورمزها وسرّها، وحياته عليه السلام هي حياة الأولياء الذين لولاهم لساخت الأرض بأهلها، وعلى أي حال لم يكن الإمام في وارد البقاء على قيد الحياة على حساب مصلحة الدين والقرآن، بل إن المصلحة العليا هي التي حتّمت عليه بأن يأخذ دوراً صعباً وتكليفاً شاقاً لا يفقهه إلا ذو حظٍ عظيم.

ماذا لو استشهد وحيداً ؟ :

بعد أن تحدّثنا عن الإمام عليه السلام وعدم إمكانية أن يكون ضنيناً على حياته، فلا بد من افتراض الاستشهاد بالنسبة له عليه السلام حتى لو خُذل وغُدر به، ألا يمكن أن تشكل شهادته صدمة للمجتمع لعلّه يصحو بها من غفلته؟ وما هي صورة الواقع لو أن الإمام اختار الموت الأحمر على الحياة التي أساءت الأدب معه عليه السلام من خلال أبنائها؟.

ألا يمكن بسلاح الاستشهاد تحقيق ما لم يتحقق بالصلح؟

والأمر وباختصار: أن الإمام لا يفرّط بحياته وبوجوده النوراني من أجل هدف لم تتبلور معالمه بعدُ، فالإمام الحسن مهم وعظيم، إلاّ أن الدين أهم وأعظم، لكن هل يزج إمامنا عليه السلام بنفسه في أتون الموت وفي التهلكة الحتمية

---

١ – الأربعون حديثاً.

٢ – تحف العقول، ص ٥٦.

التي لن تؤدي بدورها إلى نتائج مهمة وأهداف مرجوّة؟ وللإمام عليه السلام وضعية خاصة تختلف حتى عن بقية الأئمة الأطهار فهو بالإضافة لمقامه الرفيع عند الله وتعيينه بالنص كما هو حال الأئمة عليهم السلام، فهو خليفة رسمي اختاره المسلمون وبايعوه ليكون على رأس الحكومة الإسلامية، فقَتْلُهُ عليه السلام سيوجّه ضربة قاسمة للإسلام. لأن الإمام الحسن وهو على سدة الحكم يمثّل ليس الإسلام المعنوي فحسب، بل الرسمي أيضاً، وقتله يعني ضرب الرأس للمجتمع الإسلامي والأمة بأكملها، فلو كان يعلم أن الاستشهاد سيعطي آثاراً إيجابية لكان هو الإستشهادي الأول بعد أبيه عليه السلام يقول الشهيد مطهري: «نرى خصوصية وضع الإمام الحسن عليه السلام فهو خليفة ثار عليه باغٍ وطاغٍ، فلو قتل الإمام الحسن عليه السلام في هذه الحال فهذا يعني مقتل خليفة المسلمين وهزيمة لمقام الخلافة، ومقاومة الإمام الحسن عليه السلام ستؤدّي به إلى القتل كما أدّت مقاومة عثمان إلى مقتله»[1] وواضح معنى أن يُقتل الخليفة الرسمي، الذي يؤدي بدوره إلى استهتار الأمة بكل شيء، فلا يبقى حرمة لشيء ولا كرامة لأحد، ألم يتقدم معنا أن أمير المؤمنين عليه السلام دافع عن عثمان حتى خشي أن يكون آثماً؟

والدفاع الحقيقي الذي دافعه الإمام عبر ولديه الحسنين عليهما السلام ليس من أجل بقاء عثمان كشخص والمخاطرة بسبطي رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما من أجل الدفاع عن الموقع الرسمي الأول المتقدم، وصوناً لمحرمات يعتبر خرقها والتعدي عليها اعتداء سافر على الإسلام كله والمقدّسات كلّها.

يقول العلاّمة الشيخ مطهري رحمه الله «الإمام الحسين عليه السلام سعى إلى أن لا يُقتل

---

١ - سيرة الأئمة الأطهار، للعلامة المطهري ترجمة ش. مالك وهبي- دار الهادي ص ٧٤.

في مكة، لماذا؟ لأن ذلك موجب لهتك مكة، ما دام سيقتل عليه السلام على أي حال فلماذا يُقتل في حرم الله وبيت الله المستلزم لهتك حرمة البيت أيضاً»[1].

ومن كلام العلامة المطهري يتبين لنا حقيقة هي من جملة حقائق كثيرة، وهي أن الإمام الحسن الذي أدار ظهره للدنيا، كان يهرب من سقوط الحالة الرمزية للأمة، تماماً كهروب الإمام الحسين عليه السلام من أن يقتل في مكة وهو عالم بأنه مقتول لا محالة، لكنه لا يريد أن يقدّم للأعداء المزيد من التجرّؤ على الحرمات والمقدسات، فهو عليه السلام من تلك الحرمات، بل من أعظمها، وليس معنى ذلك أنه إذا لم يكن خليفة على المستوى الرسمي صار دمه مهدوراً، بل إنه لا يريد للقوم أن يُمعنوا في التجرؤ على المقدسات والمقامات الإلهية، ما يشكّل سابقة هي من الخطورة بمكان، تضاف إلى سوابق أخطر وهي التصفية الجسدية للأئمة الأطهار، لكنهم عليهم السلام لن يمكّنوا أئمة الكفر والنفاق من إعطائهم ولو فرصة واحدة طالما أنهم قادرون.

ومن هذه المعادلة كان حفظ نفس الإمام واجباً معيناً، فهو محكوم بضوابط المصلحة الإلهية، ولا يمكن ولو في لحظة واحدة أن يخلو بنفسه بعيداً عن الواجب الإلهي المقدس.

ماذا عن خيارات أخرى؟:

مهما حاولنا افتراض خيارات أخرى يمكن لها أن تشكل بدائل عمّا حصل، ستؤدي إلى محصلة مفادها: أن أي خيار غير الذي حصل ليس له نتائج مرضية، لأن أي عمل- صغيراً كان أم كبيراً- يُمكن القيام به، فمن الواجب دراسة

---

١ - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

نتائجه المتوخاة أو آثاره المرجوة، فإذا لم يكن يصب في الغاية المنشودة فهو غير سليم، وليس من الحكمة الإصرار عليه طالما أن نتائجه هي عكس المراد والمرجو، ولنفترض هنا بديلاً عن الصلح وهو أحد أمرين: الحرب السجال التي يمكن لها أن تحقق نصراً على الأعداء، وهي الحرب المتكافئة من حيث الجنود والعدة والعدد، وفي تلك المعركة تكون فرص النصر موجودة ومتوفرة، والخيار الآخر إختيار القتل ولا نقول الحرب المتكافئة التي تمكّن من النصر أحياناً ومن الهزيمة أحياناً أخرى، بل اختيار طريق الاستشهاد بعد اندحار وغدر بعض قادة الجيوش، وانسحاب الآلاف من الجنود، وهنا يكون طريق الاستشهاد كمن يمكِّن العدو من نفسه ويطلب منه أن يضع حداً لحياته فيقتله، ولا يشكّل القتل والإستشهاد زلزالاً في المجتمع لأن إعلام معاوية ولسانه ونفاقه وجواسيسه، هو الذي سيقرأ للمجتمع البيان الرسمي الختامي الذي يشكل بدوره كسراً لهيبة الدولة الإسلامية، ويفتح الباب على مصراعيه لأمثال الطاغية أن يقتل ما يشاء ثم يصدر بيانه عقيب الحادثة، أنه قتل المتمرّدين ووضع حداً للعابثين بأمن المواطن والحكومة. فإذا كان استشهاد الإمام الحسن عليه السلام لا يؤدي دوره في يقظة الشعوب المعاصرة له، وتوعية الجيل الجديد، فإن معاوية هو الذي يصوغ البيان وينددّ بالمشاغبين ويدعو إلى يقظة الجماهير، أما عن المستقبل فأضراب معاوية وأشكاله هم الذين يكتبون التاريخ ويقتلون الحاضر ويدفنون المستقبل، فتكون النتائج ليست أقل من المرجو، بل عكسها ولن يتأتّى لمثل كربلاء أن تشكّل الصدى الذي لا يزال يتردد إلى الآن وإلى أن يبدّل الله الأرض غير الأرض والسماء، لأن الأذن الذي تصم عن سماع صوت الحق، والعين التي تعمى عن

رؤية الحقيقة ستشكل الدماء الكربلائية بألوانها الأرجوانية محطة الاستلهام والعبـرة، لأن دماء الاستشهاد هي اللافتة التي تشير إلى وجهة الطريق، والبوصلة التـي تؤشـر إلى الحقيقة التي لا يألفها إلا القلة من المؤمنين الرساليين، وتبقى كربلاء أبد الـدهر مدينة للإمام الحسن عليه السلام الذي أنضج ظروفها وأينع ثمارها سلام الله عليه.

الفصل الخامس:

- الصلح .. الضرورة.
- ماذا يعنى الصلح ؟.
- الصلح والحرب.. أيهما خير؟.
- متى تشرّع الحرب؟.
- هل الصلح سابقة حسينية؟.
- فارق الإمامَين أم الجائرين؟
- ما هو رأي الحسين بالصلح ؟
- خليفة الصلح لدى معاوية.

الصلح .. الضرورة

ماذا يعني الصلح؟:

هو الإتفاق على عدم الإعتداء، وبعبارة أخرى هو الاتفاق على عدم الحرب، وقد عبّر المحقق الحلّي في كتاب شرائع الإسلام عنه بقوله: «المهادنة وهي المعاقدة على ترك الحرب مدة معينة، وهي جائزة إذا تضمّنت مصلحة للمسلمين»[1] والمهادنة تعني المصالحة والهدنة تعني الصلح. وعلى أي حال فإذا هاجم العدو أرض المسلمين فإن تحرير الأرض واجب، لكن إذا اقتضت المصلحة عقد الصلح فليكن ذلك إلى أمد معين، إذ لا يجوز أن تكون المصلحة مكرّسة للإحتلال إلى أجل غير محدود[2]، ويقول العلامة الشيخ مرتضى مطهري «عندما لا يملك المسلمون القدرة والحرب فلا بد من الصبر حتى تحصل القدرة أو لما يحصل به الإستظهار، أي يُرجى في مدة الصلح كسب القوة أي التخطيط لتحصيل الدعم، أو لرجاء الدخول في الإسلام مع التربّص، أي يؤمل أن يدخل

١- سيرة الأئمة الأطهار - تأليف العلاّمة مرتضى مطهري- دار الهادي- ترجمة الشيخ مالك وهبي ص٦٢.

٢- في الفقه الإسلامي يجوز الصلح في ظروف خاصة سواء كان الصلح اتفاقية أم كان مجرّد ترك حرب، فحين يكون هناك اتفاق يعبّر عنه بالصلح كما حصل مع النبي الأكرم ﷺ في صلح الحديبة، ومع الإمام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية، وحين لا يكون أي اتفاق فيراد به اختيار طريق المسالمة وعدم الحرب كما كان المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية.

المحتل في دين الإسلام»[1].

الصلح والحرب.. أيهما خير؟:

التصدّي للدفاع عن ثورية الحسن عليه السلام وأنه يملك سجلاً بطولياً رائعاً في ساحات الوغى مهم جداً، لئلا ينظر إليه على أنه محب للدعة والراحة، والهجوم الدائم على كل من يصف الإسلام بالإرهاب مهم أيضاً، لئلا يُرى من منظارٍ فيه من القساوة والعنف الشيء الكثير، ولا أدري لماذا علينا دائماً التصدّي للدفاع تارة عن ثورية الإسلام وأنه غير ارهابي، وللدفاع أخرى عن عفوه وسماحته، وأنّه لا يقبل لأبنائه الذل والهوان؟ كل هذا وذاك هو من أسر النظرة الضيقة التي يُفهم الإسلام من خلالها، فيبالغ المتحمس في وصفه للإسلام الثوري حتى يكاد يُشعرك بأن الإسلام ليس فيه إلا القتل ولا شيء عن الصفح والعفو، ويبالغ المحدود في ثقافته في وصفه للإسلام وسماحته وتواضعه لحدٍ يُشعرك بأن قيم الإسلام مبنية على أن تطأطأ رأسك للناس دوماً وبذلك تخدم الدين.

فالإسلام ليس دين الحرب، لأن الحرب فيه استثناء وهي في الظروف الاستثنائية، وقد نزلت آيات القتال بعد أن تعرّض المسلمون للقتل والإيذاء والتشريد، وكانت الإجازة بالقتال بعد أن ذاق المسلمون الأمرّين، وبعد أن أذن لهم النبي بالهجرة إلى الحبشة، إلى أن كانت هجرته صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنورة، حتى نزلت آية القتال والدفاع عن النفس، كما قال سبحانه ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ**

---

١ - سيرة الأئمة الأطهار، تأليف مرتضى المطهري – ترجمة الشيخ مالك وهبي- دار الهادي –ص ٦٣.

بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ[1]﴾. فلا يكون الإسلام دين الحرب، بل أن تشريع الحرب كان بمثابة الدفاع عن الوجود الإسلامي وبيضة الإسلام، فالإسلام دين السلم والحرب معاً، ومن هذا المنطلق يكون الصلح خيرٌ ومصلحة إذا كان يحمي المسلمين ويصون أعراضهم، فقد تجب الحرب في ظرف دون غيره، وقد يجب الصلح في ظرف دون غيره، والحرب ليست مطلوبة دائماً أو الصلح، فربما يكون في زمنٍ ما وجوب الحرب هو الحل الأمثل، وبعد فترة زمنية محددة يكون واجب الجهاد هو الأمثل، وعلى أي حال فلا الدين دين الحرب دائماً، ولا هو دين الصلح دائماً... بل هو دين يقدِّر مصلحة الناس، فلا يلقيهم في التهلكة ولا يتركهم يعيشون حياة الذل والمسكنة، وهو الذي يُلزم المسلمين ويقودهم إلى الحرب أو الصلح، بقدر امتلاكهم للقوة وسيطرتهم وقدرتهم في الظرف الذي يعيشون، وأي حاكم وظالم يواجهون!

---

١ - الحج ٣٩- ٤٠.

متى تشرّع الحرب؟

تشرع الحرب في الإسلام في عدة مجالات:

١- الحرب الإبتدائية: وهي مع الكفار والتي يجيز الإسلام فيها للمسلمين مهاجمة المشركين للقضاء على الشرك، ويُشترط فيها حضور الإمام المعصوم، وشرط هذا الجهاد أن يكون المجاهد بالغاً عاقلاً حراً رجلاً.

٢- الحرب الدفاعية: وهي إذا هاجم عدو بلاد المسلمين يخشى منه على بيضة الإسلام، فيجب على الأمة المبادرة إلى الدفاع سواء كان المدافع رجلاً أم إمرأة، حراً أم عبداً، ولا تحتاج إلى إذن الفقيه والحاكم الشرعي[١].

٣- حرب البغاة: وهي إذا وقعت حرب داخلية بين طائفتين من المسلمين تريد إحدى الطائفتين أن تبغي على الأخرى، فعلى جميع المسلمين أن يسعوا أولاً إلى الصلح بينهما ويتوسطوا للمصالحة بين الطرفين فإن عاند أحدهما ولم يقبل الصلح فعلى المسلمين أن يدخلوا الحرب لصالح الفئة المظلومة ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ**

١- ويقول الفقهاء « ولا يختص الدفاع بمن قصدوه من المسلمين، بل يجب على من علم بالحال النهوض إذا لم يعلم قدرة المقصودين على المقاومة، كما في مسالك الأفهام، ج١، ص١١٦، فكل من علم بالأمر عليه واجب الدفاع إلا إذا علم أن المقصودين بالهجوم قادرين على الردّ، وإلا فيجب، وكلما كان الإنسان أقرب كلما كان الوجوب عليه آكد، كما في كتاب سيرة الأئمة الأطهار- تأليف مرتضى مطهري، ص٦٠.

إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾[1] وكذلك الذين يخرجون على الإمام المعصوم، فيجب على الإمام محاربتهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، كما صنع الإمام علي عليه السلام يوم الجمل وصفين والنهروان.

هل الصلح سابقة حسنية؟

حارب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المشركين تارة وعقد الصلح معهم أخرى كما في صلح الحديبية[2] الذي عقده مع ألدّ أعدائه لمدة عشر سنوات، وقد أعقب الصلح هذا حيرة الأصحاب (*)، وقد وصف هذا الصلح الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقوله: «وما كان قضية أعظم بركة منها»[3] وعقد صلى الله عليه وآله معاهدة مع اليهود والتي تضمنت بدورها عدم تعرّض أي من الطرفين للآخر، وحارب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تارة وسالم أخرى، حتى أن الزهراء عليها السلام وهي التي تعرف

١- الحجرات، الآية ٩.

٢- تعهد المسلمون وقريش بترك الحرب عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم على بعض كما نصت الوثيقة، وهناك بنود أخرى نذكر بعضاً منها وهي: من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه، ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممّن مع محمد حاجاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه وحاله، كما في بنود الصلح وكما ذكر في مجمع البيان ج٩، ص١١٧.

* أوقع صلح الحديبية في نفوس المسلمين الإضطراب وقد ذهبوا مذاهب مختلفة ومتعدّدة جراء هذا الصلح، الذي تبين لهم فيما بعد أن المصلحة الإسلامية العليا تقتضيه، وقد كان من آثار هذا الصلح أن دخل المسلمون مكة فاتحين منتصرين.

٣- سيرة سيد المرسلين: للشيخ جعفر السبحاني- دار الأضواء، ج٢، ص٣٤٨.

شجاعته وبطولته، سألته ذات يوم عن قعوده «مالك يا ابن أبـي طالـب اشـتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين... إلـى أن قالـت: ويـلاي فـي كـل شـارق! ويلاي في كل غارب.. اللهم إنّك أشدّ منهم قوة وحولاً، وأشـدّ بأسـاً وتنكـيلاً؟ وتعني بذلك حبيبة المصطفى إنك يا علي الذي تفـرّ عنـك الأبطـال ويخافـك الرجال، فلِمَ أنت في بيتك تشبه الجنين الذي يجمع يديه ورجليه وهو في رحم أمـه؟ ولِـمَ حبسـت نفسـك وكأنـك المـتهم الـذي لا يحـب أن يـراه أحـد؟ فأجابهاعليها السلام: «لا ويل لكِ بل الويل لشانئك[1] ثم نهنهي عـن وجـدك[2] يـا ابنـة الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيت عن ديني[3] ولا أخطأت مقـدوري[4] فـإن كنـت تريدين البلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أُعدّ لك أفضـل ممـا قطـع عنك، فاحتسبي الله : فقالت حسبي الله وأمسـكت» [5]. وطمـأن المرتضـى ابنـة المصطفى أن المسالمة هي لحفظ الـدين ولصـالح الأمـة، وهـو القائـلعليه السلام فـي الخطبة المعروفة بالشقشقية: «وَطفِقْتُ أرْتئي بين أن أصول بيدٍ جَذّاءَ[6] أو اصـبرَ على طَخيَةٍ عمياءَ[7] يهرمُ فيها الكبيرُ، ويشيبُ فيها الصغيرُ، ويكـدحُ فيهـا مـؤمنٌ

١- مبغضك

٢ - أي كفي عن حزنك وخففي من غضبك

٣ - ما كللت ولا ضعفت ولا عييت

٤ - أي لم أترك ما قدرت عليه

٥ - الإحتجاج للعلامة الطبرسي، مؤسسة الأعلمي ص ١٠٨.

٦ - مقطوعة أو مكسورة

٧ - الظلمة الشديدة

حتى يلقى ربَّه، فرأيت أن الصَّبر على هاتا أحجى[1]، فصبرتُ وفي العين قذىً، وفي الحلق شجاً..»[2]. وعلى ما تقدّم فالصلح ليس سابقة للإمام أبي محمد عليه السلام تفرّد بها عن غيره، فهو عليه السلام مسبوق بفكرة الصلح، وطالما كان يتذكر أقوال جدّه صلى الله عليه وآله وأبيه والتي أخبرته بما ستصل إليه الأوضاع، فذات يوم أخبره أبوه عليه السلام بقوله: كيف بك يا حسن إذا ولي هذا الأمر بنو أمية؟ وأميرها الرحب البلعوم... فيستولي على غربها وشرقها، تدين له العباد، ويطول ملكه، ويسنّ البدع والضلال، ويميت الحق وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله... ويظهر الباطل، ويقتل من ناوأه على الحق» [3].

فالإمام عليه السلام لا يقوم بأي عمل بمعزل عن رأي الإسلام، فهو من تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، ومعاذ الله أن يكون لإمامنا الحسن عليه السلام نهج يُخالف نهج السابقين له واللاحقين به من الأئمة الأطهار عليهم السلام.

فهو عليه السلام غُصن شجرة النبوة الذي لا يحيد عن الحق ولا يتزحزح عنه قيد أنملة، وكما لم يكن الصلح سابقة جديدة على الإسلام، لم يكن الأخير، فالإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قَبِلَ ولاية العهد للمأمون العباسي ضمن ظروف قاهرة فرضت عليه لمصلحة إلهية عليا لسنا الآن بصدد ذكرها، وللمصلحة ذاتها غيّب الله الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه عن الأنظار، وطالما هو في غيبته الكبرى، فهذا معناه أن الأمة لم تصل بعد إلى مستوى النضوج لظهوره، وأنّ الله ادّخره لأنه تعالى لا

---

١ - ألزم

٢ - نهج البلاغة، د. صبحي الصالح- خطبة ٣- ص ٤٨.

٣ - البحار، حياة الإمام الحسن ، باقر شريف القرشي، دار البلاغة ج٢- ص ١٣٦.

يأمن بعدُ على حياته الشريفة حيث لا يزال الخطر محدق به (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، وكلما ارتقت الأمة في سُلّم الإيمان فهي تقرّب ظهوره المبارك الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويطهرها من الطواغيت والجبابرة ﴿**ونريد أن نَمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**﴾ [1].

فارق الإمامَيْن أم الجائرَيْن!:

هل هناك فرق على مستوى الشخصية بين الإمام الحسن عليه السلام وبين الإمام الحسين عليه السلام؟ وهل يرغب أحدهما بالقتال بينما يكرهه الآخر، أو يكره أحدهما الصلح ويحبه الآخر؟ وهل علينا أن نستسلم لمقولات سطحية حادت عن الحق حتى وصفت الإمام الحسن بأنه يميل إلى الترف، ولا خبرة له بشؤون السياسة العامة، وأنه ضعيف الإرادة. ولسنا هنا في صدد الردّ على ترهات هي مجافية للحقيقة، ولا تغرف إلا من حبر أكاذيب وإشاعات معاوية، وعلى أي حالٍ فإن أحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى لم تفرّق بين الإمامين العظيمين، وهي وإن اختلفت في التعابير تجاه الحسنين، فهو اختلاف الدور والمهمة، فهما إمامان قاما أو قعدا، كما عبر جدهما صلى الله عليه وآله وهما معصومان عن الخطأ فلا يفعل أحدهما إلا ما هو الصالح العام للأمة..

فإن اختلفت ظروفهما فهما عليهما السلام على رأي واحد، وإذا طاول الشك الحسن، فقد طاول الحسين أيضاً، إذ لو كان الإمام الحسين عليه السلام يرفض الصلح، فهل يا تُرى يصل إلى القمة في الأدب مع أخيه عليه السلام ؟ فهو عليه السلام لم يكن يكلم أخاه

---

١ - القصص/ ٥.

كلاماً عادياً توقيراً له، فكيف إذا كان الكلام اعتراضاً واستنكاراً؟

فهما واحد في جسدين، ونوران في شخصين.. لا يفقه الداخل بينهما والمفرّق بين شخصيتيهما، إنه يتقحّم دخول النور الواحد والمعدن الواحد، وليس له نصيب في مغايرة الحقائق وتزوير التاريخ، فكل منهما أدّى دوره بأمانة، فكُلّف الأول بالصلح يعاضده أخوه، وكُلّف الثاني بالإستشهاد يهيئ ظرفه أخوه، وقد أحسن وأجاد السيد المرحوم عبد الحسين شرف الدين في مقالة له عنوانها (ثورة الحسين صدى لصلح الحسن) فقال (قده) عن الإمام الحسن عليه السلام «لقد كان الواجب عليه أن يتنازل مع عدم القدرة على تذليل العقبة من إخضاع الأموية المندفعة، لأن تنازله يأتي وفق الخطة التي رسمتها له مبادئه. وليس عائبو تنازله اشد إحساساً منه بآلام التنازل وهو المجروح، ولكنها التضحية الضخمة فرضت عليه أن يتحمّل آلام القعود التي كتبتها عليها مُثُله العليا ومبادئه الحسنة. وهي تضحية لا تقل قدراً – إن لم تزد- عن تضحية الحسين عليه السلام وكن الآن ما شئت فستنتهي آخر الأمر إلى نتيجة رائعة، وهي أن صلح الحسن مصدر من أكبر مصادر ثورة الحسين التحريرية، وإلى أن جوهر التضحية واحد عند الإمامين وإن اختلف مظهرهما والحق أن يوم الطف كان صدى ليوم المدائن صلى الله على سيدي شباب أهل الجنة» [1].

ولما انتقل الإمام الحسن عليه السلام إلى الرفيق الأعلى عبر اليد الآثمة لمعاوية بواسطة جعدة بنت الأشعث، وحيث من المفترض أن تُعمّق مشاعر الغضب في قلب الإمام الحسين عليه السلام حزناً على أخيه وحنقاً على قاتله، رُفعت إلى سيد

---

١ – عن جريدة الساعة الغراء عدد خاص بسيد الشهداء من السنة الرابعة، عدد ٩٠٨.

الشهداء عدة رسائل من زعماء العراق وطوائفه يطلبون منه إعلان الثورة على معاوية فامتنع من إجابتهم لما يريدون وقال لهم عليه السلام «ما دام معاوية في قيد الحياة فلا أتحرك بكل شيء، وإذا مات نظرت في الأمر» [1].

وهذا بدوره يؤكد على أن اختلاف الجائرين بين معاوية ويزيد هو الذي حتّم على معاصر الأول الصلح، وهو الذي حتّم على معاصر الثاني الحرب والثورة[*] فالمناط هو في وجود معاوية المتلاعب بالدِّين والمزوّر للحقائق، والذي يشكل وجوده حجر عثرة أمام أي تقدّم وهو مصيبة من مصائب الدهر والتاريخ، الذي يترتب على حياته الصلح وعلى مماته الحرب سواء كان الحسن هو المتصدّي أم الحسين عليه السلام، فالمدخلية في شخصي معاوية ويزيد[2] وليست في الإمامين عليهما السلام خصوصاً إذا تعرّفنا على تهتك وفجور يزيد الذي لم يكن مضطراً للتستر بالدين والإسلام كأبيه معاوية.

ما هو رأي الحسين عليه السلام بالصلح؟

مما لا شك فيه أن الإمام الحسين عليه السلام كان على توافق تام مع أخيه الإمام

---

١ - الإرشاد ص ٢٠٦.

* ذكر بعض المؤرخين أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن موافقاً على الصلح كما ذكر في تاريخ ابن خلدون وأسد الغابة وأنساب الأشراف وطه حسين، وواضح من خلال هذه الفرية على إمامنا الحسين عليه السلام أن المطلوب ضرب مقام الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام من خلال التأكيد على أن الحسن كان محباً للراحة والدعة وأن الحسين كان ثورياً ويرغب في القتال، في الوقت الذي أجمع فيه المسلمون على كون الإمام الحسين عليه السلام، هو من الشهداء الأبرار.

٢ - ذكر البلاذري في أنساب الأشراف وصفاً ليزيد فقال: «كان إنساناً صغير العقل، متهوراً، سطحي التفكير، لا يهم بشيء إلا ركبه»، ج٤، القسم الثاني -١-.

الحسن عليه السلام، وقد تقدم معنا أن الفارق لا يكمن في شخصيتي الحسنين عليهما السلام بل في شخصي وليد وحفيد أبي سفيان.

صحيح أن التاريخ لا يثبت أن الإمام الحسين عليه السلام قد وقّع على الصلح، وهذا طبيعي بحكم أن المتصدّي للقيادة والقائم بالأمر هو أخوه عليه السلام، وهو المعني وحده في التوقيع على وثيقة وبنود الصلح، أما الإمام الحسين عليه السلام فهو يومها الجندي في ظل قيادة أخيه، والمأموم في ظل إمامة السبط الآخر لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يسجل التاريخ خرقاً واحداً صدر عن الإمام الحسين عليه السلام ضد الصلح واستنكاراً له، بل حدّث المؤرخون أن سيد الشهداء عليه السلام كان المندفع والمتحمس للصلح، لأنه كان يقرأ فيه آثاره الإيجابية، وطالما اجتمع حوله جمع من رافضي الصلح يريدون استدراجه لمناهضة صلح أخيه عليه السلام، لكنه كان دائماً يعلن رفضه لطلباتهم، بل وشجبه لأطروحاتهم، وكان يعلن ولاءه لقيادة أخيه وثقته في حكمته في معالجة الأمور، وحتى بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بقي موقف الإمام الحسين عليه السلام على حاله، حيث رُفعت إلى إمامنا الحسين عليه السلام العديد من الرسائل وهي تطلب منه إعلان الثورة على معاوية، لكن الإمام عليه السلام كان دائماً يمتنع عن إجابتهم ويوضح لهم أن الثورة مرتبطة بهلاك معاوية[1]، رغم أنه عليه السلام كان يتمنى مجيء اللحظة التي يقاتل فيها جرثومة الفساد ويستأصلها من الوجود، إلا أنها الظروف التي حكمته وأخاه. هي التي ألزمتهما بالصلح في ظل جبروت معاوية، وقادت سيد الشهداء للاستشهاد حين تطلب منه الواجب ذلك.

---

١ - تقدّم الحديث تحت عنوان فارق الإمامين أم الجائرين، وهو «ما دام معاوية في قيد الحياة فلا أتحرك بكل شيء، وإذا مات نظرت في الأمر» كما في الإرشاد، ص ٢٠٦.

نقول هذا ويعترينا أسف شديد ولوعة لا تشبهها لوعة، حين نقرأ في التاريخ المزيف والذي يُصوِّر فيه الإمام الحسين عليه السلام بصورة الرجل الذي يكره صلح أخيه، مع أن المعروف لكل من يقرأ التاريخ ويتمعن في سطوره. أن الإمام الحسين عليه السلام كان يجلّ أخاه ويحترمه ولا يسفه له رأياً، فقد تحدّث الإمام محمد الباقر عليه السلام عن ذلك الاحترام والإجلال بقوله: «ماتكلم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له[1]» هذا في ظل حياة الإمام الحسن عليه السلام، لكن السؤال يبقى قائماً وهو التالي: ما هو السر الذي حتّم على الحسن عليه السلام أن يقعد ويعقد الصلح، فقد كتب إليه عليه السلام أهل العراق يطلبون منه الثورة على معاوية لكنه لم يجبهم وكتب إليهم: «أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفّقه وسدّده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فألصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حيّاً»[2].

ولقد صوّر الواقع الذي واجهه الإمام الحسين عليه السلام العلاّمة المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين فقال: «لم يكن الإمام الحسين عليه السلام أقل إدراكاً لواقع مجتمع العراق من أخيه الحسن عليه السلام، فقد رأى من هذا المجتمع وتخاذله مثل ما رأى أخوه. ولذلك فقد آثر أن يعدّ مجتمع العراق للثورة، ويعبّئه لها، بدل أن يحمله على القيام بها الآن».

فقد كان رأي الحسين ألاّ يثور في عهد معاوية، وهو يأمر أصحابه بأن

---

١ – مناقب ابن شهراشوب، ج٢، ص ١٤٣.

٢ – الأخبار الطوال ٢١٢ ـ كان هذا رأي الإمام الحسين أثناء حياة الإمام الحسن عليه السلام حيث قال: «صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حلساً من إحلاس بيته (لزمه) ما دام هذا الإنسان حياً»، المصدر نفسه في الأخبار الطوال.

يخلدوا إلى السكون والهدوء، وأن يبعدوا عن الشبهات، وهذا يوحي لنا بأن حركة منظمة كانت تعمل ضد الحكم الأموي في ذلك الحين، وأن دعاتها هم هؤلاء الأتباع القليلون المخلصون الذين ضنّ بهم الحسن عن القتل فصالح معاوية، وأنّ مهمة هؤلاء كانت بعث روح الثورة في النفوس عن طريق إظهار المظالم التي حفل بها عهد معاوية انتظاراً لليوم الموعود[1].

وخلاصة الأمر أن رأي الإمام الحسين عليه السلام في ظل حياة أخيه أو بعد استشهاده هو رأي الإمام الحسن عليه السلام نفسه، لا ينقص عنه أو يزيد مثقال ذرة، وليس هو خيار الإمامين الحسنين عليهما السلام فحسب، بل خيار الأئمة المعصومين عليهم السلام، وهو قرار الدين والإسلام، ولا يتحمّل الأمر تكبّد عناء التكلّف حتى تتعدّد وجهات النظر في رأي سيد الشهداء عليه السلام حتى تكتب الأقلام الرخيصة والمسمومة ما يحلو لها ضمن خلفية غير نظيفة وقلوب سقيمة تعبّر عن مكنونات أصحابها دون أن يكون لها صلة بمراقبة الأحداث المفصلية وترقّب نتائجها!.

خلفية الصلح لدى معاوية:

أمور كثيرة كانت تضغط على معاوية ليطرح الصلح على الإمام الحسن عليه السلام وأسباب كثيرة هي التي حتّمت عليه أن يطلب الصلح. لقد كان معاوية يخشى كثيراً من كشف الحقيقة وهو صاحب تاريخ غير مشرّف في التدليس والتزييف لئلاّ تكشف عوراته وتظهر عيوبه، وهو الذي تذكر تلك الكلمات التي قالها له أحد رؤساء جنوده في صفين وهو النعمان بن جبلة

---

١ - ثورة الإمام الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ١٥١.

التنوخي: «والله لقد نصحتك على نفسي، وآثرت ملكك على ديني، وترك لهواك الرشد وأنا أعرفه، وجدت عن الحق وأنا أبصره، وما وفقت لرشد وأنا أقاتل عن ملك ابن عم رسول الله ﷺ .. ولو أعطيناه ما أعطيناك، لكان أرأف بالرعية وأجزل في العطية، ولكن قد بذلنا لك الأمر، ولا بدّ من إتمامه كان غيّاً أو رُشداً، وحاشا أن يكون رشداً. وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها، إذا حرمنا أثمار الجنة وأنهارها[1]».

كل هذا كان يخطر في بال معاوية، لقد كان واقعاً كخفاشٍ يخشى من ضوء النهار وجلاء الحقيقة.

لذا استعجل الصلح لئلا يتراجع العراقيون عن تأييدهم له ويعودون إلى رشدهم، لأن الرجل خبير بنفسياتهم وأهوائهم، فهو لا يرغب أن يخسر ما ربحه، فاستغل فرصة خيانتهم قبل أن ينقلبوا عليه وهم الذين عُرفوا بسرعة التقلّب، فيطلب من الإمام الحسن عليه السلام سراً أن يستجيب للصلح، وإن كان هناك من يذهب إلى أن الإمام هو الذي بادر أولاً، وما يدل على الرأي الأول هو خطاب الإمام الذي ألقاه في المدائن والذي قال فيه: «ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عزّ وجلّ بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلنا، وأخذنا لكم الرضا» فناداه الناس من كل جانب «البُقية البُقية، وأمضِ الصلح» [2] وعلى أي حال فحتى لو صحّ الرأي الثاني مع أنه لا محلّ له ومستبعد جداً، وهو ما يناقض كل الوقائع التاريخية فهذا لا يضرّ

---

١ - المسعودي، هامش ابن الأثير، ج٥، ص ٢١٦.

٢ - ابن الأثير الكامل، ج٣، ص ٢٠٤؛ ورواه الطبري وابن خلدون.

بسبب الظروف الصعبة والفتن التي عصفت بالبلاد والعباد مع أن الصحيح أن معاوية هو من طلب الصلح. أما لماذا رغب ابن أبي سفيان بالصلح؟ فهو أن الرجل رغم إدراكه أن الحرب باتت لصالحه فهو يعلم أن حكمه بالحديد والنار لا يعطيه صبغة الشرعية، أما الصلح فبإمكانه أن يغلّفه بثوب الشرعية وإنه – معاوية[*]– يمثّل الإسلام، فهو الذي استطاع أن يغرس في قلوب جيشه على أنه الحجة من بعد الخلفاء وأن النبي ليس له وارث شرعي غير بني أمية فهو يجسدهم بأعماله، هكذا أظهر معاوية نفسه للمغفلين، مع أنه كان يعلم علماً يقينياً أن الإمام الحسن عليه السلام هو أحقّ بالأمر. وهو لا يريد أن يكشف ذلك للناس وأنه مغتصب لحق أهل البيت عليهم السلام. وقد قال ذات يوم لابنه يزيد: «يا بنيّ إن الحقّ حقّهم»[1]، وكان فيما كتبه إلى زياد بن أبيه: «وأما تسلّطه عليك بالأمر فحقّ للحسن أن يتسلّط»[2]. إلاّ أنه مع ذلك كان يخاف من حرب ضروس مع الإمام عليه السلام، الأمر الذي يجرّده من مزاعمه وإدّعاءاته الفارغة ولم يكن الرجل يخاف من المعركة بحكم خوفه من الله، أو من الهزيمة، وهو يعلم أن حسم المعركة عسكرياً سيكون لصالحه، إلاّ أنه كان يتهرّب منها لئلاّ يُنزع ثوب الشرعية عنه، ذلك الثوب الذي دثّر فيه نفسه ظلماً وقهراً وتزييفاً وتزويراً، وهو

---

* كان يحرص معاوية على أن يبرّئ نفسه عن ارتكاب الجرائم، ويصف نفسه بأنه محبّ للسلام والصلح، فكان يقول للناس: «إنّي دعوت الحسن للصلح، ولكن الحسن أبى إلاّ الحرب، وكنت أريد له الحياة، ولكنه أراد لي القتل، وأردت حقن الدماء، ولكنه أراد هلاك الناس بيني وبينه»، صلح الحسن عليه السلام للشيخ راضي آل ياسين، ص ٢٥٦.

١ – شرح ابن أبي الحديد، ج٤، ص٥ وص ١٣، وص ٧٣.

٢ – شرح ابن أبي الحديد، ج٤، ص٥ وص ١٣، وص ٧٣.

غير قادر على الإطلاق أن يكشف لعبة تغيير الحقائق وتسنّمه المواقع القيادية باسم الدين، وهل يستطيع معاوية أن يدّعي الحقّ وهو يحارب الإمام الحسن عليه السلام؟ وهل ستكون الآثار المعنوية لصالحه إن كانت النتائج العسكرية كذلك؟ فهو أجبن من أن يقدم على هذه الخطوة الجبّارة. لأنه لن يستطيع بعدها التشدّق والتحدّث باسم الإسلام والقرآن، وهو قبلها لم يكن يستطيع ذلك لولا الجهل المطبق بأحكام الشريعة وبممثليها الشرعيين عند السواد الأعظم من الناس[1]، لقد تصوّر معاوية بأن تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن الحكم سيشكّل بحدّ ذاته التنازل له عن الخلافة، وساعتئذ سيتمكّن من هالة شرعيّته العرفية كما توهّم أن يطوّق الدين وأن يطفئ نور حقيقته، إن معاوية يعرف جيداً أن الإمام الحسن هو صاحب الحق دونه، فلا بدّ من إسكات صوت الحق بأسلوب تفوح منه رائحة النفاق، وهو العارف الذي لا تنقصه معرفة في ذلك إن للإمام موقعيّته الروحية والمقام الرفيع عند الله والناس، ولا بد من إبقاء أهل الشام بمنأى عن تلك المعرفة لئلاّ يقصدون المنّ والسلوى ويتركون أعشاب الأرض الضارة والسّامة. وبعد هذا ألا يستغرب المرء كيف أوصل معاوية الناس إلى تلك المستويات الوضيعة رغم استخفافه واستهتاره بهم والذي كان يتصرّف ما يحلو له دون وازع من ضمير أو رادع من أخلاق، وهو القائل لعراقي حكم عليه

---

١ - لقد استطاع من قبل أن يواجه والد الحسن عليه السلام أمير المؤمنين عليه السلام، إلاّ أن المعطيات الجديدة وهي مقتل الإمام علي عليه السلام وتفاعل الناس مع حدث الاستشهاد، هو الذي جعل الجماهير تزحف نحو الحسين عليه السلام لتنصبه بعد تنصيب الله، إماماً وخليفة، وهو خليفة رسمي وشرعي بما تعني الشرعية المعروفة. كل هذه المعطيات هي عناصر تضاف إلى العناصر المعروفة لدى كلّ من ألقى السمع وهو شهيد.

معاوية أن الناقة ليست له وإنما هي للشامي وقد أتى الشامي بخمسين شاهداً يحكمون أنها ناقته هو دون العراقي، فقال العراقي لمعاوية: «أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة، فقال له معاوية: حكم قد مضى... ثم أرسل إلى الأمير رسالة شفهية مع العراقي وهي «أبلغ علياً أني أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرّق بين الناقة والجمل»[1] هؤلاء هم جنود معاوية، فهم لا يميزون بين الحق والباطل، ولا بين أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وبين بيت الطلقاء وآل أبي سفيان... وهم الذين استخف بهم معاوية مع إعتقادهم أنه للمؤمنين أمير، فقد حرص ابن أبي سفيان على إبقاء هذا الاعتقاد في نفوس الناس، وهو غير مضطر في ظل السذاجة السائدة في عصره، للمزيد من الحروب والمعارك، طالما أنّ سلطانه سيكون بخير وسينعم الرجل في ظل صلح يصبغ أعماله بطابع الشرعية، كل هذا فكّر فيه معاوية جيداً وعمل له ليل نهار، ولا أدري كيف كانت تنطلي حيله على المحسوبين على الإسلام، فهؤلاء واقعاً هم الذين يغيّرون المعطيات ويحوّلون النصر إلى هزيمة، والحرب إلى صلح، طالما أنهم بخدمة مشاريع معاوية، وهم يشكّلون الأرضية الخصبة التي ينبت فيها أمثال ابن آكلة الأكباد! فهل يشكّ أحد بعد ذلك أن خليفة معاوية الداعية إلى الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام هي خلفية سليمة وطاهرة؟

ولا أدري كم يتكرّر مثل أولئك النماذج اللابشرية[*] وأشباه الرجال ولا

---

١ - مروج الذهب ، ٢٠/ ٣٣٢.

* ذاق المؤمنون في عهده أحلك الظروف وأصعب الأيام، وخصوصاً بعد عام الصلح الذي سمي زوراً وبهتاناً بعام الجماعة، وقد وصف ابن أبي الحديد ذلك العام بقوله: «ولم يبق أحد من المؤمنين إلاّ وهو خائف على دمه أو مشرد في الأرض، يطلب الأمن فلا يجده.

رجال؟ لا أدري كم تتكرر صور أولئك في الحاضر والماضي؟ لا أراهم الله في ديار الأحبة لأنهم بحق كالخشب المسندة فهم لا يرون إلا كما يرى معاوية، ولا يفكّرون إلا بفكر معاوية، فهم قد قلّدوه الدعاء والزيارة، ولقد أجاد الشاعر حينما نظم قافيته عن امرأة إسمها حذام فقال:

إذا قالت حذام فصدّقوها فإن القول ما قالت حذام.

وهل يمكن لمعاوية أن يذهب إلى الصلح ويطرحه إلاّ بعد أن أيقن بحساباته أنه لمصلحته؟ مع أنّ حسابات البيدر كذّبت حسابات الحقل كما يُقال. لقد ظنّ معاوية أنّ الصلح سيهيّئ المناخ لبيعة ولده يزيد من بعده، وليس مناخ الثورة عليه، ولأنه قرأ الأحداث المستقبلية بطريقة خاطئة لم يضع شروطاً على الإمام، ظناً منه أنه المنتصر فلا داعي للشروط والخوض في التفاصيل، فيما ترك للإمام أن يضع شروطه وهو قد قرّر سلفاً بأنه لن يلتزم بأي منها، وساعتئذٍ سيتحدّث بمنطق الأقوى والمنتصر.

وقد خفيَت على معاوية اللباقة الدبلوماسية والحنكة السياسية لإمامنا الحسن عليه السلام، الذي أدرك جيداً أن قبول معاوية بكل شروطه إنما استهدف به شرطاً واحداً لا غير، وهو الملك، ولا شيء غيره، وكأننا به يقول: «يا حبّذا الإمارة ولو على الحجارة»[1].فالملك هو غاية آماله ومطلوبه الذي تكمن فيه رغباته وملذاته، وهو حلمه الجميل ولو كان على حساب الدين والآخرة.

١- مثل عربي يُضرب لمن يقصد الملك ويدفع من أجله الأثمان الباهظة.

الفصل السادس

- خيار الصلح.
- الخيار الأوحد.
- مواجهة المقدور
- جنود الإمام. داء أم دواء؟
- حين تكون الغصة بالماء !
- الانقلاب على الأعقاب.
- لماذا الصلح ؟
- الصلح يفضح سريرة معاوية.
- بنود الصلح.
- شروطه ﷺ الرسالة المفخخة.
- لماذا ينتصر الغدر أحياناً؟
- صاعق التفجير للثورات.
- جندي كربلاء المجهول.

خيار الصلح

الخيار الأوحد:

عرف الإمام أهداف معاوية وهو العارف بخلفيته والخبير بأطباعه والعالم بخبث سريرته، وأدرك الإمام أنّ معاوية لو قُدّر له تحقيق الانتصار العسكري، لما أوقف من إجرامه شيء، ولن يتردد في القيام بأي عمل يراه مناسباً لأغراضه وأهدافه، أليس هو من اتّهم علياً أمير المؤمنين عليه السلام بدم عثمان؟ وهو من أسّس أساس لعن أهل البيت عليهم السلام، واستخدم الكتّاب والأقلام ووعّاظه ليكتبوا ويختلقوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم ينبس به ببنت شفة؟ ألم يسبّب ابن هند بمقتل سيد الشهداء عليه السلام من خلال كُتّابه الذين ادّعوا أنّه صلى الله عليه وآله قال: «سيكون هناك هنّات وهنّات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جمع فاضربوه بالسّيف كائناً ما كان»[1]؟

ومَن جعل لعن وصي رسول الله صلى الله عليه وآله سنّة، بل فريضة غير معاوية؟، الذي لم يخطر في باله ولا للحظة أن يتّقي الله في علي عليه السلام فيوقف لعنه عليه السلام، بل تجاوز ذلك لحدّ وصف فيه المؤرخون عمق المشهد فقالوا: «وارتقى بهم الأمر في طاعته ـ معاوية ـ إلى أن جعلوا لعن عليّ سُنَّة ينشأ عليها الصغير ويهلك

١- ثورة الإمام الحسين، ظروفها وأسبابها، العلاّمة المرحوم سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ص ١١٣، وفي البخاري وغيره.

الكبير[1]؟ وهو الذي منع من ذكر أي رواية تتحدّث عن مناقب أهل البيت وفضائلهم عليهم السلام، وعمل على استئصال كل من يمتّ إلى آل الرسول صلى الله عليه وآله بصلة.

أمام تاريخ معاوية الزاخر بالإجرام والحافل بالشّبهات والفتن، وأمام افتتان الناس به واستسلامها إلى قيادته وثقتها العمياء بمشاريعه، اللهم إلاّ من رحم ربي، كان لا بدّ للإمام عليه السلام أن يتدارك ما يمكن تداركه لئلا يكون السقوط المريع لكل التاريخ النبوي العريق، ولئلا تندثر كل القيم والمبادئ التي ضحّى من أجلها رسول الإنسانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله فبعد أن اطمأن الإمام أن قيم الإنسانية ستُصان، وعرف أن حفظها يكمن في توقيعه عقد الصلح الذي لن يُعجب به المستعجلون، بادر إليه لأنه أيقن أنّ دين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لن يستقيم إلاّ بصلحه عليه السلام، وتاريخ الأنبياء جميعاً لن يُصان إلاّ به.

مواجهة المقدور:

كما واجه أمير المؤمنين عليه السلام بدعة رفع المصاحف التي انطلت على العراقيين وجعلتهم حيارى، حيث استطاعت هذه الحيلة تحويل النصر الذي كان على قاب قوسين أو أدنى إلى هزيمة لجيش الإمام علي عليه السلام، حيث ذكر المؤرخون تفاصيل وقعة صفين والتي أوقعت العديد من الرجال الذين كان يفترض بهم عدم الانخداع لهذه المهزلة، والتي تبقى وصمة عار في جبين الذين انسحبوا من المعركة وانخدعوا بحيل معاوية يمليها عليه عمرو بن العاص، وقد رضي أمير المؤمنين بوقف الحرب مكرهاً بعد أن رأى جيشه وقد مزقته حيلة ابن العاص وقد عبّر عن هذا الواقع المؤلم بقوله عليه السلام: «لقد كنت أمس أميراً

١- مروج الذهب، ج٢، ص ٧٢.

فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهياً[*]»[1]، وكما جلس الأمير في بيته أو أُجلس خمسة وعشرون عاماً، وهو الفارس الضرغام، وقد كان حبيس جهل قومه قبل أن يكون حبيس بيته كما يعبر أحد المفكرين الإسلاميين.

كذلك قاد قدر الإمام الحسن عليه السلام الصعب إلى مواجهة أمر هو من الصعوبة بمكان، وهو وبمثابة جزء من أجزاء معاناة أبيه حين حبسه حقه في منزله، في وقت لا تستوعب فيه أمة النبي أن يحملها الوصي على المحجة البيضاء، وقد تقدّم معنا مرارة الأحداث التي واجهها الإمام الحسن عليه السلام والتي شكّلت سداً منيعاً تحتّم عليه عدم المواجهة، وتجعله إما شهيداً مع ثلة قليلة من المؤمنين وإما اسيراً بيد معاوية الذي سيمنّ عليه بعد أسره بالحياة والحرية ليكون أسير إحسانه، وتنقلب المعادلة فيهب إبن الطلقاء[*] الحرية لإبن النجباء ليكون الإمام الحسن عليه السلام طول حياته أسير إحسان معاوية، لكن ماذا سيصنع إمامنا عليه السلام؟

والجواب في جوابه على سؤال يزيد بن وهب الجهني الذي دخل عليه بعد أن طُعن فقال: يا بن رسول الله، إن الناس متحيرون، فأجاب الإمام بكلماتٍ

---

* لم تكن حسرة الإمام عليه السلام في مسألة أن يكون آمراً غير مأمور، وناهياً غير منهي، بل حسرته عليه السلام كانت تكمن في عدم طاعة الناس للحق وذوبانهم في الشبهات والحيل بحيث كانت تنطلي عليهم قضية رفع المصاحف والتحكيم، والأمثلة كثيرة.

١- نهج البلاغة، محمد عبده، ج٢، ص ٢١٢.

* الطلقاء: جمع طليق، وهو الأسير الذي يطلق سراحه، والمراد بهذا المصطلح أن معاوية هو ابن أبي سفيان، وهو من جملة الذين خلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة ولم يأخذهم أسرى بل أطلقهم في بادرة أخلاقية، وسابقة لم يدوّن التاريخ الإنساني مثيلاً لها على الإطلاق.

والأسى يعتصر قلبه «... والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به أهلي وشيعتي خير لي من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي، لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً، والله لئن أسالمه وأنا عزيز أحب من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمنّ عليّ فتكون سبة على بني هاشم إلى آخر الدهر، ولمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحيّ منا والميت» [1].

فاختار الإمام المسالمة والإقتصار على أقل الخسائر انقاذاً لسلامة الدين وعزة الإمامة وحياة الناس، ولو اختار الإمام أسلوب قلب الطاولة رأساً على عقب لعجّل الفتنة التي لا تزال الأمة غير الواعية تحن إليها، ولفتح الباب على مصراعيه أمام الثورات الداخلية والفتن التي تجعل الحليم حيراناً، وكأننا به عليه السلام كمن يرى السيل الجارف يأخذ كل من يقع في طريقه وما يعترض دربه، فيبتعد عنه وينأى بنفسه جانباً مصطحباً معه ما يمكن إنقاذه، لأن الوقوف بوجه السيل العرم هو من المكابرة التي تجرف، ولا تبقي ولا تذر، دون أن يكون للشجاعة فيها إلاّ معنى شجاعة الحكمة والتحلّي بما من شأنه أن يحفظ النفس لتكون في خدمة المشروع الإلهي الكبير، وعلى أي حال فقد عانى الإمام عليه السلام معاناة لا توصف بتعابير وكلمات، ولا يمكن للسطور مهما كثرت أن تصل إلى سبر أغوارها، وكما قيل: كما لا يمكن وضع كل ماء البحر في إناء فلا يمكن للحروف أن تستوعب كل الحقيقة، فسلام عليك يا أبا محمد ما بقينا وبقي الليل والنهار، فأنتَ الحقيقة الناصعة التي واجهت حقيقة النفاق كلّه، والزيف بأجمعه.

---

١ - الاحتجاج للطبرسي، مؤسسة الأعلمي، ج٢، ص٢٩٠.

جنود الإمام داء أم دواء؟

أمام كل المحن التي صُبت على الإمام الحسن(عليه السلام) والتي لو صُبّت على الأيام لصارت ليالي من شدّة ظلمتها، يتساءل الباحث عن العراقيين الذين واكبوا مسيرة التشيع وعاشوا في ربوعه، ولا تزال كلمات أمير المؤمنين تردّدها أصداء المآذن ويحملها الأثير مع كل آذان يشهد بأن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، وأن علياً ولي الله.. فأين أولئك الذين اعتادوا على سماع صوت علي يصدح في المساجد مع ترنيمة كل فجر؟ واعتادوا سماع هدير جهاده وسليل سيفه مع كل قتال في سبيل الله، أين اختفى هؤلاء حين عانى الحسن(عليه السلام) الغربة؟ ولماذا لم يرَ منهم إلا غدرهم لا إخلاصهم، وخيانتهم لا قتالهم؟

إن لوعة اللوعات ومصيبة المصائب أن يرى القائد جنوده وهم يلتحقون بمعسكر الأعداء، فيتحول السلاح الذي هو بيده(عليه السلام) وهو الجيش الذي يُعتبر عماد الدولة، إلى الجانب الآخر يشكّل قوة تضاف إلى قوة الأعداء، بينما يتضاءل عدد الجيش الرسالي، وهل بيد جذاء مقطوعة سيصول(عليه السلام)؟

إنّ مظلوميّة كبرى تُضاف إلى سجُل مظلومية إمامنا(عليه السلام) حين يتحول الدواء بين يديه إلى داء عضال، والجنود في معسكره إلى جنود في معسكر الأعداء، وهنا ماذا يُمكن أن يفعل(عليه السلام)؟ فهل سَيُلقي السلاح (الجيش) وقد استسلم السلاح البشري وألقى ما في يده قبل أن يُلقيه هو(عليه السلام)؟ لقد كان(عليه السلام) يسمع من جنوده الخطابات النارية والرنّانة، لكن حين جدّ الجد صار شعار الأكثرية هو هاجس الهروب وقد صدق فيهم المثل القائل: «أسمع جعجعة ولا أرى طحناً».

لقد كان جنود الإمام واقعاً هم الداء الحقيقي ومكمن الألم والوجع والمرض الحقيقي الذي تصغر عنده كل الأمراض، وإلى هذا المعنى أشار المرحوم الشيخ راضي آل ياسين حين قال: «فانظر إلى أيّ حد كان قد بلغ التفسّخ الخلقي في الجيل الذي قُدّر للحسن أن يتخذ منه أجناده إلى جهاد عدوّه، قد يكون الفرد بذاته من ذوي الحسب، ولكنه إذا انسلخ بضعفه المتأصل في نفسه مع العاصفة الطارئة، واحتضنته الجماهير المتحمسة من حوله، كان جديراً بأن تغلب عليه روح الجماعة فلا يشعر إلاّ بشعورها، ولا يفكر إلاّ بفكرها، ويخالف مشاعره الفطرية مخالفة لا تنفك في أكثر الأحيان عن الندم الجارح عند سكون العاصفة وتبدّل الأحوال.. وهذا مثل واحد ـ حفظه التاريخ ـ عن شيعتهم، فما ظنّك بخارجيهم وأمويهم وشكّاكهم»؟[1]

وعلى ضوء ذلك، فإن الله لن يعذر أحداً من هؤلاء الجنود، هذا فضلاً عن جماهير الإمام والأمة التي عاصرته، وإنّ أشدّ المعاناة التي تجرّعها عليه السلام تكمن في هؤلاء الجنود، وفي روحية التواكل لا الإتّكال على الله، في تلك الروح الانهزامية بدل الروح القتالية المتمردة. ومعلوم مدى لتلك الروحية والعقلية من آثار سيّئة على مستوى المجتمع الإسلامي، فالفرد حينما يتهرّب عن القيام بمسؤولياته حين تقتضي المصلحة قياماً ونهوضاً وثورة، يشكّل عائقاً كبيراً على مستوى تقدّم الأمة. وعليه يُقاس رقي أيّ أمة وتقدّمها وتخلّفها وتأخرها. فالفرد هذا حتى لو كان من الأشراف ومن ذوي الفضائل والنوايا الحسنة، إذا لم يكن يملك الاستعداد الكامل لمواجهة الانحرافات والشبهات، فإنه سيكون عرضة للأعاصير

---

١ - صلح الحسن، الشيخ راضي آل ياسين، ص ٢٣٥.

العاتية، وسيتحوّل إلى شاهد زور في عالم التزييف، فبدل أن يستعدّ للمواجهة يستسلم وهو يطلق شعارات فضفاضة كأن يقول: «لا نستطيع مواجهة السيل العرم» أو «ألف كلمة جبان ولا كلمة رحمه الله»، وإذا كان كل فرد أو جندي من أفراد وجنود الأمة يحمل أفكاراً من هذا القبيل وخوفاً ورعباً من سطوة الجلاد وجلاوزة الجور والحكام، هنا ينبغي أن يُقام على المجتمع الإسلامي مأتماً وعويلاً، ذلك أن قيمة أي مجتمع تكمن بأفراده المتعددين ونوعيتهم فرداً فرداً، في الهمة العالية التي تطاول قمم الجبال الشامخة، فمن يُذعن للرياح الغاضبة هو كالخشبة تتقاذفها الأمواج المضطربة. ولا يمكن الرهان عليه، ومن ينظّر للهزيمة والضعف مقابل قوة الأعداء هو كالريشة في مهب الرياح. ولا أدري هنا كيف يمكن الحديث عن بأس الإنسان الرسالي وهمّته، وهو لا يملك المواقف الشجاعة؟ ومن هذا المنطق لن يجد الفرد من عذر أن استسلم لأنشودة حكام الظلم، وليس مهماً بعد ذلك الندم، فقد يقدم المرء على إبادة مجتمع كامل، وبعد الإبادة يندم على فعلته، حيث لا ينفع البكاء والنحيب والتمرّغ على قبور الضحايا، فالمهم أن لا يترك الباطل يستشري وينتشر، وأن لا يُترك الجائر لجوره وطغيانه لئلاّ يكبر ظلمه وعدوانه وبعد ذلك لن تقدر المبادرات مهما كبرت أن تنسف أساس الظلم بعد تجذّره وتعمّقه.

حين تكون الغصّة بالماء!

حين يعاني الإنسان من منغصات العيش والحياة فإنه يلجأ إلى إخوان له يخفّفون عنه المصائب ويُسلّون قلبه وفؤاده، لكن حين يعاني المرء حتى من أقرب إخوانه وأخلص أعوانه فإن في الأمر مصيبة كبرى، ما أعظمها وأعظم

رزيتها على الإسلام والمسلمين، فإذا غصَّ أحدنا بالطعام يبادر إلى شرب الماء ليتخلّص من غصته، أما إذا غصّ بالماء فمن يخلصه يا تُرى؟ وكما قال الشاعر:

إلى الماء يسعى من يغص بلقمة إلى أين يسعى من يغص بماء

وكما في المثل العربي (يا ماء لو بغيرك غصصت).

وحتى ننعش الذاكرة لئلا تخوننا في معرفة الأحداث، ونحن في الأثناء نندّد ونأخذ على الخونة مدى الغدر الذي توصّلوا إليه، وفداحة الإرتكاب الذي يحتاج إلى قلبٍ ملوث نتن. فلنسلط الضوء على بعض المنغصات التي دوّنها التاريخ والتي أدخلت إلى قلب مولانا الغصص وقد تجرّعها ولم تخرج مع كبده المقطّع، وهي وبدون أدنى شك كثيرة كثيرة، ولا تستطيع السطور التعبير عن حقيقة الشعور، ولا تستطيع سرد الوقائع كما هي والتي لوت ذراع حفيد المصطفى ﷺ فإلى بعضٍ من تلك الصور.. وإلى بضع من تلك الأحداث التي أسهمت في مفصلية تاريخية، وغيّرت في مجرى الأحداث وكانت لغة معسكر الإمام عليه السلام هي التالية: الذي لم يكن مع الإمام بل ضدّه، ولم يكن ضد معاوية بل معه، فإذ باللغة تنقلب رأساً على عقب. وكانت مفردات جنود الإمام ولغتهم ومنطقهم الجبن والخيانة، المكر والطمع، الخوف والنفاق، الكيد واللؤم.

وليعظّم الله أجر مولانا الحسن عليه السلام.. لقد أدّى والله الأمانة وأدّى جنوده الخيانة، وتُرك للطعنات المعنوية والمادية، واستفرد بين اللئام الذين وصلوا إلى وقت حاولوا فيه أن يعلّموه أحكام الدين والجهاد. فيا سبحان الله، ويا لهم من معلمين ومرشدين، يعلّمون إمامهم وقائدهم ورشدهم ودليلهم! يقول تبارك وتعالى في محكم كتابه ﴿**قلْ أتُعلمونَ اللهَ بدينكُم واللهُ يعلمُ ما في السمواتِ**

وما في الأرضِ واللهُ بكلِ شيءٍ عليم﴾ [1]، وصدق فيهم المثل القائل: «ليس أحد أشدّ عمى من أولئك الذين لا يريدون أن يبصروا».

الإنقلاب على الأعقاب:

قال تعالى: **﴿وما محمّد إلا رسول قد خلَت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يَضُرّ اللهَ شيئاً وسيجزي اللهُ الشاكرين﴾**[2].

لسنا في صدد شرح وتحليل أسباب نزول الآية الكريمة هذه، مع أنها تحمل دلالات جديرة بالبحث والتدقيق، فهي قول رب العالمين، والله لا يقول إلا الواقع والحق، فيا ليتنا نتوغل في عمق دلالتها فعسانا نكتشف الكثير من أسرارها ونحلّ العديد من رموزها! فهي تلفت أنظار المسلمين إلى أن بعضهم سينقلب على عقبيه، ونحن نعلم إلى أي مدى يمكن أن تصله الأمة في ظل هكذا أناس يعيشون الردّة عن الإسلام باسم الإسلام، وهم الجدار الكبير الذي يمنع من تقدّم المسلمين «إن التخلّف المعنوي للبشر ليس القدر، إنه إرادة البشر أنفسهم، فإن العالم الأخلاقي لدى الفرد والمجتمع ليس عالماً معطى وجاهزاً يأخذه الناس كما يستعملون الوصفات الطبية أو المعادلات الرياضية، وإنما يتمّ بناؤه بالمعاناة اليومية للناس مع شهواتهم ورغباتهم الشريرة» كما يقول العلامة المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين[3]. فالله سبحانه وتعالى يريد للناس

١- الحجرات/ ١٦.

٢- آل عمران/ ١٤٤.

٣ - حركة التاريخ عند الإمام علي، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ص ٢١٩.

أن يعملوا، وهو لا يتدخل في تفاصيل خياراتهم، يريدهم أن يكونوا بمستوى الرسالة وأن يدفعوا ثمن خياراتهم واختياراتهم، فحرية الإنسان هي التي يصوغ من خلالها المجتمع أو الأمة التي يُريد، والإنسان نفسه هو الذي يُحقق عمارة الأرض وإحيائها، وهو من يرسم مستقبله بجهاده، وآخرته بعمله، فليحاذر أن يُحمِّل السماء فساد أهل الأرض، قال تعالى: **﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليُذيقَهم بعض الذي عمِلوا لعلّهم يرجعون﴾**[1].

ولسنا هنا في وارد أخذ العيّنات عن مدى حالة الإنقلاب التي عاشتها أمة النبي المنقلبة على أعقابها والتي تقلّبها الرّغبة والرهبة والرجاء والخوف، فتتحول إلى أمة مستلبة الإرادة والشخصية لتؤدي الردّة الحقيقية عن الإسلام، وهي تتستر على أفعالها الشنيعة بلبوس إسلامي وشعارات تقوائية فضفاضة لا تعبّر إلا عن النفاق، وهكذا هو حال الأمة التي أراد لها سبط الرسول الحياة، وأرادت له الموت، وليس الموت الجسدي وإنما الموت المعنوي الأخطر بالنسبة للأولياء، لأن الأمة بذلك تسلب عن نفسها التأسي بهم، وتحرم من بركات معين توجيهاتهم، وما ذنب الأولياء إذا كان أفراد الأمة يستوحشون من الحق ويستأنسون بالباطل، فهم يؤدّون تكاليفهم ولا يضيرهم الإعراض، فكعبة الله لا تكسى لأعواز، إلاّ أنها المصالح الإلهية العليا التي لا يمكن لأبناء الدنيا أن يستوعبوا أسرارها ويُحيطوا بأخبارها.

---

١ - سورة الروم، آية ٤١.

لماذا الصلح؟

كثيرة هي الأسئلة التي تُختصر بسؤال واحد مفاده: ما هي الأسباب الحقيقية التي جعلت الإمام الحسن عليه السلام يقدم على الصلح؟

وقبل ذكر العديد من الأسباب نذكّر بأن هدف الإمام عليه السلام في الحياة، ليس الدنيا، فهي لا تستحق العناء والمكابدة، وما بين إمامنا عليه السلام ومعاوية ليس أمراً شخصياً، ومعاذ الله أن يسمح هذا العظيم لنفسه أن يختار أهدافاً غير نبيلة، فإقدامه على أي عمل كبير سيشكّل بدوره مفصلاً مهماً، لأن مثل الإمام لا يهتمّ بجزئيات هامشية، بل يركّز في حياته على عناوين استراتيجية من شأنها أن تغيّر من مجريات تاريخية مهمة. فلم يكن الإمام بالطامع بالحياة حتى يؤثرها على الآخرة، بل إن تخاذل الناس أعطى لإمامنا أسباباً إضافية ليكره الدنيا وأهلها أكثر، ولم يكن بالرجل العازف عن الاستشهاد في سبيل الله، لأنّ الشهادة أمنية كل مؤمن ومؤمنة، فكيف هو حال سبط الرسول صلى الله عليه وآله وابن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو المشتاق إلى الشهادة اشتياق أبيه الذي وصف شوقه لها كاستئناس الطفل بثدي أمّه، فالإمام لا يريد قتلاً كيفما كان، لأنّ القتل في سبيل الله له مكانه وزمانه المناسبين، فهو يريد قتلاً يصنع الحياة لا أن يقتلها، ويريد شهادة تخدم دينه ورسالته وليس قتلاً ينسجم مع رغبته وشوقه، يريد دماً يَهْدِر لا دماً يذهب هدراً، يريد قتلاً يدوّنه التاريخ بفخر وكبرياء، فيتحوّل الدم فيه إلى غدير مجد وشلال عطاء، لا قتلاً يحدث بظروف غامضة يقتصر الحديث عنه على بعض من نسوة يتأثّرن بالمشهد فيبكين ويلطمن. ولقد أجاد العلاّمة المرحوم الشيخ راضي آل ياسين حين وصف ذلك بقوله: «فعثمان ـ مثلاً ـ مات مقتولاً بسلاح الثائرين من

ذوي الحق في أمره، فلم يستطع التاريخ، ولم يوفق أصدقاؤه في التاريخ، أن يُسجّلوا له الشهادة كما تقتضي كلمة شهيد، أمّا ذلك العبد الأسود الفقير، الذي لم يكن له من الأثر في الحياة، ما يملأ الشعور أو يشغل الذاكرة (جون مولى أبي ذر الغفاري) فقد أرغم التاريخ على تقديسه، لأنّه قُتل في سبيل الله فكان الشهيد بكل ما في الكلمة من معنى»[1].

بهذه المقدّمة ندخل إلى رحاب بعض الأسباب التي حتّمت على الإمام عليه السلام قبول الصلح. وهنا نورد الآتي[*]:

أ- ضجر الناس وشعورهم باليأس والملل من كثرة الحروب المتتالية كالجمل وصفين والنهروان، والتي لم تعد بالنفع المادي والغنائم للمقاتلين والمجاهدين، لأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يعامل الأعداء معاملة الكفار ليقسّم الغنائم، وإنما كان يأمر بإرجاع المال إلى أهله.

ب- طبيعة الجيش في العراق، تحب الدعة والراحة وتكره القتال والحروب، والجيش نفسه لا يملك الصبر على المواجهة، ولا يتأنى في خطة أو منهج وقديماً قيل: «الخطأ زاد العجول» وقد كره الحرب أكثر عقيب رفع المصاحف وواقعة النهروان، فأحب السلم واستسلم للراحة، وتناسى أن القتال خير له وإن كَرِهتْهُ طبيعة الإنسان المائلة إلى الدّعة قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عليكمُ القِتالُ وَهوَ كُرْهٌ لكم وعسى أن**

---

١ - صلح الحسن عليه السلام، ص ٢٢٢.

* لن نستطيع إطلاقاً ذكر كل الأسباب التي دفعت الإمام الحسن عليه السلام للموافقة على الصلح، وما نورده هنا هو على سبيل المثال لا الحصر.

تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تُحبُّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يَعْلمُ وأنتم لا تعلمون﴾[1]. ومن منطلق كره الجيش للقتال، لمّا دعا معاوية إلى الصلح اعتبر الجيش أن الفرصة قد حانت فانخدع به مرة أخرى، تماماً كما خُدِع به من قبل[2] وظنّ الجيش بمعاوية خيراً وأنه محب للسلم والصلح، ولم يدرك الأبعاد الحقيقية التي دفعت معاوية لطرح الصلح على الإمام عليه السلام.

ج - وضعية جنود الإمام في مسكن والمدائن، فعلى سبيل المثال ضعف المقدمة بدوره أضعف الجنود في المدائن، لأن الرهان الحقيقي كان على المقدّمة فهي كما يُقال: «أوثق سهم في كنانتي» فقد انسحب منها ثلثا الجنود، وساهم عدم تلقي الدعم على مستوى العناصر البشرية، في تقوية احتمالات عدم النصر، وشكّل وجود الخليط من أصحاب الفتن والطمع والخوارج أرضية خصبة لكل أنواع الفتن فالمفتون فتن بمعاوية، والطمّاع طمع حتى بأمتعة الإمام عليه السلام، والخارجي استغل فرصته الذهبية لأنّ مشروعه يكمن في إضعاف أي طرف من المتنازعين المتقاتلين ويبقى الثابتون الذين لن يستطيعوا وحدهم صنع النصر.

د- أجواء التقاتل القبلي كانت هي السائدة في تلك المجتمعات، وكانت الإنقسامات على أشدّها حيث كثرت التيارات والأحزاب والشيع،

---

١ - البقرة ٢١٦.

٢ - يوم رفع المصاحف ودعوة الأمير لبدعة التحكيم وقد تقدّم ذلك قبل صفحات.

أضف إلى ذلك، أن معاوية قد وضع الزيت على النار ونفخ في صدور الناس من حمية الجاهلية حتى صاروا حيارى، وأسرى لنفثاته حتى صارت كلماته أسرع لقلوبهم من سواها، في جاهلية لم يكتب التاريخ مثيلاً أو شبيهاً لها على الإطلاق، وقد وصف الإمام الحسن عليه السلام أهل الكوفة فيما وصف فيه الناس بقوله كما روى ابن الأثير (وليس أحداً منهم يوافق أحداً في رأي ولا هوى، مختلفون لا نية لهم في خير ولا شر) [1].

هـ- رشوات ابن هند بدورها كانت بدورها تنهال على معتوهي المعتقد من كل حدب وصوب، فصارت تبدّل الأفكار وتهدّم ما بناه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتسحق الرجال وزعماء القبائل والعشائر، وكأننا برشاوي معاوية مايشبه الجراد الذي يأكل الأخضر واليابس، أو النار يفعل فعله في الهشيم، ولا أدري لماذا لم تصمد كلمات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والتي دعا فيها إلى الإستقامة وعدم الخضوع لأشباه معاوية؟ إلاّ أنها الدنيا الغدّارة تسحق طلابها وتمحق عُبّادها!

و- الإشاعات الكثيرة والرائجة والتي كانت تخدع الناس والجيش بأكاذيب عديدة، فتارة كان يُشاع أن الحسن قد صالح. وأخرى أن قيس بن سعد التحق بمعاوية، كانت الإشاعات تلك بدورها لها الأثر السلبي الكبير في نفوس الناس، وكأن تحذير الله للمؤمنين من مغبة الأخذ بخبر الفاسق كلها لم تنفعهم، ولم تشكل حاجزاً يمنعهم من الانصياع

---

١ - ابن الأثير، ج٣، ص ٦٢.

للشائعات، يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إنْ جاءَكُم فاسقٌ بنبأٍ فتبيّنوا أنْ تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتُصبحوا على ما فعلتُم نادمِين**﴾ [1].

ز- سلسلة الخيانات التي طالت قائد الجيش عبيد الله ومعه ثمانية آلاف من أصل اثني عشر ألفاً من مقدمة الجيش، ما سبَّب باضطراب الجيش وهزيمته نفسياً، وغير خافٍ على أحد مدى ما تحدثه الهزيمة النفسية في نفوس المقاتلين من أثر سلبي قاتل[*]، لقد خلقت خيانة عبيد الله وحدها جواً من الإحباط والتشاؤم، ولم يقتصر على الجنود في مسكن حتى تعدّى ذلك إلى المدائن.

ح- تنكّر المسلمين لأبسط المسلّمات العقائدية والتاريخية وهو ما سبّب أن يزهد الإمام في الحياة مع نماذج محسوبة على المسلمين والبشر وهم ليسوا كذلك، وهو القائل ﷺ: «وقد زهدني فيكم اغتيالكم أبي»[2] فإذا كان مصير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في هكذا مجتمع القتل لذنبٍ واحد ارتكبه الإمام إنه يريد أن يحمل الناس على

---

١ - الحجرات ٦.

* في الحروب العسكرية تشكّل المعنويات قبال العدد والعدة لدى أي جيش في العالم نسبة الثمانين في المائة، فمن الطبيعي أن انسحاب قائد الجيش ومعه الآلاف يقضي على معنويات نسبة لا يُستهان بها لدى الجيش غير العقائدي، وإن كان عقائدياً فإنّ النسبة قليلة، والأمر مرهون بمدى الإيمان والالتزام، فالمؤمن لا يستوحش مهما كان أهل الحق قلّة، والمذبذب هو كالبورصة التي تنساق تبعاً للعرض والطلب.

٢ - حياة الإمام الحسن- باقر شريف القرشي، دار البلاغة ج٢، ص١٣٢.

المحجة البيضاء واسترداد المال المغصوب حتى لو زُوّجت بـه النسـاء ومُلّكت به الإماء(*)، فعلى أي شيء آخر يؤتمن المسلمون؟ فالشـجرة تُعرف من ثمرها كما يُقال، والمؤمن يُعرف في وقت الشدّة والشّدائد.

ط – حرص الإمام على حقن دماء المسلمين، فـالحرب إذا لـم يكـن لهـا مبرراتها فإن أي ثمن سيُدفع لن يؤدي إلى نتائج إيجابية، وهـو القائـل في المدائن عليه السلام: «أيّها الناس، إن الأمر الذي اختلفت فيه أنـا ومعاويـة إنما هو حق أتركه لإصلاح أمر الأمة، وحقن دمائها»(١).

ي- حوادث المدائن القاسية والمريرة حيث حكـم علـى الإمـام عليه السلام مـن يفترض بهم الوقوف معه وخلفه بالتكفير، وقد تعاطوا معه بأخلاقيـة لا تمـت إلـى الـدين والأخـلاق بصـلة، حيـث أسـاؤوا الأدب فـي حضرته عليه السلام وقد نهبوا أمتعته وحاولوا اغتياله مراراً وتكراراً، في الوقـت الذي كان فيه الإمام يتعاطى معهـم بأخلاقيـة الرسـل والرسـالة، وقـد صدق فيهم المثل القائل: «لو ألقمته عسلاً عضّ إصبعي»(٢).

ك- قوة العدو وضخامة قواه العسكرية الذي كـان يُعـدّ بسـتين ألفـاً مـن الأعداء الأشدّاء، وهو رقم كبير مقابل جيش الإمام قبـل خيانـة الآلاف منهم فكيف سيكون الحال بعد الخيانة؟ وهـل باسـتطاعة أربعـة آلاف

---

* من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان، فقال عليه السلام: «والله لو وجدته قد تُزوّج به النساء وملك به الإماء لرددته، فإنّ في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»، نهج البلاغة، خطبة ١٥.

١- أعيان الشيعة، ج٤، ص ٤٢.

٢ – هذا مثل يُضرب بالأشخاص الذين لا يقابلون الإحسان بالإحسان.

مقاتل مواجهة ستين ألفاً!

وهناك المزيد من الأسباب التي تقدّم ذكرها في مطاوي البحث، ولن نرهق القارئ الكريم في ذكرها اعتماداً منا على نباهته وبصيرته على أن اللبيب تكفيه الإشارة عن الشرح والتفصيل.

الصلح يفضح سريرة معاوية:

أدرك ابن آكلة الآكباد بأن الحرب باتت لصالحه بعد سلسلة الخيانات، لكنه مع ذلك ألحّ على الصلح، لأنه كان على يقين بأن أي انتصار على ابن بنت النبي لن يصب في مصلحة مشروعة التمهيدي وهو الحريص على الظهور بمظهر أنه محب للنبي وآل بيته، لذا كان شديد الحرص على أن لا تسفك الدماء ليس من منطلق خوفه من الله وإنما من أجل ان لا يتورّط في حرب تُظهر مضموره، وهو الموهوب في اقتناص الفرص عندما يتعلق الأمر بالفتن، والمشهود له بالتّخصص في تعهّد حروب الفتن والحروب الباردة.

ووافق الإمام الحسن عليه السلام بدوره على الصلح، لأنه سيُظهر سريرة ابن أبي سفيان ويكشف حقيقة ما يبطنه ويخفيه، وما خطط له الإمام سرعان ما ظهر فتكشّفت أوراق معاوية السرية لأن كبرياءه وشعوره بجنون العظمة، لم يعد يسمح له إلا بالعدوانيّة، فهو لمّا رأى أن سلطانه قد اتسعت رقعته، وأن العراق الذي كان يشغل باله صار تحت إمرته شمخ بأنفه، وبدأ يتعامل مع كل الذين اشتراهم بماله باحتقار، وصار يمارس معهم عملية الإذلال ويوجّه لهم الإهانات ويفضحهم بالأسماء، وأنه اشترى فلاناً زعيم القبيلة بكذا وآخر بمبلغ كذا.. إلى أن بلغ الذروة في التكبّر والخيلاء لأنه لم يعد يشعر بضرورة إخفاء شخصيته

الحقيقية فأظهر مكنوناته وأخرج ما في قلبه وصدره من شحناء وبغضاء لبيت النبوة والإمامة ومن حب وشغف كبيرين للزعامة والإمرة حتى اعترف بخطابه الفرعوني بأنه لم يقاتل من أجل صلاة وصيام لأنه كان يعلم بأن الناس تصلي وتصوم، بل قاتل من أجل الإمرة ليس إلاّ، فهو لم يقاتل لا من أجل عثمان ولا من أجل الدين والمتدينين، فقال في محفل حاشد من العراقيين «والله إني ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون»[1] (*) ولم يكن يترك مناسبة إلا وكان يوجه فيها جام غضبه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولده الحسن عليهما السلام.

لقد كان الصلح – الضرورة – كاشفاً بحق لحقيقة مستور معاوية وفاضحاً لسرائره ونواياه، ومن يدقق في شروط الإمام الحسن على معاوية في بنود الصلح يدرك أن الإمام كان يعلم أن الرجل سيتفلّت منها، لكن إمامنا المجتبى عليه السلام أراد إظهاره بمظهر حكّام الجور وأنّه غادر فاجر(*)، هذا فضلاً عن كونه لا علاقة له بأي شكل من أشكال الدين، أو مظهر من مظهره، اللهم إلاّ الشكليات التي تخدع السذج من الناس، وهم النماذج المستنسخة الذين تجدهم دائماً في كل عصر ومصر.

---

١ – أعيان الشيعة ج ٤ ص ٢٦. وفي بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٤٩.

* في رواية أبي اسحاق السبيعي أن معاوية قال في خطبته: « ألا وإن كل شيء أعطيت الحسن ابن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به » وقد ذكر ذلك إبن أبي الحديد في النهج.

* كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يصف معاوية بأنه داهية وغادر كما يقول عليه السلام: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة» «ولكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة»، نهج البلاغة، نص ٢٠٠.

بنود الصلح:

اختلف المؤرخون وكتّاب السِّير في بنود الصلح الموقّعة، فقد ذكر جماعة من المؤرخين : إن الإمام الحسن اتفق مع معاوية أن يسلِّم له ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، وليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده.

وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وإن أصحاب علي آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية الوفاء بعهد الله وميثاقه.

وأن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ﷺ غائلة سراً ولا جهراً ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق.

وروى الطبري أن معاوية أرسل إلى الإمام صحيفة بيضاء وختم أسفلها بخاتمه وترك للحسن أن يكتب ما يشاء ويقترح ما يريد[1].

وفي تاريخ أبي الفداء أن الحسن كتب إلى معاوية واشترط عليه شروطاً وقال: إن أجبت إليها فأنا سامع مطيع، فأجاب معاوية إليها، وكان الذي طلبه الحسن أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة، وخراج دار أبجرد من فارس، وأن لا يسب علياً. فلم يجبه إلى الكف عن سب علي فطلب الحسن أن لا يشتم علياً وهو يسمع فأجابه إلى ذلك، ثم لم يف له به [2]. وقد ذكر الرواة أن عقد الصلح اشتمل على بعض البنود الأخرى من قبيل أن الأمن العام لعموم الناس، الأسود

---

١ - كتاب سيرة الأئمة الإثني عشر ، للسيد هاشم معروف الحسني ج١، ص ٥٨٢

٢ - تاريخ أبي الفداء ١- ١٩٢.

والأحمر منهم سواء فيه، وأن لا يتتبع معاوية أحداً بما مضى، وأن لا يُسمي معاوية نفسه بأمير المؤمنين، وأن لا يقيم عنده الشهادة، وأن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام وأن لا يذكره إلا بخير، والأمن لشيعته وعدم التعرّض لهم بمكروه، وأن يوصل إلى كل ذي حق حقه، وأن ينفق على أيتام من قُتل مع أمير المؤمنين في حربي الجمل وصفين ألف ألف درهم، وهناك مصادر أخرى وهي كثيرة، فبعضها ينقص من البنود وبعضها الآخر يزيد منها.

وعلى أي حال فلو صحّت الرواية المتضمنة اشتراط الإمام لنفسه ما في بيت المال في الكوفة، فهذا ما يُعبّر عنه فقهياً بالاستنقاذ، فهو عليه السلام يريد إنقاذ مال الفقراء والمساكين والأيتام من أيدي الظالمين والطواغيت والجبابرة، وإلاّ فإن المال بالنسبة للإمام الحسن لا يعني له شيئاً، فهو عليه السلام الذي قاسم الفقراء أمواله ثلاث مرّات، وخرج من ماله مرتين.

شروطه عليه السلام ... الرسالة المفخخة:

مما لا شك فيه أن موافقة الإمام على الصلح، كانت بحكم الضرورة التي فُرضت عليه بناءً لمعطيات قدّمنا بعضاً مما نعرف أو حاولنا، ولم نوَفَّق لمعرفة بعضها الآخر، والتي شكّلت أسباباً ضاغطة حتى إضطرَ لعقد الصلح.. ولا تعني الضرورة أن الصلح لم يكن وجيهاً ومُوجَّهاً وحاملاً للعديد من الرسائل الحسنية التوجيهية للأمة التي أدمنت الخدَر واعتادت الغدر، فالإمام الحسن عليه السلام الذي تنكرّت الدنيا له حتى بات بلا ناصر ونصير، والذي لم يستوحش رغم مرارة الغربة التي كان فيها، وكأننا به يسمع كلمات أبيه أمير المؤمنين عليه السلام والتي تعطي الطمأنينة لأهل الهدى والحق.

فيقول عليه السلام: «أيّها الناس لا تستوحشوا في طريق الهُدى لقلة أهله، فإنّ الناسَ قد اجتمعوا على مائدةٍ شِبْعُها قصيرٌ، وجوعُها طويل» [1] فهو عليه السلام من أهل بيت يفيضون بالمعنويات، فلا يسقطهم الغدر ولا تقعدهم الخيانة، وإنما يبدّلون الأساليب لتكون في خدمة الهدف الواحد الذي لا تغيّره الظروف ولا الأحداث وهو التقرّب منه عز وجل.

فإذا أُقعد الواحدّ منهم عن القيام بمهامه الجهادية فهو يختار أسلوباً آخر من أساليب الجهاد، فالإمام علي عليه السلام وإن أقعد في بيته خمسة وعشرون عاماً لكنه لم يغب عن ساحة التبليغ للرسالة والتسديد لرأي حاكم، والتصويب لفتوى متصدٍّ للفتية وليس من أهلها، والإمام زين العابدين حينما يُضيّق عليه بعد شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام يختار أسلوب الدعاء ويُخبر عن وقائع عاشوراء حتى تتحول دموعه الباكية على سيد الشهداء إلى دموع ثائرة وإلى رسالة تُنطِق الدم الكربلائي.

هذا فضلاً عن مدرسة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وبقية الأئمة الأطهار عليهم السلام، والإمام الحسن عليه السلام أراد بصلحه إيصال رسائل متعدّدة، مهما حاولنا التعرّف عليها فإن قول الله تبارك وتعالى يشكل الجواب الشافي لكل معلوماتنا مهما بلغت، فيقول عز من قائل: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** [2]﴾.

فقد أراد أن لا يفرح معاوية كثيراً بانتصاراته من خلال شروطه التي كانت أبعد من أن يفقه مداليلها معاوية، وهو الماكر والعارف من أين تؤكل الكتف كما

---

١ - نهج البلاغة من كلام لامير المؤمنين عليه السلام شرح الدكتور صبحي الصالح ، ص٣١٩.

٢ - الإسراء، ٨٥

يقال؟ وإن فهمها واستوعبها فهو غير قادر على الرجوع من حيث بدأ، لان مصلحته تقع في عقد الصلح، وهو وإن لم يبال بالبنود والتفاصيل والشروط التي اشترطها الإمام، فذلك لأنه لم يكن في باله الإلتزام وهو ممّن عرف عنه نقضه للعهود وعدم وفائه بالوعود. وقد مرّ معنا في رواية الطبري أن معاوية قبْل الصلح أرسل إلى الإمام الحسن عليه السلام صحيفة بيضاء ختم في أسفلها، ليكتب الحسن شروطه التي وافق معاوية عليها سلفاً، ومهما يكن من أمر، فسواء صحت رواية الطبري أم لم تصح، فإن الرجل وأمام الإنتصارات الكبيرة له والتي لم يكن يحلم بها، لم يعد يبالي بالتفاصيل، فمن يستخف بأوامر الله وتوصيات رسوله، لن يحرص على التزامه بالعهود والمواثيق.. كل هذا لم يكن غائباً عن ذهن إمامنا الحسن عليه السلام لأنه عليه السلام حينما أخذ الأيمان والعهود من معاوية لم يأخذها ليتأكد من صدقه، بل ليكشفه للسذّج من الناس، وتفاصيل بنود الصلح تكشفه أمام المخدوعين بشعاراته، والتي كان من أبرزها أن عدم التزام معاوية بها كشفت مكره وخداعه وألّبت عدداً ضخماً من الشخصيات البارزة عليه.

فحينما يشترط ولاية العهد بعد هلاكه له عليه السلام ولأخيه من بعده، فهذا معناه أن الإمام يعلم أن معاوية يريد تحويل ولاية العهد لأبنائه وأحفاده، وإن خالف وقد حصل ذلك ستظهر حقيقة نقضه بالعهود، وتركيز الإمام على صيانة موقعه وموقع أخيه الحسين عليه السلام يدلّ بوضوح على عناوين ومفاصل أساسية تتعلق بأمور القيادة وموقعية القائد، وحينما يشترط عليه أن لا يسميه بأمير المؤمنين، فهذا اعتراف شرعي لغصبية معاوية لهذا الإسم واللقب، وحين يشترط الإمام على معاوية بأن لا يعدو الكتاب والسنة، فهذا معناه أنه يعدوهما ويتعدّى

حدودهما وأنه من أبعد الناس عن تطبيق ما في الكتاب والسنّة.

وحين يشترط عليه عدم إقامة الشهادة عنده، دلّ على أنه من حكام الجور لأن الشهادة تقام عند الحاكم الشرعي، وليس عند حكّام الظلم والطغيان، وإلزامه بشرط عدم التعرّض بسوء لشيعة أمير المؤمنين دلّت على أنّ الرجل يتعرّض لهم ويؤذيهم، وهكذا هي بقيّة الشروط التي وافق عليها معاوية سلفاً ولم يُدرك أنّها تكشف حقيقته وتعرّي صورته وتُظهرها على واقعها الحقيقي بعيداً عن تدليساته وعمليات التجميل لبشاعة قُبحه، والحديث طويل نقتصر على ما تقدّم والله نسأل أن يُسدّد ويؤيد حتى لا نكون من ظالميه بإسم الدفاع عن مظلوميته.

لماذا ينتصر الغدر أحياناً؟

هل يحرم الصدق فرصة النصر لأولياء الله، بينما يُقدّم الكذب والنفاق لأصحابه الخدمات الكثيرة والاستهدافات الخطيرة؟ ولماذا يُعطى معاوية فرصة النصر الآني وهو الذي استعمل أدوات محرّمة وأساليب غير شريفة لغاية دنيئة رخيصة؟ ولماذا لم يستخدم الإمام الحسن عليه السلام تلك الأدوات طالما أن الغاية هي من النبل بمكان، وهي مقدّسة كقداسة طهره عليه السلام؟

وباختصار شديد نقول: إن المؤمنين الرساليين لا يلجأون إلى أساليب غير شريفة، حتى لو كان الهدف نبيلاً، فالغاية لا تبرّر الوسيلة في منظار المؤمنين بالله. فكما تكون الغاية، كذلك هي الوسيلة، فلا يُطاع الله من حيث يُعصى، ولا يُرجى النصر بالجور، ولا هزيمة الأعداء بالخداع، حتى لو كلّف ذلك تضحيات جسام،

فعن الإمام الحسن عليه السلام: «إن الغدر لا خير فيه، ولو أردت لما فعلت»[1]. وإلى تلك المعاني وغيرها أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «إنّ الوفاء توأمُ الصّدق[*]، ولا أعلم جُنَّة أوقى منه، وما يَغدِرُ من عَلِمَ كيف المَرْجِعُ، ولقد أصبحنا في زمانٍ اتّخذ أكثرُ أهله الغدرَ كيْساً (أي فطنة وذكاء)»[2] فالقادة هم حرّاس العقيدة والمعتقد، والتعاطي مع المجتمع والدولة لا ينبغي أن يكون على حساب المبدأ، فقيمة الهداة الميامين تكمن في ثباتهم الذي يتحدّى الجبال الشامخة، وليس في التقلّب حسب هبوب العواصف وتغيّر المصالح، فهم الأنموذج الذي يؤسس للمستقبل، والقدوة لكل الأجيال، وهم طلاب الآخرة، وما سعيهم في الدنيا إلاّ لأجل سعادة الدارين. فقد تبدو أفعالهم مستغربة لدى كل من يريد الانتصار العسكري بأي ثمن، لكنّهم هم الأمناء على الدين، الأمناء على تبليغ الرسالة كما هي بعيداً عن الانتصارات الآنية والمصالح الشخصية، فهم لا يبحثون عن أمجاد لهم من بين الأطلال ولا عن جاهٍ لهم ما بين الجماجم والرؤوس المقطّعة والأيدي والأرجل المتطايرة. إنّ نصرهم هو أن ينتصر الحق وإنْ طال ليل الباطل، وعزّهم أن يُعزّ الدين وإن توهّم البعض بأنّه ذُلّ.

إنّ انتصاراتهم الحقيقية تكمن في زرع شتلات الحق غرسة تلو أخرى،

١- البحار، العلاّمة محمد باقر المجلسي، ج٤٤، ص ٥٧، الطبعة الحديثة. والمقصود بقول الإمام عليه السلام "ولو أردتُ لما فعلت" أي لو أردت الغدر لما فعلت واضطررت إلى الصلح.

* على ضوء ذلك فالخيانة توأم الكذب، فكما لا جُنة أكثر وقاية من الوفاء، فمن يتترس بالغدر لا يدوم له غدره، وقد قيل: تستطيع أن تضحك على بعض الناس وليس كل الناس، ولبعض الوقت وليس كلّ الوقت.

٢ - نهج البلاغة، الخطبة ٤١.

وتربية الأجيال لخدمة الحق والدين، لا يبحث الواحد منهم عن مجده وعزّه هو، بل عن مجد الإسلام وعزّه. إنّ غاية المنى لهؤلاء العظام إقامة حدود الله المعطّلة، وأن يحكم الله وهو خير الحاكمين، وتأصيل التجربة الإسلامية كواقع معاش، ليأمن كل مظلوم ومحروم، فالوصول إلى تلك الغاية هو النّصر بذاته، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان. ولا التماس شيء من فضول الحطام. ولكن لنردّ المعالم في دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك. وتقام المعطّلة من حدودك»[1].

فلو كان الهدف له علاقة بدنيا أو منافسة في سلطان، أو التماس شيء من حطام، لكانت الخسارة تقاس بحدود خسارة السلطان الزائل والحطام البالي، لكنه مرتبط بمواكبة أهل الأرض لأهل السماء، وبإعطاء النموذج الأفضل لمسلمين يعيشون الإسلام حياً مترجماً، وعلى ذلك يمكننا الإجابة عن سؤال قد يتبادر إلى أذهان من يقرأ سيرة معاوية والتي يبدو فيها أنه أمام انتصارات لا هزائم، ونجاحات لا إخفاقات، وقد لا يعجب القارئ بهذه النتيجة التي هي بمثابة سؤال يأتي أو شبهة ترد.

والحقيقة أن أهل الباطل وإن ربحوا العديد من الجولات في عملية صراعهم للحق والعدل لكنّهم في نهاية المطاف أصحاب انتصارات محدودة في حدود آفاقهم الضيقة التي هي أضيق من صدورهم، فهم يستعجلون لتحقيق بعضٍ من انتصاراتهم الواهمة كما يخدعون أنفسهم، وهؤلاء لا يقرأون حركة التاريخ ولا في قوانين السنن التي ينتصر فيها الحق وتكون العاقبة للمتقين. قال تعالى: ﴿إن

---

١ - نهج البلاغة، النص ١٢٩.

الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين[1]﴾ وقال تعالى:﴿**ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**[2]﴾ هذا وعد الله .. وهو يبشر بالمستقبل ويضع الإنسان أمام مسؤولياته الشرعية ليكون كل فرد من أفراد هذا المجتمع مفردةً من مفردات الوعد الإلهي، ﴿**إنهم يرونه بعيداً ونراه قريبا**﴾[*]!

.. صاعق التفجير للثورات:

إن أهمّ ما في الصلح أنه يخطط ليوم آخر سيأتي، وظرف أخر سيتغير فتتغير معه خريطة الأولوية والخطة، وتسل السيوف من أغمادها، لتعرف الخيلُ فرسانها، فقد اشتاقت لهم.. لجيادهم.. لهمهماتهم.. اشتاقت العاديات إلى فرسانها والمجاهدين .. إلى من ينفّس كربة المكروبين الذين عانوا الأمرّين، عانوا الوحدة والقلّة والغربة، من الردة والقهر والغلبة للنفاق.. حتى يمكننا القول إن الإمام الحسن هو أمير الوحدة والغربة، أمير المظلومين وكهفهم، معز المؤمنين وناصرهم.

وكربلاء الحسين نتاج صبره وصلحه.. وثمرة مظلوميته وغربته، فماذا قدّم

---

١ – الأنبياء، الآية ١٠٥.

٢ – المؤمنون، آية ٥١.

* «الأحداث التي تغيّر مسار الجنس البشري لا تقاس بأعمار الأفراد أو الجماعات ولا بالحركة التاريخية في هذا النطاق أو ذاك، وإنما تُقاس بما يتناسب مع حجم النوع الإنساني كله ومع حركة التاريخ العالمي كلها» كما يقول العلامة المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتاب حركة التاريخ عند الإمام علي، ص ٢١٨.

الحسن بصلحه إلى مستقبل الإسلام، وإلى كربلاء بالتحديد؟ ولو لم يكن من ثمارٍ للصلح إلا كربلاء الحسين لكفى..

صحيح أن الإمام المجتبى انحنى بأصحابه القليلين جداً وأهل بيته أمام العاصفة الأموية بانتظار المتغيرات وتبدّل المعطيات، وهو في الأثناء كشف بشروطه في بنود الصلح عن حقيقة معاوية، وهذا بحدّ ذاته أجّج مشاعر الغضب وحرّك حسّ المخدوعين بشعاراته، وجعل الناس المتضررين من وجوده بمثابة الجمر تحت الرماد، وكما قيل: «الحقّ كالنار، عندما نحاول تغطيته يحترق» فقد حاول معاوية باستهتاره بالناس واستخفافه بهم أن يتستر بذلك على حقيقته، وبدون أن يحسب أي حساب لأحد، جعل الناس أشبه بالبركان المتأجج يريد أن يقذف ويُلقي بحممه، بينما استطاع سبط الرسول أن يستفيد من قدرات الناس ويستثمر طاقاتهم، بعد أن انتظر بفارغ الصبر أن يفيقوا من سكرتهم، لأنهم ما لم يفيقوا فلن يسمعوا كلام الإمام، ولن يصدّقوه إذا أخبرهم بمكره، وما لم يستجمعوا قوى عقولهم فلن تقوى الكلمات على تثبيتهم ولا حتى الشلالات من دماء الشهداء على إيقاظهم من سباتهم العميق، فمن الطبيعي أن لا يُخاطِب العاقلُ المخمورَ حتى يعود إلى صوابه ويفيق، وهكذا كان حال إمامنا الحسن مع السيل العرم من السواد الأعظم في ظل وجود معاوية الذي كان يتمتّع بقدرات عقلية لا يُستهان بها، حتى بات وللأسف يعني للناس كما يعني لهم العقل والمخ الذي يحرّك الجسد مهما كبر وعظم طولاً وعرضاً.. ومن هذا المنطلق كان تركيز الإمام الحسن على عدم القيام بأي تحرّك عسكري طالما أن معاوية على قيد الحياة، وكانت توجيهات الإمام الحسين بعد شهادة أخيه الحسن هي نفسها لا

تنقص ولا تزيد وقد قيل والتعبير دقيق «صلح الحسن صلح حسني حسيني، وكربلاء الحسين كربلاء الحسن والحسين».

جندي كربلاء المجهول:

جهّز الإمام وهيّء وأعد للثورة، ولأن الظروف لم تساعده في عصره فقد وضع كل إمكانياته وقدراته، كل رصيدٍ له، كل صبر تحمّله، بل كل وجوده وضعه وبحماس منقطع النظير في خدمة الثورة الحسينية. وكأني به عليه السلام وهو يتحمّل عواقب الصلح ونتائجه يسمع صوت أبي عبد الله الحسين في كربلاء التي كان يشعر حيالها بالجندية، بل بمسؤولية تحمّل أعباء انضاج الظروف لها، وتهيئة أجوائها، وهي مسؤولية القيادة التي ترى المستقبل بعين البصيرة، وترى الثورة بالصلح، والمستقبل الزاهر بكربلاء، والنتائج الباهرة لثورة الحسين عليه السلام بعين أخيه الحسن عليه السلام المجتبى المضحّي والمدافع والجندي الكربلائي المجهول، الذي لم يُظلم في عصره فقط، وإنما طاولته المظلومية حينما لم يُذكر في عِداد شهداء كربلاء ولا من جملة قياديها الكبار والكبار جداً، فهو عليه السلام ممّن أسّسوا أساس العدل الذي أراد اجتثات أساس الفساد من جذوره، وهو الذي اختير لمهمة صعبة ودقيقة حسّاسة وخطيرة. وعلى أي حال فإن صلحه عليه السلام لم يكن صلح الحسن وحده، وإنما كان صلح الحسن والحسين، وإن كربلاء الحسين لم تكن كربلاء الحسين وحده، وإنما كانت كربلاء الحسن والحسين. فهما معاً خطّطاً للصلح وعملا لإنجاحه، وهما معاً خطّطا للثورة وعملا لإنضاجها وإنجاحها، وهما معاً سيدا شباب أهل الجنة وشهداء الحق ضد الباطل، مع فارق الظرفين واختلاف القاتلَيْن والجائرَيْن واتحاد بيتهما الأموي وتقاسم القتل بين

الولد والوالد، واختلاف المقتولَيْن والشهيدين بالإسمين ما بين حسن وحسين، واتحاد بيتيهما ببيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، واختلاف أوان المعركة وطريقة الاستشهاد التي كانت تارة على يد جعدة(*) بنت الأشعث الزوجة المطيعة لإبن هند والقاتلة لزوجها، وأخرى على يد يزيد ابن معاوية مشتركاً بالقتل كل من باء بإثمه وارتكب أفظع واقعة في التاريخ، وأكبر جريمة يشهدها العالم، حتى أن إمامنا الصادق عليه السلام يعبّر عنها بقوله وهو يخاطب جدّه الحسين «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله».

* ورد أن الإمام الحسن عليه السلام أخذ جمعاً من الناس بعد أن غدر به أهل الكوفة بقوله «إني أموت بالسم..» فسُئل عن الفاعل فأجاب عليه السلام: «امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس، فإنّ معاوية يدسّ إليها ويأمرها بذلك، فقالوا له: أخرِجها من منزلك، وباعدها من نفسك. قال: كيف أُخرِجها ولم تفعل بعدُ شيئاً؟ ! ولو أخرجتُها ما قتلني غيرها، وكان لها عذرٌ عند الناس» كما ورد في جلاء العيون للسيد عبد الله شبّر، ج١، ص ٣٦٨.

الفصل السابع

- الصلح .. آثار وأبعاد.
- ماذا بعد الصلح.
- الخطاب تاريخي.. والمجتمع جاهلي.
- سُنن التاريخ.
- عزّ المؤمنين - لا ذلّهم.
- تناقض أم تكامل؟
- جولة في درر كلماته عليه السلام.
- كلمة لا بدّ منها.
- يشرب محطّ الرّحال.
- أصداء دعوته عليه السلام.
- قالوا في صلح الحسن عليه السلام.

الصلح .. آثار وأبعاد

ماذا بعد الصلح ؟

اجتمع الإمام مكرهاً بمعاوية في النخيلة[1]. وقيل بالكوفة [2]. وقد حضر الإجتماع جموع حاشدة تريد معرفة ما يقوله الحسن عليه السلام الذي الجأته الظروف القاهرة إلى الصلح، وما يقوله معاوية بعد ظفره، وبالفعل فقد صعد معاوية المنبر وأخرج خبث ذاته ونتونة مكنوناته بكلمات قاسية ونابية، إلى أن قال: «أيها الناس، ما اختلف أمر أمّة بعد نبيّها إلا وظهر أهل باطلها على أهل حقها. ثم ندم على‌مقولته لأنها ليست لصالحه وقد صدق من قال «الحق ينطق منصفاً وعنيداً» فاستدرك قائلاً «إلا هذه الأمة»[3].

وبدأ بتوضيح مراميه من كل قتاله، فهو قاتل العراقيين ليتأمر عليهم فقال: «والله إني ما قاتلتكم لتصلوا ولتصوموا ولتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها» [4] .. وعلى أي حالٍ سواء كان خطاب معاوية في النخيلة وهي في طريق الكوفة أم

---

١ - ابن أبي الحديد ١٦/٤

٢- اليعقوبي ١٩٢/٢. الإرشاد ١٧.

٣ - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج٤، ص ١٦.

٤ - أعيان الشيعة، ج٤ ص ٢٦، بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٤٩، مرّ خطاب معاوية الفرعوني هذا، خطاب الإمرة والسلطان تحت عنوان (الصلح يفضح سريرة معاوية).

كان في الكوفة، فهو خطاب للعراقيين وخصوصاً لأهل الكوفة، وغير خاف على أحد أن الكوفة كانت عاصمة الأمصار والبلدان، وبعد أن ربح معاوية جولته صارت تابعة لدمشق، وفي العاصمة السابقة يمارس معاوية عهره وطغيانه دون أن يحسب حساباً لأحد وفي البلد الموالي لأهل البيت والذي لا يوجد زاوية من زواياه إلاّ ولآل الرسول فيها ذكريات لا تزال محفوظة، وكلمات لهم لا تزال ترنّ في الأسماع وتصغي إليها آذان القلوب، ففي هذا البلد يقف معاوية متحدّياً لكل القوانين وخارقاً لكل المعاهدات والعقود والبنود، فيشتم تارة أمير المؤمنين عليه السلام وأخرى ولده الحسن دون رادع أو زاجر، وهو لا يبالي بما يفعل، حتى أن عبد الرحمن بن شريك الكوفي كان كلما تذكّر فعل معاوية يقول: «والله هذا هو التهتك».. لكن الإمام عليه السلام الذي لم يمر بمحنة مثل تلك المحنة حيث يشاهد مظهر المتهتك المفتخر بانتصاراته وهو يشمخ بأنفه عالياً بكل خيلاء واستخفاف بمن حضر، فيصعد عليه السلام المنبر ويُلقي خطاباً بليغاً مُسدداً، أقل ما فيه أنه يُستحق أن يُكتب بماء الذهب(*) وقد صدق الشاعر حين قال:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

الخطاب تاريخي والمجتمع جاهلي:

اضطر الإمام الحسن عليه السلام في خطابه للدفاع عن النفس وتعريف نفسه ومكانته وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث جاء في خطابه عليه السلام: «أيها الناس أن

---

* هل استطعنا نحن اليوم وقد أخذتنا الآلة الحديثة والكمبيوتر والانترنت والفضائيات، أن نقرأ خطابه عليه السلام هذا فضلاً عن التدبّر في معانيه العميقة، والتي تدلل على عمق الفجوة بين الإمام الحسن عليه السلام وأتباع يحسبون أنفسهم عليه وعلى أبيه وجدّه!.

أكيس الكيّس التقى، وأحمق الحمقى الفجور، والله لو طلبتم ما بين جابلق وجابرس[1]، رجلاً جده رسول الله ﷺ ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين، وقد علمتم أن الله هداكم بجدي محمد ﷺ فأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة، وأعزكم به بعد الذلة، وكثّركم به بعد القلة، إن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمة، وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت، فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه، وقد بايعته، وقد رأيت أن حقن الدماء خير من سفكها، ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين»[2].

كان الإمام يبين مقامه لا عن فخر وتفاخر، إنما من أجل توعية أصحاب القلوب المريضة والنفوس الخبيثة، وهو عليه السلام يعلم أنهم يعلمون ارتباطه بالرسول، وانه صالح حقناً للدماء وليس حفظاً لنفسه، وعلى أي حال بين لهم أن الصلح فتنة وامتحان لهم، ثم بدأ يبين مدى مظلومية أهل البيت فقال عليه السلام: «وإن معاوية زعم لكم أني رأيته للخلافة أهلاً ولم أرَ نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية. نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبيه...

إلى أن قال: «وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول الله لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية، فلما خرجت من معدنها تنازعتها قريش بينها، فطمع فيها الطلقاء[*] وأبناء الطلقاء،

---

١ - جابلق: مدينة بأقصى المغرب_ وجابرس: مدينة بأقصى المشرق.

٢ - كشف الغمة ص ١٧٠. والبحار ج١ ص ١١٤ الطبعة القديمة.

* - تقدم معنى الطلقاء، وهم الذين أطلقهم الرسول ﷺ في مكة حين دخلها فاتحاً.

أنت وأصحابك، وقد قال رسول الله: ما ولّت أمّة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا... وتركت هذه الأمة أبي وبايعوا غيره، وقد سمعوا رسول الله يقول له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، وقد رأوا رسول الله نصب أبي يوم غدير خم، وأمرهم أن يبلغ أمره الشاهدُ الغائبَ، وهرب رسول الله من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى دخل الغار، ولو انه وجد أعواناً لما هرب ... وجعل الله النبي في سعة حين دخل الغار ولم يجد أعواناً، وكذلك أبي وأنا في سعة من الله حين خذلتنا هذه الأمة، وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً »[1].

هنا يتحدث الإمام عن السنن والقوانين الجارية، والتي يتحمّل مسؤوليتها المقصِّر والجاهل بحق النبي وآله، فالتخلّف عن أئمة الهدى هو الذي يضع الناس، وجهاً لوجه أمام شخصية الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي، فالرسول صلى الله عليه وآله هرب بدينه إلى الغار لأنه لم يجد الأعوان، والإمام علي عليه السلام سالم لقلّة الناصر والمعين فترتب على ذلك المصلحة في القعود في بيته.

والإمام الحسن هو في سعة من الله كأبيه عليه السلام حين خذلتهما الأمة، والإمام الحسين عليه السلام ثار بالعدد الذي لم يتجاوز الثمانين، لكن هل توفّر لدى الحسن مثل هذا العدد الذي توفّر لأخيه الحسين عليه السلام الذي شكّل كل فرد منه ما يشبه القنبلة البشرية؟

وهل توفّر لأمير المؤمنين مثل الذي توفّر لولده الحسين عليه السلام؟ ولماذا غيبّ الله حفيد المجتبى الإمام محمد بن الحسن العسكري ؟ ألم تكن غيبة الإمام

---

١ - البحار ج١٠- ص ١١٤.

المهدي سر إلهي، فمن جملة أسرارها أن الله سبحانه لا يأمن على حياة البقية الباقية لأهل البيت عليهم السلام؟

ألا تعني الغيبة الصغرى والكبرى لمولانا القائم المهدي عجل الله فرجه أن الأمة لم تصل بعد إلى مستوى ظهوره، لأنها خانت، وغدرت، وقتلت أئمتها عليهم السلام حتى ذهبوا إلى الله ما بين مقتول بالسيف ومسموم بالسُّم، فعندما يُحمّل الحسن مسؤولية الصلح فهذا بدوره ظلم يُضاف إلى قائمة المظالم التي طاولت ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله..

لقد أراد عليه السلام في خطابه ان يقول للحاضر والغائب.. لكل الناس.. للأمة المزايدة: أن أهل البيت لا تنقصهم شجاعة القتال، ولا بطولة وإقدام الرجال، ولا تنقصهم الخبرة في شؤون المجتمع والحرب، ولا المعنويات، فهم طافحون بها، الذي يفتقرون إليه. وعليه تترتب أمورٌ كثيرة، هو توفر الأشخاص المضحّين الثائرين الذين يُشكل وجودهم معادلة في وجوب الحرب أو الصلح.. ثم يكمل عليه السلام خطابه ببعض الكلمات المعبّرة فيقول: «فوالذي بعث محمداً بالحق، لا ينقص من حقنا – أهل البيت- أحدٌ إلا نقصه الله من عمله، ولا تكون علينا دولة إلاّ وتكون لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين»[1] وهو بذلك عليه السلام يخبر عن المستقبل المشرق للإسلام المحمدي الأصيل ولأهله الذين يتحملون الصعاب ويبذلون الغالي والنفيس وذلك من أجل إعلاء كلمة الله، فهم وإن ضعفوا في أيام المحن، وحاولت العواصف اقتلاعهم، لكنهم بثباتهم يبقون ويتحدون كل الأعاصير من أجل رضا الله، فهم وإن صالحوا فذلك من أجل الدين وإن ثاروا

---

١ – المصدر نفسه.

فكذلك، فالمستقبل بهذه الروحية للمؤمنين، والعاقبة لهم، وأول نافذة للمستقبل هي كربلاء بتجلياتها المشرقة التي تنطق باسم الوحي والسماء. ثم يلتفت عليه السلام إلى معاوية فيردّ عليه سبه لأبيه عليه السلام فقال: «أيها الذاكر علياً أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله، وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة، وجدتك فُتيّلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً وشرفاً، قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً!! وأرتفعت الأصوات من جميع جنبات الحفل بقول «آمين آمين»[1].

وهنا لا أطلب من الباحث أو القارىء إلا أن يتأمّل ويتبصّر!

سنن التاريخ:

تأسيساً على ما ورد في خطاب الإمام الحسن عليه السلام والذي قال فيه «وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول الله لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما طمعتَ فيها يا معاوية»، إلى أن قال سلام الله عليه: «وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً»[2]. أمام هذه الكلمات والتي تصلح جواباً لكثير من الأسئلة، ورداً على الكثير من الشبهات، وهي باختصار قوانين وضعها الله لتكون في خدمة الإنسان، إذا ما أحسن التعامل معها بموضوعية. وقد تقدّم معنا في سياق الفصول حيث طرحنا جواباً على هذه الإشكالية والتي مفادها، لماذا انتصر غدر معاوية؟ ولماذا كانت دفة الأمور وزمامها بيد الطاغية

---

١ - شرح ابن أبي الحديد، ج٤، ص١٦.

٢ - البحار، ج١٠، ص ١١٤، تقدم ذكر الحديث تحت عنوان: (الخطاب تاريخي والمجتمع جاهلي)، وقد تحدّثنا عن سنن التاريخ باختصار شديد.

ابن أبي سفيان؟ وأين تكمن نصرة الله للمؤمنين إذا قاموا بما عليهم من واجبات، ذلك أن السنن الإلهية الجارية مفادها كما يقول عزّ من قائل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم**[1]﴾. فالنصر الإلهي قريب التحقق لكنه مشروط دوماً بجهاد المؤمنين. وإلا فما هي فلسفة البلاء والابتلاء؟ وما هو السر في امتحان الله لعباده؟

فهو تبارك وتعالى لا يريد لهم الاستسلام لمشيئة الطواغيت. لأنهم إن فعلوا ذلك فلن ينصرهم، ولو نصرهم وهم لا يحرّكون ساكناً، فلن يكونوا بمستوى الحفاظ على النصر الإلهي إن جاءهم على طبق من فضة أو ذهب. وقد قال الشاعر:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر

فالاختبار الإلهي للبشر هو بمثابة من يدّعي أمامك أنه سبّاح ماهر وأنه يقطع سباحة الأشواط الطويلة في مدة زمنية قصيرة، فتقول له: دعني أرى مزاعمك، وقد تلقيه في البحر لتختبر ادّعاءاته، أو بمثابة من يزعم أنه من أهل السير والسلوك في العالم الأخلاقي، فتنتظر حتى تجرّبه في لحظة غضب أو نكبة أو سفر وما شابه، وإلاّ فما أكثر المزاعم والادّعاءات الفارغة، وعلى ضوء ذلك نستطيع التعرّف على السنن الإلهية التي هي قوانين السماء التي تقول: لو أن تفاحة سقطت من على الشجرة فإنها تسقط على الأرض ولا تصعد إلى السماء، ولو أن شخصاً ألقى بنفسه من على شاهق فإنه سيموت حتماً، ولو أن طاغوتاً وجبّاراً مارس كل أنواع عدوانه، ولم يوقفه أحد عند حدّه وإجرامه، فإنه

---

١ - سورة محمد، آية ٧.

سيتجاوز حقوق الناس وحدودهم وسيتطاول على حرماتهم ومقدساتهم، وبالمقابل لو أن الناس هؤلاء لم يسمعوا كلام الله ولا كلام رسوله أو أحداً من أهل بيته ﷺ بل تعاملوا معها بإعراض، فإنه تبارك وتعالى لن يتدخّل لخرق السنن والنواميس إلاّ باستثناءات محددة، وهي عندما لا يكون للمؤمنين فيها حيلة أو وسيلة، ساعتئذ تتدخل السماء لنجدة أهل الإيمان كما حصل مع نبي الله إبراهيم عليه السلام حينما أُلقي في النار فصيّرها الله برداً وسلاماً على إبراهيم. فلولا السنن القائمة لانحرف الإنسان عن مساره، ظناً منه أن الفوضى هي الحاكمة، ولولا تلك الضوابط المقرّرة، لما قام أهل الدنيا بواجباتهم اعتماداً منهم على أنّ الله لن يرضى للظالم أن يسود إجرامه وينتشر ظلمه، وليس هذا محصوراً في عالم مجابهة الطواغيت، بل له علاقة حتى بجوع الناس وفقرهم وغناهم، وإلى هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿**وألّوْ استقاموا على الطريقة لأسْقيناهم ماءاً غدقاً**[1]﴾ ويقول عزّ من قائل: ﴿**ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم**[2]﴾. ويقول أيضاً في موضع آخر من كتابه العزيز الحميد: ﴿**ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**﴾[3].

وهذا ليس بالضرورة عقاباً إلهياً للناس، بقدر ما هو سنّة واضحة الدلالة

---

١ - سورة الجن، آية ١٦.

٢ - سورة المائدة، آية ٦٦.

٣ - سورة الأعراف، آية ٩٦.

والآثار، فعدم الإيمان هو مقدّمة للظلم الفردي والاجتماعي، والظلم يؤدي إلى خلق مجتمعات متناحرة متباغضة تسودها الأنانيات والعصبيات التي تؤدي بدورها إلى تمزيق قدرات المجتمع وتشتيت طاقاته الهادرة، وبهذا لا يستطيع الإنسان أن يسيطر على موارد الطبيعة طالما أنه غير موحّد ومتكامل، وبالمقابل فإن المجتمع الذي تسوده القيم الإلهية والذي يستجمع كل طاقاته وقدراته لتكون في خدمة الإنسان، هو إنسان موفق يسير ضمن برنامج متكامل يؤدي به إلى سعادة الدارين، وهكذا الأمر على مستوى السنن الاجتماعية، فقد تجد الظالم مسيطراً وحاكماً وممسكاً بمفاصل المجتمع لفترة معيّنة تطول أو تقصر. لكنّه في نهاية المطاف يزول وتتلاشى معالم إمارته بسبب تراكم الظلم الذي يخلّفه في مجتمعه حتى يصير كالسيل الجارف يأخذ كل ما يعترض طريقه، حتى الظالم نفسه، لأن العدوان على الناس وظلمهم سيخلق غضباً وحنقاً في نفوس المظلومين، وهذا بدوره يخلق فيهم ثورة لا تهدأ، وهذه هي سنن التاريخ والمجتمعات. قال تعالى: ﴿**وقد خلت من قبلكم سنن، فسيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**[1]﴾. ﴿**فكأيّن من قرية أهلكناها وهي ظالمةٌ، فهي خاوية على عُروشها، وبئرٍ مُعطلة، وقصر مشيّد**[2]﴾. ويعلّق الفيلسوف الشهيد السيد محمد باقر الصدر على بعض الآيات المتعلقة بالسنن بقوله: «لقد كشف القرآن عن وجود السنن الاجتماعية وعرض العديد منها، لأنه يؤمن بأن على الإنسان أن يعرف هذه القوانين من أجل أن يكون فاعلاً ومؤثراً

---

١ - سورة آل عمران، آية ١٣٧.

٢ - سورة الحج، آية ٤٥.

وممسكاً بزمام الأحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية»[1]. فمعرفة السنن ضرورية، وعلى ضوء معرفتها يمكن لنا استكشاف المزيد منها وفك رموزها، فكما أن الاستقامة على الطريقة تعطي نتائج إيجابية جيدة على مستوى الوضع الاقتصادي، وكما أن الأمم والمجتمعات لها آجالها كما يقول الله: ﴿**كل أمة أجل، إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**[2]﴾. وكما أن العقاب الدنيوي لا يستثني أشخاصاً بل يشمل الجميع يقول تعالى: ﴿**واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب**[3]﴾، وكما أن أساس التغيير الاجتماعي يبدأ من تغيير النفوس والمضمون الداخلي لها، كما يقول عزّ من قائل: ﴿**إنّ الله لا يغيّر ما في قوم حتّى يغيّروا ما في أنفسهم**[4]﴾، يقول الشهيد السيد محمد باقر الصدر (السنن الاجتماعية والتاريخية ذات طابع علمي لأنها تتميز بالأطّراد، وذات طابع رباني لأنها تعبير عن حكمة الله وحسن تدبيره للساحة التاريخية والاجتماعية)، وذات طابع إنساني لأنها لا تفصل الإنسان عن دوره الاجتماعي ولا تعطل فيها إرادته وحريّته واختياره، وإنما تؤكد أكثر فأكثر مسؤوليته على الساحة التاريخية والاجتماعية[5].

على ضوء ذلك يمكننا فهم ما أراده الإمام المجتبى عليه السلام في خطابه، والذي

---

١ - التفسير الموضوعي للشهيد السيد محمد باقر الصدر، المحاضرة الرابعة.

٢ - سورة يونس، آية ٤٩.

٣ - الأنفال، الآية ٢٥.

٤ - سورة الرعد، آية ١١.

٥ - التفسير الموضوعي للسيد محمد باقر الصدر، المحاضرة الخامسة.

حمّل فيه مسؤولية التقصير للأمة المتخاذلة التي لا تكون بمستوى النصر والعزة، فالأمة هذه في منظار إمامنا الحسن عليه السلام لو أنها بايعت وعملت من وحي بيعتها للرسول صلى الله عليه وآله لأعتطهم السّماء قَطْرَها والأرضُ بَركتها ولما طمع فيها معاوية، إلاّ أنها السنن الجارية والقوانين الاجتماعية التي هي نتاج وثمار عمل البشرية، فالقوانين هذه هي التي حتّمت على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الهروب بدينه لأنه لم يجد الأعوان، وهي التي حتّمت على أمير المؤمنين عليه السلام أن يسالم لقلّة الناصر، وهي التي تطلبت من الإمام الحسن عليه السلام الموافقة على الصلح أو الهدنة لقلّة الناصر أو عدمه وكثرة المتخاذلين المستسلمين المهزومين، وقد نقل الإمام عليه السلام في ذلك الخطاب التاريخي في رواية عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وهي من جملة القوانين والسنن التي لا ينبغي المرور عليها مرور الكرام فقال عليه السلام: «وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما ولّت أمة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلاّ لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا»[1].

ومفاد حديث الرسول صلى الله عليه وآله أن أي أمة حينما تولّي أمرها إلى رجل ليس الأعلم فيها بمعرفة الشريعة والدين، بل في ظلّ من هو أعلم منه وأتقى وأورع، فأمر هذه الأمة يتسافل تدريجياً كلّما تسافل اختيارها وهكذا تتراجع القهقرى، إلاّ أن ترجع إلى وضعها السليم فلا تسحقها السنن والقوانين الإلهية، فالاختيار الحسن والصائب الذي هو خيار وإرادة الله للولي إنما يعبّر عن مدى وعي الأمة وبصيرتها ورشدها، أما الاختيار السيء قبال ما يريده عزّ وجل، فهو نتاج تخبط المجتمع، فتكامل الأمة وسيرها نحو الأهداف النبيلة والمثل العليا يتوقّف على

---

١ - البحار، ج١٠، ص ١١٤، تقدّم ذكر الحديث والمصدر.

الطابع الإلهي وحسن تدبيره عزّ وجل، والطابع الإنساني الذي لا يفصل الإنسان عن دوره الاجتماعي ولا يقتل فيه الإرادة والحرية والاختيار كما ذكر السيد الشهيد الصدر (رحمه الله)، بل أنها تؤكد مسؤولية الإنسان على الساحة التاريخية والاجتماعية أكثر فأكثر.

إن أكثر ما يحزّ في النفوس ما يُساق من عناوين وأمثلة تُلقي المسؤولية عن كاهل الإنسان حينما يتهرّب الكثيرون من تحمّل مسؤولياتهم فيقولون: اتركوها ربّانية، وقد غفل هؤلاء وتغافلوا أن الله ربّنا ترك للإنسان فيها دوراً هاماً، وكأنه يقول له: إني جعلتها بشرية وأنا من خلفك، وإن لك شغلك ومهامك وعملك. وعليك مسؤوليات لا بد من تأديتها، فالتخلّف عن تحمّلها يغيّر الكثير من الآثار والنتائج، والغفلة عن القيام بالأدوار الحقيقية يُؤخر تقدم المجتمعات إلى عقود أو قرون..، وكلّما كان التخلّف شديداً وموغلاً في أعماق الفكر للشعوب كلما كانت الشعوب متراجعة ولا يُرجى منها خير، أما إذا تقدّمت الأمم في وعيها وبصيرتها، في إطاعتها وطاعتها لرسل السماء، فإنها تسير قدماً إلى الأمام، وستصل إلى شاطئ الأمان بأقرب فرصة ممكنة، أما لو ضيّعت الفرص ـ لا سمح الله ـ وغابت عن لعب دورها المطلوب وعاشت على هامش الحياة، فإنها ستتحمل وبدون أدنى شك مسؤولية التخلف. وقد التقط هذا المعنى تولستوي حينما تحدّث عن ذلك وعلى طريقته فقال: «إننا كالأطفال نفكّ أجزاء الساعة ونجعل منها ألعوبة، ثم نُدهش بعد هذا إذا أصبحت الساعة لا تدور»، قال تعالى: **﴿ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي**

عملُوا لعلّهم يرجعون[1]﴾. ومن هذا المنطلق فالمسؤول الحقيقي عن عدم قيام الإمام الحسن عليه السلام بالثورة على معاوية، هو وضع الناس وغيابهم وتخاذلهم، تماماً كمسؤولية الناس عن عدم نزول المطر مع أنه بأمر الله. فللإنسان مدخلية كبرى لا نستطيع تغييبه عمّا يتحمّل من مسؤوليات وأعباء فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما من سنّة أقل مطراً من سنة، ولكنّ الله يضعه حيث يشاء، إنّ الله عزّ وجلّ إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدّر لهم من المطر»[2]. وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: «ما اختلج عرق، ولا عثرت قدم إلاّ بما قدّمت أيديكم، وما يعفو الله عنه أكثر»[3].

هذا قانون الطبيعة وتلك مجريات الأحداث التي غيّبت رجالها الكبار حين أُذعِن لقدر المهزومين، بينما كان الحضور بقوة للشخصيات الهزيلة التي استخدمت الوسائل المحرمة تنتهك بها المحرمات والحرمات. وعلى أي حال فإذا ما ساد معاوية بظلمه فذلك لأنّ الناس أيّدته وناصرته، وهذا بدوره كان له تردّداته على مستوى عدم نصرة ريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله، والحديث عن السنن التاريخية والاجتماعية لا ينتهي، تاركين للقارئ الكريم أن يلتقط المزيد من الإشارات والرّموز، التي تشكّل بدورها ليس جواباً على عمل رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، بل تشكّل الأجوبة الكافية والشافية لمعرفة السنن الإلهية التي يجازي الله بها عباده بناءً على تصرّفاتهم وأفعالهم، وحسناتهم وذنوبهم. قال

---

١ - سورة الروم، الآية ٤١.

٢ - ميزان الحكمة، ج٣، ص ٤٦٧.

٣ - ميزان الحكمة، ج٣، ص ٤٦٦.

تعالى: ﴿**ألم يَرَوْا كم أهلكنا من قَبْلهم من قَرن مّكّناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السّماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهارَ تجري من تحتِهم فأهلكناهم بذنوبِهم وأنشأنا بعدهم قرناً آخرين**[1]﴾.

ولنختم الحديث هنا في سنّة من تلك السنن الإلهية، والتي لها دخالتها في القضايا الجهادية. ألا وهي سنّة دفع الله المؤمنين بعضهم ببعض، فلولا هذا القانون لهدمت الصوامع والبِيَع والصلوات والمساجد، قال الله في كتابه العزيز الحكيم: ﴿**ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لهُدّمت صوامَعُ وبِيَعٌ وصلوات**[*] **ومساجدُ يُذكر فيها اسمُ الله كثيراً ولَينصُرنّ الله من ينصُرُهُ إن الله لقويٌ عزيز**[2]﴾. فالله عزّ وجلّ يدفع الناس للدفاع عن بيوت الله وحرماته، ويطلب منهم أن يكونوا أعزّة بهذا الدين، وحين يتخاذلون عن النّصرة فإنهم سيُحرمون من نصر الله، لأنه تعالى أجلّ وأكرم من أن ينصر من ليس له أدنى استعداد للجهاد ودفع ضريبة الجهاد.

عز المؤمنين.. لا ذلّهم:

لا أدري لماذا يحضرني دائماً كلما أردت الحديث عن أسباب الصلح وأهميته، وعن الخلفية التي جعلت الإمام يقدم على الصلح، دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة: «أيكونُ لغيركَ منَ الظُهورِ ما ليسَ لكَ حتى يكونَ

---

١ - سورة الأنعام، الآية ٦.

* - الصوامع: هي معابد رهبان النصارى، والبيع: هي معابد عامة للنصارى وهي عبارة عن كنائسهم، أما الصلوات فهي معابد اليهود.

٢ - سورة الحج، آية ٤٠.

هو المظهِرَ لكَ متى غِبتَ حتى تحتاجَ إلى دليلٍ يدلُ عليكَ» [1] لأن من يريد الإستدلال على وجود الله ليس أوضح وأظهر من وجوده سبحانه، فهل يعقل أن يدل الإنسان على الله؟ وأي متى كان الإنسان أظهر من الله الظاهر والباطن؟ فأي متى غبت يا رب حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ وهل لغيرك من الظهور ما ليس لك؟ وهكذا إذا كان الحديث مع الإمام أبي محمد عليه السلام فهل يحتاج هو منّا أن ندافع عنه، ونفلسف صلحه عليه السلام؟

وهل نملك طهوراً لا يتوفر بأحد مصاديق قوله تعالى: ﴿**ويطهركم تطهيراً**﴾ حتى نبرّئ ساحةالإمام الحسن من تهمة التخاذل التي يحاول الجاهلون لصقها به عليه السلام، وكأننا الأطهر والأقدس، وهو المُدان المتهم، فهو سلام الله عليه قد سمع المزيد من الإتهامات، وجُعل في قفص الإتهام فدافع عن نفسه مُبرراً عمله، وقد آذاه واتّهمه الكثيرون ممّن كانوا يحسبون أنفسهم عليه عليه السلام، فقد دخل عليه مالك بن ضمرة الضمري وتكلم معه بلغة شديدة وقاسية فأجابه عليه السلام: «إني خشيت أن يُجتثّ المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين ناعٍ» [2].

وأخبره عليه السلام لو أنه خاض الحرب مع معاوية في الظروف المعروفة لما بقي مسلم على وجه الأرض[*]، وهو سلام الله عليه افتتح بصلحه عهد الجهاد

---

١ - مفاتيح الجنان، ص ٣٣٩، (مؤسسة الأعلمي - بيروت).

٢ - البحار.. وفي كتاب حياة الإمام الحسن- باقر شريف القرشي ج٢.. ص ٢٦٩.

* - عن جنان بن سدير عن أبيه سدير عن أبي سعيد قال: لما صالح الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته فقال عليه السلام: «ويحكم ما تدرون ما عملت، والله للذي عملت خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أني مفترض الطاعة

المدّخر إلى وقته، وأعطى المؤمنين بيارق عزّتهم، وجعل مجدهم قطوفاً دانية لهم، حينما تحوّل صلحه عليه السلام إلى عنقود، بل إلى عناقيد من العزّة والكرامة والعزّ والشموخ.

ودخل عليه سفيان ابن أبي ليلى الذي كان يؤمن بفكرة الخوارج.

وتكلم بلغة غير مؤدبة تنمّ عن نفسية حاقدة قائلاً: «السلام عليك يا مذلّ المؤمنين» فأجابه عليه السلام: «ويحك أيها الخارجي، لا تعنفني فإن الذي أحوجني إلى ما فعلت قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي، وإنكم لمّا سرتم إلى صفين كان دينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ويحك أيها الخارجي!! إني رأيت أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم، وما اعتزّ بهم إلا من ذل وليس أحد منهم يوافق رأي الآخر» [1].

«ودخل ابن الفضل سفين بن الليل على الإمام الحسن عليه السلام وقال له: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين! فقال له الإمام : لست بمذل للمؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك» [2].

«وفي جواب آخر للإمام عليه السلام حين أتاه المسيب بن نجبة معترضاً متعجباً فقال له الإمام عليه السلام: يا مُسيب ، إني لو أردت – بما فعلت- الدنيا لم يكن معاوية بأُصبر عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب مني، ولكني أردت صلاحكم» [3].

عليكم، وأحد سيديّ شباب أهل الجنة بنص من رسول الله علي؟ كتاب الاحتجاج، للعلامة الطبرسي، ج٢، ص ٢٩٠.

١ – تذكرة الخواص، ص ٢٠٧. ورواه إبن أبي الحديد في شرح النهج .

٢ – تاريخ دمشق ، لإبن عساكر ، ج١٢ ص ٥٤٤.

٣ – تاريخ دمشق ، لأبن عساكر ، ج٢ ، ص ٢٢٥.

ودخل بشير الهمداني على الإمام وهو في المدينة. فقال له: «السلام عليك يا مذل المؤمنين» فأجابه الإمام عليه السلام وعليك السلام، اجلس، فلمّا استقرّ به المجلس خاطبه الإمام بقوله: «لست مذلاً للمؤمنين، ولكني معزّهم، ما أردت بمصالحتي إلاّ أن أدفع عنكم القتل، عندما رأيت تباطؤ أصحابي ونكولهم عن القتال» [1].

وفي جوابٍ على أبي سعيد الذي عاتبه على صلحه فقال «... إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب ان يُسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً، ألا ترى الخضر لمّا خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، سخط موسى فعله لاشتباه الحكمة عليه، حتى أخبره فرضي، هكذا أنا سخطتم عليّ بجهلكم وجه الحكمة، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قُتل...» [2].

ونكتفي بهذه الإشارات التي دلّت على أن الإمام كان يعيش في ظروف قاسية وكان عليه دائماً أن يُبرِّر للقاصي والداني، فالإمام في كل قيامه وقعوده، لم يسعَ ولو للحظة أن يُذل المؤمنين، فهو بحق معزهم وناصرهم ومخلّصهم، ولقد اختصر الإمام الباقر عليه السلام المسافات والكلمات حينما عبّر عن أهمية الصلح بقوله عليه السلام: «والله للذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس» [3].

---

١ - الدينوري ص ٢٠٣.

٢ - علل الشرائع ، للشيخ الصدوق.

٣ - روضة الكافي ج٤ ص ٣٣٠ وفي رواية أن الإمام الحسن يقول: (ما تدرون ما فعلت والله للذي فعلت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس).

تناقض أم تكامل؟:

قد يشعر الباحث أو يتوهم أن في سيرة الإمام أو في كلماته ما يبدو وللوهلة الأولى أنّ فيه بعضاً من التناقض، فهو عليه السلام وقبل توقيع الصلح المندفع للقتال والمشتاق إلى حرب معاوية، والمتمني أن يستأصل معاوية من الوجود لما يُمثل من خطر على الإسلام والمسلمين، وهو من كتب إلى معاوية «كأنك تحب اللقاء وما أوشك ذلك فتوقعه إن شاء الله تعالى » [1].

فحينما يعرض معاوية عليه الصلح يخاطب أصحابه والألم يعتصر قلبه بقوله: «ألا إن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة...» [2] وهو عليه السلام وبعد توقيع عقد الصلح يخبر الناس أهمية ما فعله وأنهم سخطوا عليه بجهلهم وجه الحكمة فيقول عليه السلام: «ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قُتل» [3]، ويقول عليه السلام: «ما أردت بمصالحة معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب ونكولهم عن القتال، ووالله لإن سرنا إليه بالجبال والشجر ما كان بد من إفضاء هذا الأمر إليه » [4].

والجواب باختصار: إن الصلح لم يكن وارداً ومطروحاً من قبل إمامنا الحسن عليه السلام، ولم يسعَ ولو لخطوة واحدة إليه، لأنه كان يعلم أن معاوية لا تصلح معه إلا لغة واحدة وهي لغة السيف والقتال وزواله من الوجود بما يُمثل من

---

١ الإرشاد ، ص ١٨٨.

٢ – إبن الأثير الكامل، ج٣، ص ٢٠٤. ورواه الطبري وابن خلدون.

٣ – تقدم المصدر في الصفحة السابقة.

٤ – الأخبار الطويلة ص ٢٢١.

مرض سرطاني لا يُرجى إصلاحه، ولأن الظروف كلها لم تكن لصالح المعركة، وللأسباب الكثيرة التي ذكرنا نذراً يسيراً منها، والتي حتّمت على الإمام وألزمته أن يلجأ إلى الصلح لتدارك ما يمكن إدراكه. أمّا وقد وقع الصلح ووقع ما لا بد منه اضطراراً فيكون الصلح هو المنقذ لكل ما تبقى ومن تبقّى، ويكون هو الحل الأمثل بعد أن استنفذت كل الحلول، ما جعل الإمام يوضح حقيقته والحكمة من ورائه التي خفيت على الأعم الأغلب من الناس، حتى على بعض أصحابه، وهو الذي كان يرد عليهم اتهامهم له عليه السلام «إنك قد أذللت رقابنا».

فيقول عليه السلام: «والله، إني ما سلمت الأمر إلا لأني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكن عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمّة في قول، ولا فعل، إنهم لمختلفون، ويقولون لنا: إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا[1]»(*).

وواضح من كل ما تقدّم أن الإمام لم يكن في وارد الصلح وأن شخصيته غير مائلة للدّعة كما يرغب أصحاب الأقلام المسمومة والموجَّهة أن يدّعوا ويقولوا. فهو لم يرغب بشيء مثل رغبته بأداء تكليفه الشرعي، وقد كان التكليف

---

١ - الاحتجاج – للطبرسي ، ص ١٤٩، (ط بيروت ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٢٩١.

* حدّث الرجل في تلك الرواية التي رواها عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد، أن الإمام حينما كان يكلّمه بهذه الكلمات قال: وهو يكلمني إذ تنخع الدم، فدعا بطست فحمل من بين يديه مليء مما خرج من جوفه من الدم. فقلت له: ما هذا يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله! إنّي لأراك وجعاً؟ قال: أجل دسّ إليّ هذه الطاغية من سقاني سماً فقد وقع على كبدي وهو يخرج قطعاً كما ترى..»، المصدر نفسه من كتاب الاحتجاج.

بالصلح من أصعب التكاليف لدى إمامنا ﷺ، وهو ابن من قاتل قتال الأبطال وابن من سالم سلام الرجال، وقيمة الشجاعة والبطولة تكمن في أداء وإلتزام التكاليف التي هي غير محببة للنفس البشرية، من هنا كانت عظمة الإمام الحسن ﷺ ومظلوميته ومقامه بين المزايدين، وتحمّله كل العبارات النابية وغير المؤدبة في حضرته ﷺ، إن عظمة سبط المصطفى تكمن في شخصيته الإلهية ووجوده النوراني وتكليفه بأمرٍ غير محبب للجماهير، لكنه ﷺ الفدائي بتقديم جسده وبذل روحه، والمضحي بكل ما يملك وما لا يملك ربما، وهو يفعل ذلك وهاجس كبير يحكمه وهو التخطيط للثورة الحسينية، وعلى أي حالٍ فمن لا يقدِّر قيمة الجواهر، لا ينبغي أن يتصدّى لتقييم أو تقويم جوهرة نفيسة ودرّة يتيمة ليست من جواهر الجماد، لأنها من جواهر الرجال، ونعم الرجال.

جولة في درر كلماته ﷺ

بعد أن استعرضنا خطاب الإمام الحسن ﷺ التاريخي والذي يفضح فيه معاوية، ويدحض حجج الواهمين بأن الصلح لم يكن فيه مصلحة للإسلام، وبعد استعراضنا لكلمات الإمام ﷺ قبل الصلح وبعده، وقد خلصنا إلى نتيجة مؤداها، أن الإمام ﷺ لم يكن في وارد الصلح، لكن التخاذل الذي مُني به من خلال مجتمعه وجنوده، هو الذي حتّم عليه عقد الهدنة. ونظراً لأهمية معرفة خلفية الإمام، تلك التي دفعته للقبول بالصلح، فلا بدّ من جولة بسيطة في رحاب كلماته وبياناته ودفاعاته، والتي كان يضطرّ فيها إلى الدّفاع عن وجهة نظره، مقتصرين في النصوص على ما تقدّم معنا سواء في خطابه التاريخي بعد توقيعه للصلح أم في غيره من كلماته ﷺ. وسنقتطع بعضاً منها اعتماداً منا على ذكرها

في مطاوي العناوين السابقة، وإلى القارئ الكريم والمنصف قبساً من كلماته عليه السلام: «ما أردت بمصالحة معاوية، إلاّ أن أدفع عنكم القتل»[1]. فالأساس في التزام الصلح. هو دفع القتل عن المسلمين، خصوصاً أن الحرب باتت غير متكافئة، مبرّراً إقدامه عليه السلام على هذه الخطوة بأن أصحابه لا يرغبون بالحرب (تباطؤ أصحابي عن الحرب) وواضح أن الهاجس الذي كان يحكم إمامنا ليس حفظ نفسه، بل حفظ المسلمين ومصلحتهم، وهو القائل عليه السلام: «حقن الدماء خير من سفكها»[2] وقد بيّن الإمام المجتبى عليه السلام أن الأمر نفسه الذي دعا جدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى دخول الغار هرباً بدينه، فالأسباب نفسها والدواعي ذاتها، هي التي حملته عليه السلام على القبول بالهدنة أو الصلح، وأظهر عليه السلام أن الذي أحوجه إلى ما فعل، هو أن الأمة لا تقف الوقفة البطولية لتصل في رقيّها إلى مستوى القائد، وهي التي قتلت الإمام الخامس، وقبله قتلت أمير المؤمنين عليه السلام في ظل صمت مطبق، وكأنّ صمت الجماهير كان بمثابة الإذن من قبلها للاستفراد بأمير المؤمنين عليه السلام وقتله على حين غرّة أو غفلة من أهلها، وهي ذاتها الأمة المسحوقة ومسلوبة الإرادة طعنت قائدها وإمامها. ونهبت متاعه، في ظل إساءة أدب مارسه المجتمع الإسلامي مع رمز من رموزه، وهو القائل عليه السلام: «الذي أحوجني إلى ما فعلت قتلكم أبي، وطعنكم إيّاي، وانتهابكم متاعي»[3] وليس معنى تلك المقالة الشريفة أن الإمام عليه السلام استسلم لفرديّته، وتعاطى بعقدة شخصية

---

١ - هذا النص سبق ذكره مع مصدره، الأخبار الطويلة، ص ٢٢١.

٢ - كشف الغمة، ص ١٧٠، تقدم النص في الخطاب تاريخي والمجتمع جاهلي.

٣ - تذكرة الخواص، ص ٢٠٧، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج.

دفاعاً عن نفسه ومتاعه وما شابه، وهو إذ يذكر تلك النماذج البشعة التي تعامل معه مجتمعه فيها كإشارات ودلالات فالمكتوب يُقرأ من عنوانه كما يُقال، فمن يقتل خير الناس بعد رسول الله ﷺ، ويطعن سبط الحبيب المصطفى، وينهب متاعه، ويسحب البساط من تحت قدميه الشريفتين وهو في حالة الصلاة وو.. من يجرؤ على التعدّي ويصل في جرأته إلى تلك المستويات الوضيعة، فهذا حتماً لن يكون مناصراً للحق. ذائداً عنه، بائعاً جمجمته لله، وإمامنا الحسن عليه السلام يريد لجهاده رجالاً، أين منهم الرجال، وأبطالاً تشهد لهم الساحات والرايات؟

وتعترف لهم الأحداث المفصلية بأنهم أصحاب مواقف رائدة، وليسوا أصحاب دنيا يتصاغرون أمام رغباتها، لأنهم إن فعلوا ذلك فلن يكونوا أبطالاً ورجالاً! ويوضح الإمام الحسن عليه السلام للناس سبب تخاذلهم وقد كانوا من قبل أصحاب بأس وشكيمة، فهو عليه السلام ينعش ذاكرتهم ويذكّرهم ببطولاتهم في صفين، بينما لا تُرى تلك البطولات في زمن الإمام عليه السلام والسّر في ذلك. ما أوضحه عليه السلام بقوله: «وإنّكم لمّا سرتم إلى صفين، كان دينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم»[1]. فحين تتراءى الدنيا لطلابها لتصبح الهاجس الأكبر فإنها تضعِف إرادة أهلها وأبنائها، فالناس هم الناس الذين شهدت لهم صفين بأروع الانتصارات، لكن الذي تغيّر هو الأولوية، فهل هي للدين أم للدنيا؟ وعلى ضوء ذلك فالتفاصيل هي أكثر من أن تعدّ أوتحصى، فهؤلاء الناس الذين ينبهرون بالدنيا، لا يمكن على الإطلاق أن يكونوا في خدمة الدين، ولا يستطيع عاقل أن يعوّل عليهم أو يعلّق الآمال، أو يثق بهم. وهو القائل عليه السلام: «إني رأيت أهل

---

١ – المصدر السابق، والحديث نفسه في تذكرة الخواص.

الكوفة قوماً لا يوثق بهم»[1] وواضح أن الإمام عليه السلام لم يكن يتعاطى مع مجتمعه، وكأنه آتٍ للتوّ من كوكب آخر، فهو الخبير بنفسياتهم وأمراضهم المعنوية، وقد وصف الإمام عليه السلام الصلح بأنّه (خير مما طلعت عليه الشمس»[2] وأوضح وفي عدد من المحافل أنه معزّ المؤمنين فقال: «لست مذلاً للمؤمنين ولكني معزّهم»[3] وقال في موضع آخر عليه السلام: «لست بمذل للمؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك[4]» فالصلح هو من منظار الإمام عليه السلام خير مما أشرقت عليه الشمس أو طلعت، فهي تشرق على مسافة جغرافية واسعة لا يُستطاع معرفة سعتها وحجمها، ومؤدى ذلك أن حجم صلح الإمام ومستوى إيجابيّاته مما لا يقدر وصفه إنسان، وهو عليه السلام لديه كامل الثقة بالله بأنّه معزّهم لا مذلّهم. ولكنّه كره القتال على المُلْك. فالقتال يجب أن يكون من أجل الله ، ولا يوجد في قاموس المؤمنين بحق أن القتال يكون من أجل حطام الدنيا، وقد خاف عليه السلام وخشي أن يُجتثّ المسلمون عن وجه الأرض. لو لم يصالح معاوية (إنّي خشيت أن يُجتثّ المسلمون عن وجه الأرض)[5]. وربما يبدو وللوهلة الأولى أن الأمر ليس بهذه السهولة، فهل هناك خوف حقيقي على المسلمين، إذ لم يوافق الإمام عليه السلام على اتفاق الهدنة؟ والجواب بالإيجاب، فلو لم يوافق عليه السلام على الصلح، فالله وحده يعلم أي المصائب ستجرّ على المسلمين، بل وأي النكبات والرزيات ستنهال

---

١ - المصدر السابق، تذكرة الخواص، ص ٢٠٧، وهو تكملة لحديث الإمام الحسن عليه السلام.

٢ - كتاب الاحتجاج، للطبرسي، ج٢، ص ٢٩٠.

٣ - الدينوري، ص ٢٠٣.

٤ - تاريخ دمشق لابن عساكر، ج١٢، ص ٥٤٤.

٥ - حياة الإمام الحسن عليه السلام، باقر شريف القرشي، ج٢، ص ٢٦٩.

على الوجود الإسلامي، وستكون التجربة الإسلامية الرائعة للرسول الأكرم ﷺ عرضة للزوال ومرشّحة للإنقراض وساعتئذ ستبرز شيطنة معاوية على كل المستويات وسيكون أمثاله عناوين الأمة ورموزها، وقد أوضح الإمام عليه السلام أنه لم يكن يريد الدنيا، ولو أرادها ولو على مستوى الفرضية، فإن معاوية ليس بأصبر عند اللقاء، وهو القائل عليه السلام: «لو أردت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب مني، ولكني أردت صلاحكم[1]» فهو عليه السلام ليس طالب دنيا، ولو كانت الدنيا مقصوده وهدفه، فلن يكون معاوية أصبر عند اللقاء، لكنه عليه السلام أراد صلاح الناس، وإن كان ثمن ذلك التضحيات الكبرى والضخمة، وطالما بيّن الإمام أنّ الصلح فيه من الحكمة ما لا يمكن لأي أحد معرفتها، وقد ضرب لذلك العديد من الأمثلة (وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً.. ألا ترى الخضر لمّا خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، سخط موسى فعله لاشتباه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي ـ هكذا أنا سخطتم عليّ بجهلكم وجه الحكمة ـ ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلاّ قتل[2]»، فالإمام كان دائماً يطلب من المحيط حوله أن يستوعب ما فعل عليه السلام، وما سخط النبي موسى عليه السلام وغضبه إلاّ لجهله بالحكمة من وراء العديد من الأفعال التي قد تبدو وللوهلة الأولى غير صحيحة، ثم يبيّن عليه السلام أنه لولا ما أتى من الصلح، لا يبقى أحد من شيعة أهل البيت إلاّ قُتل، أمام هذا، فالحديث لا يكمن في حياة الإمام أو موته، بل يكمن في حياة الأمة أو موتها، في عزّها وسعادتها، أو في ذلّها وشقائها، ومَن

---

١ – تاريخ دمشق، لابن عساكر، ج٢، ص ٢٢٥.

٢ – علل الشرائع، للشيخ الصدوق.

لا يستوعب الحكمة من وراء فلسفة الصلح، ما عليه إلاّ أن يدقّق في مطاوي كلمات الإمام ونصوصه، ليتعرّف على عمق المظلومية التاريخية التي طالت إمامنا العظيم عليه السلام. صحيح أنّ الإمام عليه السلام صالح معاوية، لكنه صالحه بعد أن تفرّق الجمع بين يديه وانفضّ من حوله، ولو وجد الأنصار كما وجد أخوه الحسين عليه السلام من بعده، لقاتل معاوية قتالاً أيسره أن تطيح الرؤوس وتتطاير الأيدي. لكن ماذا على إمامنا عليه السلام أن يفعل في ظل مجتمع يعشعش فيه الفساد وينخره سوس النفاق والمكر؟ وقد قال عليه السلام لمن استشكل عليه بأنه سلّم الأمر إلى معاوية، ولو وجد أنصاراً لقاتل بهم ليلاً ونهاراً، فقال في جوابه: (إني ما سلّمت الأمر إلاّ لأني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه) [1]. هذا ما يمكن رصده لدى شخص يحاول قراءة الواقع كما هو، فيخرج بهذه النتائج التي تبقى أسيرة معلومات محدودة، وعلى ضوئها تكون النتيجة التي ستتأثر بالطبع بكل المعطيات والمعلومات والمقدّمات[*].

كلمة لا بدّ منها: بعد الذي تقدّم من كلمات تعبّر عن مدى الأسى الذي بنى في قلب إمامنا المجتبى عليه السلام بيتاً للأحزان، فهو (سلام الله عليه) الذي اضطرته قلة الرجال وخيانتهم إلى القبول بالصلح مستسلماً للمصلحة الكبرى، وهو أيضاً المضطر لشرح مواقفه وتبرير صلحه لأناسٍ لم يمت بعضهم إلى الإنسانية بصلة. مع أن المحتاج إلى التبرير هم وليس هو عليه السلام، فهم من أخذه إلى

---

١ – الاحتجاج للعلاّمة الطبرسي، ص ١٤٩.

* يقول أهل المنطق أن النتيجة تتبع لأخس المقدمات.

ما لا يريد، وتخاذلهم قاده إلى صلحٍ لم يكن يُعجب به على الإطلاق[*]، وجبنهم هو الذي حتّم عليه القبول بالهدنة، لأن الذي حصل ليس صلحاً بمعناه الدقيق، بل هدنة معيّنة لوقت غير بعيد، فالمجتمع الذي عاصره الإمام والجنود بآلافهم المؤلفة وتاريخهم الجهادي العريق هم المضطرون للسيل من الأجوبة على كثير من الأسئلة، فماذا فعل جنود الإسلام مع إمامهم وقائدهم؟ ولماذا ألقوا السلاح وتركوا سِبط نبيّهم يواجه الغربة والوحدة وقلّة الناصر؟ هل شحذوا الهِمم ليكونوا المدافعين المجاهدين معه أم أن الدنيا سلبت فيهم روح الجهاد والتضحية؟ وهل يحقّ لهم الاعتراض على إمامهم مع أنّ الاعتراض عليهم هو العنوان البارز والعريض، والذي يفضح فيهم كل مزاعمهم الإيمانية، ولقد صدق الشاعر حين قال:

أنا في الحرب ما جرّبت نفسي ولكن في الهزيمة كالغزال

فهم في الحرب والحروب يولّون الأدبار، ويفرّون فرار الثعالب والأرانب، أمّا في السلم وعالم التنظير فهم غزلان البراري. نقول هذا ونحن نسوق شاهداً آخر على أن الإمام لم يكن يرغب في إعطاء معاوية ما يريد، فيقول عليه السلام لمعاوية: «والله لو وجدتُ صابرين عارفين بحقي غير منكرين ما سلّمت لك ولا أعطيتك ما تريد[1]».

---

* صدق في هؤلاء المثل الشعبي اللبناني والذي يقول: ضربني وبكى وسبقني واشتكى. وهو يستعمل في تلك الحالة التي يكون المضروب فيها هو المحتاج إلى الشكوى، لكن الضارب يسارع إلى الشكوى.

١ - البحار، محمد باقر المجلسي، ج٤٤، ص ٤٥ـ الطبقة الحديثة، وهو جواب الإمام على رسالة أرسلها معاوية إليه عليه السلام.

وعلى ضوء ذلك، فهل أجوبة الإمام وتبريراته منطلقها الدفاع عن نفسه، وأنه لم يخن الأمانة، أم أن الأمر أبعد من ذلك؟ وخلاصة الأمر: أنه عليه السلام ليس في صدد الدفاع عن نفسه كشخص، فهو يريد لمنصب الخلافة أن يبقى طاهراً نقياً من الشوائب، وكلما دافع عن الصلح، كلما دافع عن المنصب الإلهي المقدس، وهو يريد إبقاء ما يمكن إبقاؤه بعد سلسلة الخيانات والاستسلامات لمعاوية، ويريد إنضاج الظروف أكثر لفرصة تاريخية أخرى، فلماذا يخسر أكثر بعد كل الخسائر التي مُني بها الإسلام والمسلمون؟.

يثرب.. محط الرحال:

بعد كل الأحداث المؤلمة والخطيرة، وما عاناه الإمام من شيعته وأنصاره، وبعد أن استقرّ بنو أمية في عاصمة أهل البيت (الكوفة) حيث انتزى على منبر علي بن أبي طالب عليه السلام شخص مثل زياد ابن أبيه أو ابن سمية، في تلك الأيام المرة والأجواء الصعبة يتوجه الإمام الحسن إلى المدينة المنورة والتي كانت تنتظر قدومه على أحرّ من الجمر، وقد هبّ أهلها لاستقباله عليه السلام تماماً كما هبوا لاستقبال جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله من قبلُ. هبّوا لاستقبال الرّجل الذي عانى القهر والغربة في عاصمة المسلمين والمؤمنين، هبّوا والفرح يغمر قلوبهم ويعتمر نفوسهم بسبب البركة التي ستحلّ عليها بوجود سبط الرسول صلى الله عليه وآله، وكان بيته عليه السلام، هو الحرم الثاني في المدينة الذي كان يُزار بعد الحرم النبوي الشريف، توجه الإمام إلى الكوفة بعد إدراكه أنّ البقاء في الكوفة فيه الكثير من أنواع الإذلال، وما هي إلاّ أشهر من استيلاء معاوية حتى بدأ يُنكّل بالشيعة ويلاحقهم في كل حدب وصوب، فصاروا ونتيجة الإضطهاد الذي لا يُحتمل يُطاردون من

بلد إلى آخر، ويفرون من جور معاوية حتى التحقوا بالإمام الحسن عليه السلام الذي شكّل بدوره مدرسته الكبرى في يثرب، وراح يعمل في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، ويتفرّغ لنشر العلم ودعوة الناس إلى مكارم الأخلاق، وقد التحق بالمدرسة كبار العلماء الذين وجد فيهم المعين لأداء رسالته عليه السلام، وهو بذلك يختار واجباً إلهياً آخر، وهو واجب التعليم والتربية، فلقد عانى سلام الله عليه من الجهل والجاهلين أشدّ المعاناة وتلقّى أسوء الاتهامات، ما يدل على عمق الفجوة بين الناس والعلوم الإلهية، فالمجتمع الذي عاصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نسي أو تناسى كل توصياته، فلا بد من إعادة تأهيله حتى لا يكون السقوط مريعاً إلى الحد الذي افتقر فيه مجتمع الإمام المجتبى عليه السلام إلى حسن السلوك مع إمامهم، وحتى لا يتكرّر هذا الأنموذج البشع، فلا بد أيضاً من إخضاع هذه الأمة إلى مراقبة شديدة ووضعها في العناية الفائقة لتصحو من جديد من غفوتها، وتحدث الزلزال الكربلائي، لتكون كربلاء هي الصدمة التي توقظ النائمين، ورجع الصدى الذي يعيد الهائمين على وجوههم إلى الصراط القويم.

أصداء دعوته عليه السلام

أزعجت مدرسة الإمام أبي محمد أزلام الحكم الأموي، الذين كانوا بدورهم يرصدون حركته عليه السلام وكانت تأتيهم التقارير من جواسيسهم وعيونهم التي كانت تجمع على أن الإمام عليه السلام كان يقوم بدورٍ يشكّل خطراً حقيقياً على الزعامة المزيّفة، الذين يسرقون أمجاد المسلمين ويضعونها في أرصدة حساباتهم الشخصية الدنيئة، وطالما عقد أقطاب تلك الزعامة أمثال عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة، وعلى

رأسهم رأس الفساد وقمة النّفاق معاوية بن أبي سفيان، حيث عقدوا الكثير من الاجتماعات للتداول في نشاط الإمام(عليه السلام) حيث جاء في كلمات البعض الموجّهة إلى معاوية (أن الحسن قد أحيا أباه وذكره، قالَ فصدقَ، وأمر فأُطيع، وخففت له النعال، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسيء إلينا)[1] وواضح من خلال هذا النص أنّ القوم يشعرون بفداحة الخطر الذي يشكّله عليهم الإمام الحسن(عليه السلام)، حتى تعبيرهم بأن النعال تخفق له، فهذا اعتراف منهم أن المؤمنين يسيرون خلف إمامهم حذو النّعل بالنّعل، وهنا يكمن السّر في أولياء الله الذين إن خسروا معركة، فإنّهم يختارون موقعاً آخر وآخر، غير مستسلمين لشعارات البكاء على الأطلال، وقد نمت حركة الإمام فعلاً حتى بلغ نشاطه(عليه السلام) إلى دمشق عاصمة الحكم الأموي، حتى كسب الرأي العام في الشام، واستطاع جذب الكثير من المؤيدين لأهل البيت(عليهم السلام) ، ما جعل الحكم الأموي يفقد صوابه فيتّخذ قراره الحاسم بتصفية الإمام العظيم(عليه السلام) واغتياله، بعد أن ضاق ذرعاً من حكمته وصبره وجلده وعلمه، ظناً منه بأنه يستطيع إطفاء نور الله.

---

١ - أهل البيت، توفيق أبو علم، ص ٣٤٣، عن شرح النهج لابن أبي الحديد.

قالوا في الصلح:

- «تهيّأ للحسن بهذا الصلح أن يغرس في طريق معاوية كميناً من نفسه يثور عليه من حيث لا يشعر فيرديه، وتسنّى له به أن يلغم نصر الأموية ببارود الأموية نفسها، فيجعل نصرها جفاءً، لم يطل الوقت حتى انفجرت أولى القنابل المغروسة في شروط الصلح، انفجرت من نفس معاوية يوم نشوته بنصره». سماحة السيد عبد الحسين شرف الدين في مقدمة كتاب صلح الحسن عليه السلام، للشيخ راضي آل ياسين.
- «لقد كان في تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن السلطة في ذلك الجو المحموم منتهى الحكمة والحنكة والسياسة الرشيدة كما كان أبوه أمير المؤمنين عليه السلام من قبل موفقاً في قبول التحكيم الذي فرض عليه بحد السيوف وأسنَّة الرماح».

  سماحة السيد هاشم معروف الحسني، في كتابه سيرة الأئمة الإثني عشر، ص ٥٨.
- «فإذا بالحسن بن علي عليه السلام وعلى قصر عهده بالخلافة، من أطول الخلفاء باعاً في الإدارة والسياسة، والرجل الذي بلغ من دقّته في تصريف الأمور، وسمّوه في علاج المشكلات، أنه استغفل معاوية بن أبي سفيان أعنف ما يكون في موقفه منه حذراً وانتباهاً واستعداداً للحبائل... وإذا بالصلح الذي حاكه على معاوية أداته الجبارة للقضاء على خصومه في التاريخ، دون أن يكون ثمّة أية مساومة على بيعته أو على خلافة أو على مال. وإذا كل خطوات الإمام، وكل إيجاب أو سلب في سياسته، مخفقاً أو منتصراً ـ آية من آيات عظمته التي جهلها الناس وظلمها المؤرخون».

  سماحة الشيخ راضي آل ياسين في كتابه صلح الحسن عليه السلام، ص ١٨.

- «ولقد أنشأت صلحاً مع معاوية، لا ليسلم معاوية متنعماً بأرض الغوطة، أو لتسلم أنت مكفكفاً في أرض يثرب، بل لتسلم يثرب في الشام، والشام في يثرب. لقد قالوا عنك أيّها الإمام: لو لم تكن مهزوماً لما اتّخذت القرار، ولقد اتّخذته بالتمام لأنك كنت مخذولاً.. لقد خُذل جدّك العظيم قبلك فلم يطع في أحلامه وتمنياته.. لقد خُذل أبوك الفاروق في أصالة الوجدان، فأفرزته القبلية إلى الهزيمة.. وللهزيمة هنا مدلول آخر، إنّها هي التي تطال الأمة كلّها بأحلامها. وأمانيها، ووحدتها، وكل تحقيقاتها البكر».

الأديب سليمان كتاني، في كتاب (الإمام الحسن عليه السلام، الكوثر المهدور)، ص ١٥٩.

- «وليس بغريب من قوم عابوا جدّك الحسن على صلح معاوية وهو كان بأمر جدّه وقد صالح جدّه الكفار وكان عذره في ذلك أوضح الأعذار، فلما قام أخوه الحسين بنصرهم وإجابة سؤالهم وترك المصالحة ليزيد المارق كانوا بين قاتل وخاذل.. فهل يستبعد من هؤلاء ضلال عن الصراط المستقيم».

السيد ابن طاووس، مخاطباً ولده، كشف المحجة لثمرة المهجة، ص ٤٦.

- «نقع في خطأ كبير حين ننساق إلى الاعتقاد بأن الإمام الحسن قد اعتبر الصلح خاتمة مريحة لمتاعبه، فما صالح الإمام الحسن عليه السلام ليستريح. وإنما ليكافح من جديد ولكن على صعيد آخر، فإذا كان الناس قد كرهوا الحرب لطول معاناتهم لها.. فإنّ عليهم أن يكتشفوا بأنفسهم مدى الخطأ الذي وقعوا فيه حين ضعفوا عن القيام بتبعات القتال وسمحوا للأماني بأن تخدعهم ولزعمائهم بأن يضللوهم. ولا يمكن أن يكتشفوا ذلك إلاّ إذا عانوا هاذ الحكم بأنفسهم».

سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، كتاب ثورة الحسين عليه السلام، ص ١٤٣.

- «لو لم يقبل الإمام الحسن عليه السلام بالصلح لأدانه التاريخ، لكنّه عليه السلام عندما قبل فإدانة التاريخ توجّهت إلى معاوية.. صلح الإمام الحسن عليه السلام هيأ أرضية ثورة الإمام الحسين، فكان من الضروري أن يجلس الإمام الحسن عليه السلام جانباً إلى مدة حتى تتّضح ماهية الأمويين المخفية عن أعين الناس حتى يتوفر الأساس لنهضة تقام ضدّهم فتكون مبررة من الجهة التاريخية».

العلامة الشهيد مرتضى مطهري، كتاب الأئمة الأطهار، ص ٨٣، دار الهادي.

- «لو أنّ الحسن عليه السلام خاض المعركة اليائسة لكانت معركته تشبه إلى درجة كبيرة معركة ابن الزبير اليائسة التي لم تكن لتقدّم أي عطاء للإسلام ولرسالته الخالدة، ومن هنا جاءت قرارات الإمام عليه السلام الصائبة بأن يُهادن مؤقتاً ويقبل بالصلح، ويفسح المجال لمعاوية يستولي على العالم الإسلامي، لكي يكشف واقعه وواقع أطروحته الجاهلية، ولكي يعرّف هؤلاء المسلمين البسطاء، والذين لم يكونوا يعرفون إلاّ ما يرون بأعينهم وحواسهم، من هو معاوية وما هو واقعه ودوافع حكمه؟ ومن كان علي بن أبي طالب عليه السلام؟ وماذا كانت أطروحته»؟.

عادل الأديب، كتاب: الأئمة الإثنا عشر، دراسة تحليلية، ص ٩٩، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

الفصل الثامن

- معراج الروح.
- الاستشهاد الصامت.
- وصية عتبة الموت.
- إلى جوار الله.
- وقع الفاجعة على الفاجع.
- الخاتمة.
- وأخيراً.
- المصادر والمراجع.
- فهرست.

معراج الروح

الاستشهاد الصامت

آن للمجتبى عليه السلام أن يستريح من وعثاء السفر، فلقد أضناه التعب وأثقله الهجر، ولم يعد جسده الشريف يحمل ويتحمّل أكثر..

لقد أتعبته الدنيا والمجتمع بحق، وجار عليه زمانه، وظَلَمَهُ أعوانه باستثناء الثلة الطاهرة، وقسى عليه الدهر العنود، فالموت بالنسبة له هو نهاية مطاف الرحلة الشاقة في دنيا اللئام. ففي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: (وأصْلِحْ لي آخرتي فإنّها دار مقرّي، وإليها مِن مُجاورة اللّئام مفرّي[1]) فهو نهاية وبداية في آنٍ واحد، .. نهاية التكليف والكدح والكبد: ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فمُلاقيه**[2]﴾ ﴿**لقد خلقنا الإنسان في كَبد**[3]﴾. ونهاية الامتحان الصّعب والذي تعدّدت صوره وتنوّعت أساليبه واختلفت أنواعه، مستهدفاً المقام الشامخ لإمامنا الحسن عليه السلام، وبداية اللحاق بجدّه المصطفى وأبيه المرتضى وأمّه الزهراء، وبداية الإلتحاق بالرفيق الأعلى، حيث لا همّ ولا حزن ولا نَصَبَ ولا خونة، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، في جنّة الخلد، وهو سيد من سيّديّ شبابها..

خاف معاوية أن يأتي أجله، وهو بعدُ لم يتخلّص من الإمام الحسن عليه السلام ليهيّئ

---

١ - دعاء يوم الثلاثاء، مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، دار الملاك، ص ٦٥.

٢ - سورة الإنشقاق، الآية ٦.

٣ - سورة البلد، الآية ٤.

الجو لولده يزيد، وهذا الخوف بدوره، لمثل معاوية الذي كان يحسب حساباً لموته لا ليحسِّن من سلوكه أو يغيّر من طبيعته الإجرامية، بل ليخلف من بعده أمثال يزيد وليتحمّل وِزر تصرّفاته وليكون شريكاً، بل مؤسساً لكل الأحداث والفجائع التي عصفت بالحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء.

فما كان من الرجل إلاّ اتّخاذ قرار قتل الإمام، بعد أن باءت العديد من محاولاته بالفشل، وقد قلنا فيما تقدّم أن معاوية يعتبر العسل المسموم من جنوده، بل من أخلص جنوده، فأرسل الرجل إلى ملك الروم يطلب منه سُماً فتاكاً فما كان من ملك الروم إلاّ الامتناع عن إجابته وقد كتب له: أنه لا يصلح في ديننا أن نعين على قتل من لم يقاتلنا، فأجابه معاوية أن الرجل الذي أردت قتله هو ابن الرجل الذي خرج في أرض تهامة ـ يعني رسول الله ـ وقد خرج الآن يطلب ملك أبيه، وأنا أريد قتله بالسّم لأريح منه العباد والبلاد، فأرسل إليه سُماً مميتاً[1]، ولما وصل السّم إلى يد معاوية صار يفكّر فيمن يضعه للإمام عليه السلام إلى أن تفتّقت عبقريّته الشيطانية إلى اختيار زوجة الإمام، وهي جعدة بنت الأشعث، فهي ابنة من اشترك في دم أمير المؤمنين عليه السلام كما جاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام: (إن الأشعث اشترك في دم أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام وابنه محمد بن الأشعث اشترك في دم الحسين عليه السلام [2]) فبئس الأسرة هي، وتَعساً لهذا البيت الحافل بتاريخ الإجرام والخيانة. واستطاع معاوية فعلاً إغراء جعدة بالأموال فوعدها أن يدفع لها مائة ألف درهم إن دسّت إليه السّم ومات منه.

---

١ - البحار، ج١٠، ص ١٧٣.

٢ - سيرة الأئمة الإثني عشر، السيد هاشم معروف الحسني، ج١، ص ٦٢٧.

ووعدها بأن يزوّجها من ولده يزيد. فما كان منها إلا الاستجابة وتنفيذ طلبه فأخذت السّم أداة جريمتها. وكان الإمام صائماً والجو حاراً فوضعت السّم في اللبن فتناول منه الإمام جُرعة، فما إن وصلت إلى جوفه سلام الله عليه حتّى تقطّعت أمعاؤه، فلمّا أحسّ بألم السّم الشديد قال عليه السلام: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون، الحمد لله على لقاء محمد سيّد المرسلين، وأبي سيد الوصيين، وأمي سيدة نساء العالمين، وعمي جعفر الطيار، وحمزة سيد الشهداء) ثم التفت إلى جعدة فقال لها: (يا عدوّة الله، قتلتيني قتلك الله، والله لا تصيبين مني خلفاً، ولقد غرّك ـ يعني معاوية ـ وسخر منك يخزيك الله ويخزيه) [1].

وقد أخزاها الله فعلاً كما دعا الإمام عليه السلام حيث صارت تُلقّب بمسمّمة الأزواج[2]. أمّا عن وعد معاوية لها بتزويجها من يزيد بعد أن حاولت استبدال نور الإمامة بديجور الأموية، فقد سخر منها معاوية بعد طلبها منه أن يفي بوعده لها بزواجها من يزيد فقال: «إنّا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه»[3]. وهذه القضية معروفة ومشهورة، ومسألة أنّ معاوية هو الذي دسّ إليه السمّ هي من المسائل التي اتّفق عليها أكثر المؤرخين، وقد ذكر ذلك صاحب الاستيعاب، والإصابة، والإرشاد، وتذكرة الخواص، ودلائل الإمامة للطبري، ومقاتل الطالبيين، والشعبي، واليعقوبي، وابن سعد في الطبقات، والمدائني، وابن عساكر، والواقدي، وابن الأثير، والمسعودي، وابن أبي الحديد، والمرتضى في تنزيه الأنبياء عليهم السلام

---

١ - تحف العقول، ص ٣٩١.

٢ - أعيان الشيعة، ج٤، ص ٧٦.

٣ - مروج الذهب، ج٢، ص ٣٠٣.

والطوسي في أماليه، والشريف الرّضي في ديوانه، والحاكم في المستدرك وغيرهم وغيرهم..

وقال الحاكم في المستدرك: «أن الحسن بن علي سُمَّ مراراً، كل ذلك يسلم حتى كانت المرة الأخيرة التي مات فيها، فإنه رمى كبده»[1]. وقد بقي الإمام يعاني آلام الموت وأوجاعه وازدياد فعالية السّم في جسمه لفترة استمرّت إلى أربعين يوماً[2]. وقيل: شهرين[3]. وقيل أنّه مكث يومين بعد التّسمم لا غير[4].. وجيء له بطبيب وفحصه فحصاً دقيقاً فلمّا يئس من حياته التفت إلى أهله قائلاً لهم: «إنّ السّم قد قطّع أمعاءه»[5].

وصية عتبة الموت

في تلك الفترة الدقيقة الموجعة والمؤلمة يدخل عليه الصّحابي الجليل جنادة بن أبي أمية ويطلب منه أن يعظه، فيجيب الإمام عليه السلام لطلبه وهو في تلك الأوضاع الحرجة فيقول عليه السلام: «يا جنادة، استعدّ لسفرك، وحصّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنّك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أنّ الدّنيا في حلالها حساب، وفي

---

١ – المستدرك، ج٦، ص ٥، طبع باريس.

٢ – دائرة المعارف، للبستاني، ج٧، ص ٣٨، شرح ابن أبي الحديد، ج٤، ص ٤.

٣ – حياة الحيوان، للدميري، ١/ ٥٣.

٤ – تحف العقول، ص ٣٩١.

٥ – البداية والنهاية، ج٨، ص ٤٣.

حرامها عقاب، وفي الشّبهات عتاب، فـأنزِل الـدّنيا بمنزلـة الميتـة خـذ منهـا مـا يكفيك، فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيه، وإن كان حراماً لم يكـن فيـه وِزر، فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وإن كـان العقـاب فالعقـاب يسـير، واعمـل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وإذا أردت عزاً بـلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجـلّ، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجـة فاصـحب مـن إذا صـحبته زانـك، وإذا أخذت منه صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صـدق قولـك، وإن صلت شدّ صولتك، وإن مددْت يدك بفضل مدّها، وإن بدت منك ثلمة سـدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطـاك، وإن سـكت عنـه ابتـداك. وإن نزلت بك إحدى الملمات واساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليـك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك»[1].

بهذه الكلمات ودّع إمامنا الحيـاة واختصـر لنـا الـدنيا حتـى لا نغـرق فـي أوحالها ومستنقعاتها، بكلمات الدر والجوهر وصَف لنا إمامنـا عليه السلام قصّـة حياتنـا وموتنا. فقد أراد لجنادة ولنا أن نستعدّ للسفر ونتزوّد للآخرة، فنحن ما بين طالب للدنيا ومطلوب للموت، فلا نحمل همّ الغد الذي لم يأتِ بعد، وإن الذي نكسبه من المال فوق قدرتنا هو لغيرنا وليس لنا، فالدّنيا فيها من الأفخاخ والمصـائد مـا ينبغي الحذر عندها لئلاّ تصطاد أهلها ونكون منهم، فهي كالميتة لمن يخاف على نفسه الهلاك، ومن أراد العزّة فهي في طاعة الله، ومـن أراد صـحبة الرجـال فـلا يصحب إلا من يصون ويعين، وقد ذكر المؤرخون أن الإمام الحسن عليه السلام خاطب.

---

١ - أعيان الشيعة، ج٤، ص ٨٥

الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «إن الذي أوتي إليّ سمّ أُقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفاً يدّعون أنهم من أمة جدّنا محمد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك وانتهاك حُرمتك، وسبي ذراريك ونسائك»[1]. أما فيما يخص قضية استشهاده فقد أوصى أخاه الحسين عليه السلام بقوله: «هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين»، أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأنه يعبده حقّ عبادته لا شريك له في الملك، ولا ولي له من الذل، وأنه خلق كل شيء فقدّره تقديراً، وأنه أولى من عُبِدَ، وأحقّ من حُمِدَ، من أطاعه رشِد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى، فإنّي أوصيك يا حسين بمن خلّفت من أهلي وولدي وأهل بيتك، أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم وتكون لهم خلفاً ووالداً، وأن تدفنني مع رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّي أحق به وببيته، فإنْ أبوا عليك فأُنشِدك الله وبالقرابة التي قرّب الله منك، والرّحِم الماسة من رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا يهراق من أمري محجمة من دم حتى تلقى رسول الله فتخصمهم وتخبره بما كان من أمر الناس إلينا»[2].

إلى جوار الله:

لمّا اشتدّ بالإمام عليه السلام الوجع وبدت عليه علامات الموت، وازدادت معاناته من شدّة ألم الاحتضار، وصار على قاب قوسين أو أدنى من الموت، التفت إلى

---

١ - البحار، ج١٠، ص ١٢٣.

٢ - أعيان الشيعة، ج٤، ص ٧٩؛ أمالي الصدوق، عيون المعجزات للسيد المرتضى؛ مرآة العقول، ج١، ص ٢٢٦.

أهله قائلاً: أخرجوني إلى صحن الدار، أنظر في ملكوت السماء، فحملوه إلى الصحن، فأخذ يناجي ربّه، وكان من جملة ما دعا الله فيه: ".. اللهم آنس صرعتي، وآنس في القبر وحدتي" وأخذ يتلو من آيات الذكر الحكيم ويناجي الله حتى فاضت نفسه الشريفة والتحقت بالرّفيق الأعلى، فارتفعت الأصوات من بيوت الهاشميين، وعلا الصراخ والعويل من بيوت يثرب، وهرع الناس إلى بيت الإمام عليه السلام وهم يلطمون على صدورهم بعيون باكية دامعة حزينة، حتى أنّ أبا هريرة ذهب إلى مسجد الرسول وهو ينادي بأعلى صوته: (يا أيّها الناس، مات اليوم حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فابكوا) [1]. وبعد أن جهّز سيد الشهداء جثمان أخيه الشهيد حيث الغسل والكفن والحَنوط، أمر عليه السلام بحمل الجثمان الطاهر إلى مسجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حتى يُصلّى عليه[2]. وقد كان التشييع حافلاً بكثرة المشيعين وزاخراً بالعديد من المعاني، وقد حدّث ثعلبة ابن مالك عن كثرة المشاركين في مراسم التشييع فقال: «شهدت الحسن يوم مات، ودفن في البقيع، ولو طرحت فيه إبرة لما وقعت إلاّ على رأس إنسان»[3]. واتّجه موكب التشييع نحو مرقد المصطفى صلى الله عليه وآله، فتكتّل الأمويون للحيلولة من دفنه بجوار الرسول صلى الله عليه وآله وقد أثاروا حماسة عائشة، ما جعلها تتصدّى وهي دائمة التصدّي فجيء لها ببغلة[*] فامتطتها مقبلة على موكب التشييع، وهي تصرّ على أن لا يدفن

---

١ - تهذيب التهذيب، ج٢، ص ٣٠١؛ تاريخ ابن عساكر، ج٤، ص ٢٢٧.

٢ - تاريخ ابن عساكر، ج٨، ص ٢٢٨.

٣ - الإصابة، ج١، ص ٣٣٠.

* قال لعائشة بعض من حضر: يوم على جمل ويوم على بغل يا أم المؤمنين، تجمّلت تبغّلت ولو عشت تفيّلت، لك التسع من الثمن وبالكل تملّكتِ أو تحكّمتِ.

الحسن عليه السلام بجوار جدّه، ولم يملك الإمام الحسين عليه السلام في تلك اللحظات الحسّاسة والحرجة إلاّ التسليم لأمر الله والالتزام بوصية أخيه بعدم إراقة نقطة دم أو محجمة من دم في سبيل أمره عليه السلام رغم أن بعض الهاشميين همّ بالهجوم على كلّ من يمنع من دفن الإمام عليه السلام في المسجد النبوي، وقد صاح بهم الحسين عليه السلام قائلاً: «الله الله يا بني هاشم، لا تضيّعوا وصية أخي، واعدلوا به إلى البقيع، فإنّه أقسم عليّ إنْ أنا مُنعت من دفنه مع جدّه أن لا أخاصم فيه أحداً وأن أدفنه في البقيع مع أمه» ثم التفت عليه السلام إلى الأمويين وقال لهم: «والله لولا عهد الحسن إليّ أن لا أهريق في أمره محجمة من دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد الذي بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا»[1].

ثم أمر الحسين عليه السلام بحمل الجثمان المقدّس إلى البقيع، فأودع بجوار جدّته فاطمة بنت أسد[2] وبعد الفراغ من دفنه عليه السلام أقبلت الناس تقدم العزاء لأخيه الحسين عليه السلام، فرحمه الله من ولي من أوليائه بررة أخيار، فقد قيل: عندما تجف مياه الينبوع نفطن إلى قيمته، ورحمه الله من إمام قام أو قعد، من عظيم عاش أم مات، وعظّم الله أجور المفجوعين لرحيله والمصابين بأفدح المصائب لمصابه.

وقع الفاجعة على الفاجع:

كان معاوية ينتظر وعلى أحرّ من الجمر أخبار مقتل الإمام عليه السلام بعد أن أحكم خطة القضاء عليه، وكان يترقّب أخبار بريد يثرب لحظة بلحظة، وما إن

---

١ - حياة الإمام الحسن عليه السلام، شريف القرشي، ج٢، ص ٤٩١.

٢ - كفاية الطالب، ص ٢٦٨.

وصله خبر استشهاد الإمام لم يستطع أن يتمالك نفسه فخرّ ساجداً وكبّر، فكبّر من كان معه في الخضراء، فلمّا سمعت زوجته فاختة بنت قرضة صوت تكبيره خرجت من خوخة(*) لها فرأت زوجها والسرور قد غمره: فقالت له: سرّك الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي بلغك فسررت به؟ فقال لها: ــ موت الحسن، فاستَعْبَرَت وقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ثم بكت وقالت: "مات سيد المسلمين، وابن بنت رسول الله»[1]. وقد وفد على معاوية المقدام بن عدي بن كرب وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له معاوية مظهراً الشماتة: "يا مقدام، أعلمت أن الحسن بن علي توفي؟ فاسترجع المقدام، فالتفت إليه معاوية والسرور على وجهه قائلاً له باستهزاء: «أترى موت الحسن مصيبة؟ فقال مقدام: "ولمَ لا أراها مصيبة؟ وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله في حجره، وقال: هذا منّي، وحسين من علي»[2].

لقد فرح معاوية بموت الحسن عليه السلام لأنه أزاح عقبة رئيسية كانت دائماً تشكّل حجر عثرة أمام طموحاته. فرح لأنّه أزال أمام يزيد ولده ما يشكل عائقاً ومانعاً من تحقيق أحلامه التسلطية المستمرة عبر أولاده وأحفاده إن قَدِر.

وذكر المؤرخون أن ابن عباس دخل على معاوية فرآه مسروراً بموت الإمام فقال معاوية: «يا ابن عباس هلك الحسن! فقال ابن عباس: نعم هلك، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قال ذلك مكرراً. وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح

---

* هي الكوة التي تسبب في دخول الضوء إلى المنزل، وهي الباب الصغير في الباب الكبير.

١ - مروج الذهب، ج٢، ص ٣٠٥.

٢ - كفاية الطالب، ص ٢٦٨.

والسرور لوفاته، أما والله ما سدّ جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك، ولئن أُصبنا به لقد أُصبنا بمن كان خيراً منه جدّه رسول الله ﷺ فجبر الله مصيبته، وخلف من بعده أحسن الخلف[1]»، وشهق ابن عباس من الحزن والبكاء فبكى من حضر في بلاط معاوية، وأظهر معاوية نفسه باكياً حيث تباكى رياءً ونفاقاً.

فسلام عليك أيّها الإمام يوم وُلدت ويوم جاهدت ويوم تبعث حياً..

..سلام على روحك وبدنك، على مضجعك ومدفنك.

..سلام عليكِ أيتها الجنة تستقبلين سيد شبابك.

..تعساً لك أيتها الدنيا تقتلين صفوة الخلق وآية الخُلق لينعم بمتاعك الغرور كل مغرور.

---

١ - حياة الإمام الحسن عليه السلام، باقر شريف القرشي، ج٢، ص ٤٩٩.

الخاتمة

كما البداية النهاية، وكما بدأنا مع عظيم من آل المصطفى ﷺ به نختم ﷺ، وبينما أنا على وشك وضع اللمسات الأخيرة وإعلان الختام لكتابي هذا وكتابتي المتواضعة، يحز في نفسي أن اكتب سطوري وصفحاتي هذه وأنا في مقام المدافع النظري لا العملي ليس إلاّ!

أحاول أن أرفع وأدفع الإتهامات الباطلة عنه ﷺ والتي وجّهها المؤرخون الذين يدورون في فلك أئمة الكفر، إني وإن لم أكن معاصراً له لأفخر بجنديتي لقيادته وأكون المدافع والحامي بالسيف لا اليراع(*)، وبالدم لا الحبر، وأكون المنضوي تحت رايته، ذائداً عن حياضه ﷺ، متصدّياً لكل من تعرّض له بسوء، خصوصاً أولئك الذين عرفوا منزلته ومقامه وحبه في قلب جده الرسول الأكرم ﷺ فأعرضوا عنها وتعمّدوا إغفال مداليلها ومراميها.

إني وإن حُرمت من متابعة ومواكبة سيرته وحياته ﷺ، لكني أعتبر نفسي محظوظ لأني عشت معه فكراً وروحاً ووجداناً، محظوظ بطوافي حول مقامه الإلهي الشامخ وأنا أكتب وأبحث حوله، ويَحضرني في الأثناء مقولة العبد الذي وضع الحسين خدّه على خدّه قبيل استشهاده في كربلاء (مَن مثلي وخدّ الحسين على خدي)، ومَن مثلي وأنا أكتب عن الحسن صنو الحسين، مَن مثلي وأنا أشرّف نفسي بذكر سبط الرسول ﷺ..

---

* اليراع: القصب.

ولا أخفي أن ألماً كبيراً كان يعتصر قلبي ويتضاعف كلما كنا نستعرض وقائع ما حصل مع إمامنا الحسن عليه السلام ومرارة الأحداث التي عاصرها، والرجال الذين تمردوا عليه عليه السلام حتى وصل إلى وقت بات يشعر فيه بحقيقة الغربة.

هذا والإمام صابر محتسب، كلما ذهب إلى بلد من البلدان أو مصر من الأمصار، كان إذا سُئل عن الصلح، يضطر دائماً إلى تبريره، وكأنه قد جاء ببدعة وغيّر السنن مع أن وجوده الشريف وسيرته العطرة هي السّنَّة بذاتها والتشريع بنفسه، وهو عليه السلام الذي لم ينكر حتى معاوية منزلته وعلمه حينما قال: «ما تكلم عندي أحد أحبّ إليّ إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي[1]»[*]. فقد عانى الإمام مظلومية متعددة الإتجاهات ليس لها نهاية، حتى أنه عليه السلام وبعد استشهاده لم يُترك بعيداً عن تجاوزات كل من أسهم في النيل من مقامه الشامخ، فطاولته الممنوعية ومنعته حتى من أن يدفن قرب رسول الله صلى الله عليه وآله!!.

فسلام عليك أيها المُبعد بجسدك الطاهر عن روضة جدك المقدّسة، يا من وُلدت في زمن الجهل والجاهلية، وجاهدت في زمن الردّة والعصبية،

---

١ - اليعقوبي، ج٢، ص ٢٠٢؛ وابن كثير، ج٨ ص ٣٩.

* نحيل القارئ الكريم إلى كتاب الاحتجاج والذي فيه الكثير من نقاشات الإمام عليه السلام والتي تُظهر مدى علمه ومقدرته وشموليّة معرفته (الله أعلم حيث يجعل رسالته)، وخصوصاً فيما يتعلّق بأجوبة الإمام الحسن عليه السلام بحضرة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأجوبته عن مسائل جاءت من الروم ثم من الشام وكانت أيضاً بحضرة الأمير عليه السلام، واحتجاجه عليه السلام على جماعة من المنكرين لفضل أهل البيت عليهم السلام بحضور معاوية وغيرها وهي موجودة ما بين صفحة ٢٦٧ إلى صفحة ٢٨٢ في الجزء الأول، مؤسسة الأعلمي - بيروت، وكنا نود ذكرها تبركاً وعبرة لكننا آثرنا عدم ذكرها لأن موضوع الكتاب هو الصلح وأسبابه وملابساته وظروفه.

ورحلت في زمن سلطان وجور بني أمية. وليسمح لي قارئي الكريم أن أعبّر بالكلمات الوجدانية عن الألم، فالموجوع لا يُلام إن تحدّث بالوجدان، والمفجوع معذور إن زادت سطور أدبياته وإنشائياته!

سلام عليك يا ريحانة النبي وقرة عين الوصي، يا واحداً من خمسةٍ هم أصحاب العباءة والكساء. سلام عليك مولوداً مُطهَّراً، يتدخل الوحي في تسميتك، والرسول الأكرم في تربيتك..

سلام عليك حين تحمّلت رؤية معاوية ناطقاً بالدين ومزيفاً للحقائق ومُصوراً لحقيقتك وكأنك الخارجي عنه بينما هو في داخله وصميمه..

كم قاسيت وكيف تحمّلت أناساً لا يفرّقون بينك وبين أعدائك؟ بل إن أعداءك في أفكارهم الهزيلة هم المفضّلون والمقدّمون، ولا أدري هل بهؤلاء يُنصر دين الله!؟

كم صبرت وصبرت؟ وكم واجهت أشخاصا زايدوا عليك ووعظوك وأنت الموعظة كلها؟ كم عانيت من أناس ليس فقط أنهم جهلوك، بل عادوك حتى صوروك بأنك تجسد الخطر والخطورة؟ وأنت أنت ابن علي والزهراء، وهم هم أبناء الطلقاء؟ لقد خافوك بعد أن تركت لهم الدنيا ووقّعت الصلح لأنهم رأوا فيك مهدداً لزعامتهم وسلطانهم، فلم يتحمّلوا وجودك لأنه يشكّل لهم حجر عثرة أمام طموحاتهم الشيطانية.

كم وعظت الناس لئلا يستسلموا لزيف معاوية، وأنت سيدي لا تُغبط لمقامك بين أناس لا يميزون بين الحجارة والجواهر، حيث كانوا قبل فترة غير بعيدة يعلنون لك البيعة والطاعة في مهرجانات قلّ نظيرها، حيث لم يجمع أهل

الكوفة على أمر مثل ما أجمعوا يومذاك على بيعتك؟

سلام عليك أيها الجاهز للقتال والمستعد له، المشتاق الآنس به، أشد من الطفل بثدي أمه، لتضع حداً إسلامياً فاصلاً للنفاق كله والمكر كله.

سلام عليك حين تفرّق عنك القادة والجنود لتصبح يدك كيد أبيك الجذّاء (بين أن أصول بيدٍ جذاء أو أصبر على طخية عمياء) [1]. سلام عليك حين تفرّقت عنك السرايا التي أعدّها أمير المؤمنين عليه السلام والتي كانت تعدّ بأربعين ألف مقاتل، وقد انفرط عقد هذه السرايا وتفكّكت وحدة الجنود وانتظامهم خلف قائدهم.

كم عانيت مولاي من الأحداث والفتن التي تخبّطت العشواء ولم يتنبه الناس إلى أنك البوصلة وكنت في الإثناء قوي الحضور ولم تسمح لنفسك أن تبقى حياتك للدنيا، فأبقيتها للإسلام ومستقبله وللثورة الحسينية، ولم تستسلم لحرب يمكن لها أن تسجل للأعداء فرصة قتلك أو أسرك.

سلام عليك أيها الإستشهادي المجهول، فالاستشهاد هو بذل الروح وفناء الجسد في سبيل الله، وأنت الصانع مع أخيك الحسين أعظم مدرسة وأرقى معهد للشهداء.

ومن قال: أن الصبر على القتال والجهاد إن اقتضت المصلحة حتى لو بقيت الروح والجسد، ليس جهاداً من نوع آخر؟

إن أصعب شيء على فرسان الوغى الذين يستأنسون بقتال وجهاد الكافرين الظالمين المنافقين، أن تقتضي المصلحة العليا أن يلقوا السلاح من

---

١ - نهج البلاغة- شرح الدكتور صبحي الصالح- ص ٤٨.

أيديهم ويتحلّوا بالصبر فلا يقاتلون ولا يُسمح لهم بقتال المصرّين على القتل والظلم والاستعباد، وأنت سيدي ومولاي، كم كان تكليفك شاقاً وصعباً حينما كُلِّفت بالصلح في زمن لا يقدّر الناس فيه شجاعة الصلح ؟.

كم كانت مهمتك شاقة في زمن يستأهل أهله فيه مثل معاوية، لأنهم لا يقدِّرون شخصاً مثلك في زمنٍ وعصرٍ ومع أناسٍ هم على شاكلة أعدائك؟

لا ادري أي نوع من الشجاعة، وأي مستوى من البطولة هي تلك الشجاعة والبطولة في اتخاذ موقف خيار الصلح، حين تأخذ المصلحة الإلهية رجالها إلى إتخاذ مواقف أخرى وخيارات بديلة؟ فيختارون مصلحة الرسالة بعيداً عن حساباتهم، ويضحّون بما يضحّي أهل الدنيا بأنفسهم للوصول إليه وهو الجاه والعرش والتاج، فما أروع تضحيتك إمامي! وما أجلى من جَلوَتِك يا سيّد الفضيلة!

لا أدري كم يصعب على المرء أن يرى عسكره ورجاله وأنصاره يتركونه في اللحظات الحرجة وفي ساعة العسرة ويلتحقون بالأعداء؟

وكم يصعب على إمامنا الحسن أن يرى كيف تبني دنانير معاوية ثقافة متخاذلة مهزومة تُشكِّل البديل عن القرآن الكريم، لم تكن صعوبته في غربته عليه السلام لأن من يأنس بالحق لا يستوحش من تفرّق الناس، فصعوبته ووجعه وفجيعته عليه السلام كانت تكمن في الردّة عن الإسلام لا غير؟

كم يصعب على إمامنا الحسن أن يرى خوف الناس من بطش وظلم معاوية أكثر مما يخافون من بطش الله ﴿**إن بطش ربك لشديد**﴾[1]؟

---

١ - البروج ١٢.

هنا كانت محنة الإمام، لم تكن محنته شخصية ولا مظلوميته فردية، كانت تحكم مولانا الإمام الحسن معادلة واحدة والباقي تفاصيل، ألا وهي الطاعة لله والحكم لله والرضا لله عز وجلّ وللذات الإلهية المقدّسة وليس لذاته عليه السلام.

فهو يُمثل مفردة ونسخة من تلك المعادلة الإلهية، وهو رمز غضب الله ورحمته.

كان هذا هاجسه وحاكمه وهمه وهمومه. كانت تحكمه مصلحة الإسلام بعيداً عن الذات، لأن ذاته عليه السلام كانت تُسجل بين يدي الله المزيد من الذوبان بالله، ولم تكن نفسه تعني له شيئاً إلاّ أن تكون رهن إشارة التكليف، ولا يهمّه أن تكون المهمة الملقاة على عاتقه محبّبة أو مكروهة للنفس، فسلام عليك مولاي من صابر ومحتسب.

إقبل مني يا مولاي بضاعتي المزجاة فلقد سطّرت ريشتي في يدي إطاراً ضيقاً وأفقاً محدوداً لم يصل إلى كنهك ومعرفتك، فكتب بحسب محدوديته، لا بحسب سيرتك وصلحك وعظمتك.

كتب قلمي بحبره لا بدموع عيني، كتب بحروف جامدة قضية حية حيوية لم يفقه قصتها والأحداث، فسمح لنفسه أن يجود بالموجود كمحاولة متواضعة وهي إذ تلتمس من إمامنا عليه السلام أن يقبل هذا الجهد كما قبل مني تلك الجرأة، وأن يشملني بأخلاقه، إنْ زلّت بي قدم وأخذتني شطحة قلم،.. ولا أدري وأنا أكتب سطوري أيّهما انتصر، علمي أم جهلي.. فعذراً يا ريحانة المصطفى.. عذراً أيها الحبيب!.

وأخيراً: وقبل أن أستودعك المولى عزّ وجلّ ـ قارئي الكريم ـ أطلب منك إذا ما تفاعلت مع الإمام عليه السلام، وتأثرت بكلّ أنواع مظلوميّته حياً وميتاً، أن لا تبقي السيرة أسيرة التاريخ دون أن تُجري لها عملية إسقاطات على واقعنا المعاصر، حتى لا نبكي الحسن عليه السلام ولا نوالي النهج الموصل به وإلى جدّه صلى الله عليه وآله، وندين معاوية ونحن نوالي أمثاله من ذوي المناصب الرئاسية والحكومية، فإننا إنْ لم نفعل ذلك فسنزيد من مظلومية سيد المظلومين، فهل يا تُرى أن يكون هذا الخلق الرفيع، وصاحب الحسب والنسب الشريف، وهو السيد الذي يشكّل مع أخيه الحسين، سيديْ شباب أهل الجنة، وحفيد سيد المرسلين، وابن سيد الوصيين وسيدة نساء العالمين، وأخ سيد الشهداء، فهل يمكن أن يُحبس مثل هذا الإمام في حدود عصره دون أن يسمح له المحسوبون عليه أن يلامس حقّه حياتنا... مع أنه إكسيرها وسرّها ورمزها وعنوانها. فإنْ آلمتنا غربته عليه السلام فعلينا أن لا نُبقي الحق وأهله في غربة، لئلا نسبح في بحر التاريخ الزاخر بمعانية وعِبَره، دون أن يكون له وقعه وبرنامجه في كل حياتنا، في سِلمنا وحربِنا، في موالاتنا ومعاداتنا، في تاريخنا وحاضرنا، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «منّا الإمام المفروض طاعته، من جحده مات يهودياً أو نصرانياً، والله ما ترك الله الأرض منذ قبض الله عزّ وجلّ آدم إلاّ وفيها إمام يُهتدى به إلى الله، حجّة على العباد، من تركه هلك، ومن لزمه نجا، حقاً على الله»[1]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»[2]، فلنحذر من مغادرة الدنيا دون معرفة إمام زماننا عليه السلام وحججه علينا، كما هو حجّة الله. والسلام ختام

٢٥ شعبان ١٤٢٤هـ

---

١ - ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، للشيخ الصدوق، ص ٢٤٦؛ وفي البحار.

٢ - المحاسن، أحمد بن محمد البرقي، ص ١٧٦.

المصادر والمراجع

الكتاب	المؤلف
القرآن الكريم	
نهج البلاغة	
حرف الألف	
الائمة الإثنا عشر	عادل الأديب
الاحتجاج	أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي
الأخبار الطوال	الدينوري
الأربعون حديثاً	الإمام الخميني
الارشاد	الشيخ المفيد
الاستيعاب	ابن عبد البرالمالكي
أسد الغابة	ابن كثير
الأصول المهمة في حياة أبي الأئمة	السيد علي أصغر زادة القمي
أعيان الشيعة	السيد محسن العاملي
الإمام الحسن عليه السلام الكوثر المهدور	سليمان كتّاني
الإمامة والسياسة	ابن قتيبة
أنساب الأشراف	أحمد بن يحيى البلاذري
أهل البيت عليهم السلام	توفيق أبو علم

حرف الباء

بحار الأنوار	العلاّمة المجلسي
البداية والنهاية	ابن كثير الدمشقي

حرف التاء

تاريخ أبي الفداء	اسماعيل بن علي عماد الدين
تاريخ الخلفاء	السيوطي
تاريخ الخلفاء	ابن قتيبة
تاريخ الشعوب الإسلامية	كارل بروكلمان
تاريخ الطبري	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
تاريخ اليعقوبي	أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي
تاريخ دمشق	الحافظ ابن عساكر
تحف العقول	الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني
تذكرة الخواص	السبط بن الجوزي
التفسير الكبير	الفخر الرازي
التفسير الموضوعي للقرآن الكريم	السيد محمد باقر الصدر
تفسير جامع البيان	الطبري
تنزيه الأنبياء	السيد المرتضى

حرف الثاء

ثواب الأعمال وعقاب الأعمال	الشيخ الصدوق
ثورة الحسين عليه السلام	الشيخ محمد مهدي شمس الدين

حرف الجيم

جريدة الساعة	السيد عبد الحسين شرف الدين

حرف الحاء

حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام	الشيخ محمد مهدي شمس الدين
الحكومة الإسلامية	الإمام الخميني قدس سره
حياة الإمام الحسن عليه السلام	باقر شريف القرشي
حياة الحيوان	الدميري

حرف الخاء

الخرايج والجرايح	الراوندي

حرف الدال

دائرة المعارف	البستاني

حرف الراء

روضة الكافي	الشيخ الكليني

حرف السين

سفينة البحار	الشيخ عباس القمي
سنن ابن ماجه	محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه
سيرة الأئمة الإثني عشر	السيد هاشم معروف الحسني
سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام	العلاّمة مرتضى مطهّري
سيرة سيد المرسلين	الشيخ جعفر السبحاني
السيرة النبوية	ابن هشام

حرف الشين

شذرات الذهب	ابن عماد الحنبلي
شرح نهج البلاغة	ابن أبي الحديد

حرف الصاد

صحيح الترمذي	الترمذي
صحيح مسلم	مسلم
صلح الحسن (عليه السلام)	الشيخ راضي آل ياسين
صلح الحسن (عليه السلام)	السيد محمد جواد فضل الله
الصواعق المحرقة	أحمد بن حجر الهيشمي

حرف العين

علل الشرائع	الشيخ الصدوق
عيون الأخبار	ابن قتيبة

حرف الفاء

فرائد السمطين	الجويني

حرف الكاف

الكامل	ابن الأثير
كتاب الغدير	السيد عبد الحسين الأميلي
كشف الغمة	علي بن عيسى الأربلي
كشف المحجة للثمرة المحجة	ابن طاووس

حرف الميم

مائة منقبة	محمد بن أحمد بن شاذان القُمي
مجلة العالم العربي	علي أدهم
مجمع البحرين	فخر الدين الطريحي
مجمع البيان	الطبرسي
المحاسن	أحمد بن محمد البرقي

مروج الذهب	المسعودي
المستدرك	الحاكم النيسابوري
مسند أحمد	أحمد بن حنبل
مفاتيح الجنان	الشيخ عباس القمي
مقاتل الطالبين	أبو الفرج الأصفهاني
مناقب ابن شهرآشوب	ابن شهرآشهوب
ميزان الحكمة	محمدي الري شهري

حرف النون

نثر اللالئ على نظم الدراري	الألوسي
نزهة المجالس	عبد الرحمن الصفوري
النصائح الكافية	محمد ابن عقيل
نوادر المعجزات	الطبرسي
نور الأبصار	الشبلنجي المصري

حرف الواو

وسائل الشيعة	الحر العاملي
الوصية الخالدة	الإمام الخميني قدس سره
وقعة صفين	نصر بن مزاحم

حرف الياء

ينابيع المودة	سليمان الحنفي

الفهرس

الإهداء ٥

المقدمة ٧

الفصل الأول ١٣

من هو الإمام الحسن؟ ١٤

بطاقة تعريف بثاني الأئمة ﷺ ١٤

هو. . آية مباركة ١٥

الولادة الميمونة ١٧

عناية السماء ورسولها ١٨

الإمام الحسن ﷺ في القرآن الكريم ٢٢

آية التطهير ٢٢

آية المباهلة ٢٤

آية المودة ٢٨

آيات الأبرار ٢٩

المجتبى على لسان المصطفى ٣١

كلمة لله والتاريخ ٣٥

الفصل الثاني ٣٩

من هو معاوية؟ ٤٠

مجدد الجاهلية ٤٢

ابن أبيه وسرّه..... ٤٤
نفاق بإسم الدين..... ٤٦
أساليبه وطرقه..... ٤٨
محيي البِدَع..... ٤٩
من سجلات ابن هند..... ٥١
القلم.. أداة جرائمه..... ٥٢
القتل.. سلاحه الفتّاك..... ٥٥
أ- حجر بن عدي الكندي..... ٥٦
ب- عمرو بن الحمق الخزاعي..... ٥٩
ج- عبد الله بن يحيى الحضرمي وأصحابه..... ٥٩
د- رُشيد الهجري..... ٦٠
معاوية في ميزان محمد صلى الله عليه وآله وسلم..... ٦١
الفصل الثالث..... ٦٥
برنامج الإمام الحسن عليه السلام..... ٦٦
ماذا يريد المجتبى؟..... ٦٦
مصداق الإرادة الإلهية..... ٦٨
قراءة الماضي بعين الحاضر..... ٧٠
إمامة الحسن والدور المنتظَر..... ٧٣
مستلزمات البيعة..... ٧٥
دعوة الإمام ومراوغة المدعو..... ٧٦
الفصل الرابع..... ٧٩
خطة الحرب وعدّتها..... ٨٠
خيار الحرب..... ٨٠

الحرب .. وهو ابن بجْدَتِها ٨١
إعلان النفير ٨٣
خطة الحرب .. وقادتها! ٨٥
لماذا عبيد الله بالذات:؟ ٨٦
ماذا عن قيس بن سعيد؟ ٨٨
جنود الإمام .. كم وكيف ٩٠
المدائن مقر القيادة ٩٣
مسيرة القوافل ٩٥
القائد العام.. قائداً للخيانة: ٩٦
... وتكرّ سبحة الخيانة: ٩٨
تسارع الأحداث: ٩٩
هل يترك الإمام الساحة؟ ١٠٢
لِمَ احتفظ الحسن بحياته؟ ١٠٣
ماذا لو استشهد وحيداً ؟ ١٠٥
ماذا عن خيارات أخرى؟ ١٠٧
الفصل الخامس ١١١
الصلح .. الضرورة ١١٢
ماذا يعني الصلح؟ ١١٢
الصلح والحرب.. أيهما خير؟ ١١٣
متى تشرّع الحرب؟ ١١٥
هل الصلح سابقة حسنية؟ ١١٦
فارق الإمامَيْن أم الجائرَيْن! ١١٩
ما هو رأي الحسين عليه السلام بالصلح؟ ١٢١

خلفية الصلح لدى معاوية ١٢٤
الفصل السادس ١٣١
خيار الصلح ١٣٢
الخيار الأوحد ١٣٢
مواجهة المقدور ١٣٣
جنود الإمام داء أم دواء؟ ١٣٦
حين تكون الغصّة بالماء! ١٣٨
الإنقلاب على الأعقاب ١٤٠
لماذا الصلح؟ ١٤٢
الصلح يفضح سريرة معاوية ١٤٨
بنود الصلح ١٥٠
شروطه عليه السلام ... الرسالة المفخخة: ١٥١
لماذا ينتصر الغدر أحياناً؟ ١٥٤
.. صاعق التفجير للثورات ١٥٧
جندي كربلاء المجهول ١٥٩
الفصل السابع ١٦١
الصلح .. آثار وأبعاد ١٦٢
ماذا بعد الصلح ؟ ١٦٢
الخطاب تاريخي والمجتمع جاهلي: ١٦٣
سنن التاريخ ١٦٧
عز المؤمنين.. لا ذلّهم ١٧٥
تناقض أم تكامل؟ ١٧٩
جولة في درر كلماته عليه السلام ١٨١

كلمة لا بدّ منها ١٨٦
يثرب.. محط الرحال ١٨٨
أصداء دعوته ﷺ ١٨٩
قالوا في الصلح ١٩١
الفصل الثامن ١٩٥
معراج الروح ١٩٦
الاستشهاد الصامت ١٩٦
وصية عتبة الموت ١٩٩
إلى جوار الله ٢٠١
وقع الفاجعة على الفاجع: ٢٠٣
الخاتمة ٢٠٦
وأخيراً ٢١٢
المصادر والمراجع ٢١٣
الفهرس ٢١٩